الفكر الحر

*

من المبادىء الشائعة اليوم في العالم مبدأ حرية الفكر . ويتخذ هذا المبدأ في البيئة العربية شكلا بارزا في جميع مجالي الحياة الاجتماعية . فالناس هنا يطالبون بحرية الفكر ، ويتشددون في نشدان هذه الحرية بمختلف الوسائل ، وهم يعنون بذلك حرية الاعتقاد ، وحرية القول والكتابة وابداء الراي ، ولكن قلما تجد بينهم من يعني بهذه الحرية ايضا أن يكون التفكير ذاته حرا .

من العقبات التي اعترضت الفكر في تاريخ الانسانية قيود على نوعين : قيود خارجية او اجتماعية جاءته عن طريق السياسة والدين ، وقيود داخلية او نفسية نشأت عن ارتباطه بالبدن والذات وما بهما من عوامل مؤثرة كالعاطفة والمعتقد والاثرة ونحوها . وقد كافح البشر عبر العصور لازالة القيود الاولى ، وكان هذا الكفاح شبه اجماعي بحيث انه اصاب نجاحا كبيرا . أما القيود الاخرى ، فقد كان الكفاح للتحرر من سيطرتها مقصورا على النخبة من العلماء والمفكرين ، وكان نجاحه محصورا في نطاق هذه النخبة . والواقع ان قيمة الفكر لا تتعين الا بالنجاح الثاني ، الذي تحقق لدى كثير من الناس في العالم ، في حين ان طريقه الى الوسط العربي ما زال محفوفا بالشوك والظلام .

فالفكر الحر يكاد يكون مفقودا في العالم العربي ، في حين انك لا تفتأ تسمع صيحات المطالبة بحرية الفكر ، كما تجد هذه الحرية — بمفهومها الشائع — متوفرة ولو على درجات متفاوتة في بيئات كثيرة . ومرد هذا الى ما يعتور مفهوم حرية الفكر من فساد التصور ، اذ يغيب عن الاذهان ان الحرية لا تاتي الفكر من خارج فقط ، ولكن تتصل به من داخل النفس ايضا وقبل اي شيء ، وانه ليس يكفي للفكر ان يتحرر من ضغط خارجي ، وانما يجب ان يتحرر كذلك من شوائب الذات ومؤثراتها . فالفكر الحر بهذا المعنى الدقيق هو في الواقع الفكر السوي الجدير بالبحث عن الحقيقة ، وهو الغاية القصوى من طلب الحرية للفكر .

ونحن اذا ما قلنا « الفكر الحر » لا نعني فقط الفكر المتحرر من القيود ، وانما نعني في الوقت ذاته « الفكر الكفء » ايضا . ذلك الى ان الحرية تستتبع المسؤولية ، والمسؤولية قيد ، وهذا القيد بالنسبة الى الفكر متركز في المنطق ومقولاته ومبادئه ، التي يفقد الفكر معناه اذا خرج عليها . فحرية الفكر ليست مجرد انعتاق وانطلاق ، وانما هي تفرض عليه بالضرورة ان يكون فكرا سويا صحيحا يجمع الى تحرره ونقائه من المؤثرات الغريبة عنه ، صفة العمق والكفاءة .

ان فقدان الفكر الحر حقيقة بارزة في حياة العرب العقلية . ولئن كان التدليل على هذه الحقيقة في اي مجال من مجالات البحث الفكري يصادف بعض العسر ، فان هذا العسر يزول بكليته اذا تناولنا مجال النقد . ذلك لان مهمة النقد تضع الذات امام ذات غيرها ، بدلا من ان تدعها في مواجهة أفكار مجردة ، فهي تخلق لها نوعا من الاحتكاك والصراع ، وتتيح بذلك الفرصة لعمل كوامنها من النوازع الفردية والمعتقدات المتحجرة . وهذا فضلا عن ان النقد هو ابرز صورة تصلح للرمز الى حرية الفكر . ولنأخذ لونين من النقد ، هما الاجتماعي والادبي .

اما النقد الاجتماعي فيخضع عند العرب لعوامل رئيسية ثلاثة . انه متاثر عموما بالمصلحة الشخصية ، التي فرضت عليه بما تجره من رهبة او رغبة ان يكون أداة للنفاق والملق . وهو متاثر بالوجدان دون العقل ، ولذا كان الغرور القومي محوره الخفي ، وكانت الخشية فيه من رؤية الخطر اقوى من ارادة التغلب عليه . فهو يعمل ضمن دائرة قطبي التفكير العاطفي : التفاؤل والتشاؤم ، بحيث يتجه الى الاول ويعرض عن الثاني ، فاذا اكتشف في الحاضر فسادا وفي المصير سوءا اعتبر البوح بذلك تشاؤما فامتنع عنه ، وادان كل من يقدم عليه . واي معنى يبقى لمفهوم النقد بعد هذا التسليم ، وهل تقوم له غاية ما في غير ادراك الخطر وتوقعه والتنبيه اليه مما يحلو لبعضهم ان يصفه بالتشاؤم ؟ وثالث هذه العوامل هو الشعور الديني اذ يخضع له هذا النقد عن اخلاص او رياء ، ويركز عليه جميع اتجاهاته الاصلاحية ، ولا يتورع عن اتهام من يتنكب هذا السبيل .

واما النقد الادبي فلغة الذاتية فيه ابرز من لغة المنطق ، اذ يحفل بآثار العلاقة الشخصية مع صاحب النتاج الادبي ، من نظرة خاصة الى شخصه ، وشعور او مصلحة فردية بازائه . ولذا ليس من الغريب ان تراه ينأى احيانا عن مناقشة الاراء لكي يتناول الصفات الشخصية التي لا دخل لها في موضوعه . وهو اذا ناقش الاراء ، فانما يناقش على الاغلب النتائج ، ويهمل مقدمات البراهين التي ادت اليها ، في حين ان المنطق يحتم ان يتركز النقاش في المقدمات لا النتائج ، لان مناقشة النتائج وحدها صورة من التفكير العاطفي الصرف .

ان حرية الفكر لفظة براقة تستهوي النفوس ، ولكن غرمها المفروض على مجهود الانسان اعظم من غنمها . ان أساسها التبعة ، وعليها ان تؤدي الى ايجاد الفكر الحر ، والا كان مفهومها خاويا عقيما كشأنه عند العرب اليوم .

محمد وهبي

بقلم جون هرمن راندل

الحركة الرومانطيكية تقف في وجه عصر العقل

ترجمة الدكتور جورج طعمة

التأكيد على الجانب الاقل حظا من العقل في الطبيعة البشرية

ان ذلك الاتجاه او تلك النزعة التي اطلقنا عليها المذهب الرومانطيكي Romanticism، كانت في الاساس رد فعل ضد تأويل الخبرة البشرية تأويلا ضيقا بمصطلح العقل وحده . كانت نوعا من التأكيد على ذلك الجانب الاقل حظا من العقل في الطبيعة البشرية ، وعلى كل ما يميز الانسان من آلة التفكير الحاسبة الباردة ، وكانت بالتالي ثورة ضد النظر الى العالم كنظام آلي واسع فحسب .. كانت تعبيرا عن الاعتقاد بان الحياة اوسع من الذكاء ، وبان العالم اكثر مما في وسع الفيزياء ان تجد فيه . كانت انصرافا الى خبرة الانسان بكل اتساعها وشمولها بدل الاقتصار على العلم وحده . ان معتقدها ، اذا جاز ان يوصف اقتناع كهذا لا شكل له بانه معتقد ، قد لخصه افضل تلخيص برغسون الذي ربما كان ذاته اول الرومانطيكيين الاحياء بقوله : « لا يسعنا التضحية بالخبرة من اجل مقتضيات اي نظام من الانظمة » ان الخبرة ، بثرائها واكوانها وحرارتها وتعقدها الى ما لا نهاية ، هي شيء اعظم من اية صيغة معقولة لها ، انها اولية ، وكل العلوم والفنون والاديان ليست سوى مختارات من ذلك المجموع الذي لا بد ان يفلت من اية شبكة ينصبها الانسان للامساك به . وبهذا المعنى نرى علومنا ذاتها ، اذ انطلقت من الاشكال الضيقة الثابتة لعلمي الرياضيات والميكانيك في القرن الثامن عشر ، واخذت تنزع بصراحة الى البحث والتجريب ، أقول حتى علومنا هذه قد شعرت بأثر الحركة الرومانطيكية ، هذا بينما نرى معارفنا عن الطبيعة والطبيعة البشرية قد ارتفعت ارتفاعا عظيما وازدادت عمقا ، وكادت تحت تأثيرها ان تضيف الى هذه الابعاد بعدا جديدا . ان فضائل النزعة الرومانطيكية هي سعة صدرها وتسامحها ، واستعدادها لتقبل اية حقيقة او اية قيمة من القيم التي يمكن ان تنكشف عنها اية خبرة ، او كما يقول William James « بالرغم من ان الماضي كان باستمرار يعلمنا ان جميع الغربان سوداء ، يجب الا نوقف البحث عن الغراب الابيض » . أما عيبها المزعج فهو انها قد تقود الناس الى عدم الاكتراث بجميع مقاييس الحقيقة والقيمة ، والى جعلهم يأبون الاخذ بتلك التمييزات التي تعتبر اساسية للحياة المنظمة ، فالرجل الرومانطيكي ، شأن السكران الذي يتقبل جميع الاشياء على انها ذات قيمة واحدة ، يعجز في اكثر الاحيان عن انتقاد خبرته وتشغله مباهج مجرد العيش عما في العيش الجيد من مباهج اعظم .

يمكن اعتبار Goethe ، شاعر الرومانطيكية العظيم ، احسن شاهد على قوتها وضعفها . لان قواه التي لا تعرف الكلل قد قادته الى كل سبيل من سبل الحياة تقريبا والى كل ميدان من ميادين النشاط البشري . فأنتج في كل منها بضعة روائع بلغت ذروة الكمال ، وكثيرا مما له قيمة . الا انه ، رغم ذلك ، لم ينتج في الشعر والعلوم والفلسفة كلا (قطعة) كاملا قط ما خلا بضع قصائد غنائية قصيرة بطبيعتها، سجل فيها عواطف عابرة . أما كتابه Faust فعلى كونه رائعا في كثير من فقراته اذا ما اخذت مستقلة ، فهو ليس قطعة من الفن مكتملة . وغوته Goethe نفسه ، يظل بعقله وعبقريته وحياته اعظم جدا من كل ما كتب . ومع انه كان يستوحي النجوم ولكنه في الحقيقة لم يرها قط . ولم يرتفع ابدا فوق مستوى الخبرة البشرية بحيث يستطيع ان ينتقدها ، ويميز بوضوح ما هو ذو قيمة منها مما ليس بذي قيمة . لذلك بينما كان يعب من الحياة ، بغناها الذي لا حدود له ، لم يكن يسمو قط الى القمم التي شاهد منها الاغريق ودانتي وشكسبير الحياة بمجموعها فراوها ذات مغزى معين للانسان ، انه لم يجد اي مبرر للحياة غ الحياة ذاتها .

ريعبر Santoyana عن ذلك بقوله :

« يقدم لنا Goethe ما هو اساسي جدا ، تدفق الحس ، وهتاف القلب ، والاراء المبدئية الاولى عن الفن والعلم التي لا تنقاد الا لساحر او عبقري ... والحق ان اعظم فضل « للمذهب الرومانطيكي » كونه يرجع بنا الى مبدأ خبرتنا . انه يذيب العرف الذي كثيرا ما يكون مشوشا ومرتبكا ، ويعيدنا الى انفسنا ، الى الادراك المباشر والارادة الاصلية . وتلك هي ، على ما يبدو لنا ، نقطة البدء الصادقة التي لا بد منها ... لكن هذا يعني ان الانسان الذي لا يملك غير هذه الفلسفة ليس حكيما ، وانه لا يستطيع ان يقول شيئا ذا قيمة ، وكل ما فيه نزوع وليس فيه اي تحقيق.. ههنا التعمق وكنه النفس ، والاستقامة ، والعناد الذيـيشبه

* راجع عدد يوليو الماضي من الاديب صفحة ٥

عناد الاطفال . ههنا أعظم انغام الطبيعة تأثيرا في النفس ، وأعظم مجموعة منوعة من القصص العجيبة والتصورات الفظيعة .،. أنى لنا ان نرسم حقا جماع خبرة لا نهائية لا شروط لها فتحددها ، ولا اهداف لها فتقف عندها ؟ لا شك ان كل ما يسعى الشاعر الصادق الخبرة ان يفعله هو ان يصور لنا بضع لمحات متفاوتة في طولها ، وكلما طالت الخبرة التي يصورها ازداد كونها مجموعة من اللمحات وتضاءلت العلاقة ما بين شطرها الاخير وشطرها الاول . لا بد للحياة الرومانطيكية ان تكون متنوعة ، غير محددة ، غير مكتملة . افلا يصح القول ان ذلك لا بد منه لكل حياة بشكلها المباشر به وان الحياة لا يمكن ان تكون عقلية وتقدمية حقا الا من حيث علاقتها بما ليس بحياة ، اي بالاشياء والمثل العليا والاراء الموحدة التي لا يمكن ان يحياها الانسان بل يدركها ادراكا بالعقل ؟ هنا منشأ العلة الجوهرية لتفوق المذهب الرومانطيكي : اخلاصه وحريته وغناه ولانهائيته . وهنا منشأ حدوده ، وذلك انه يعجز عن اختيار أي مثل من مثله العليا يوضعه موضع الثقة ، ويعتقد اعتقادا أعمى بأن الكون عنيد كعناده ، لذلك كانت الطبيعة والفن يفلتان من قبضته دائما . ان المذهب الرومانطيكي اختباري بشكل عنيد ولا يتعلم شيئا ابدا من الاختبار » .

الطبيعي لم يعد يكافيء العقلي

ينتج من هذا الاتجاه العام للمذهب الرومانطيكي بضعة اتجاهات أكثر تحديدا . فالرومانطيكيون الاوائل ، اذ أكدوا على الجانب الاقل حظا من العقل في الطبيعة البشرية ، ارتضوا بالمثل الاعلى الطبيعي Natural الذي كان معروفا في القرن الثامن عشر ، ولكنهم فسروه تفسيرا جديدا . يبدو هذا بشكل واضح جدا لدى روسو Rousseau الذي يعتبر في بعض الاحيان الينبوع الاول للحركة التي جاءت بعده ، الا ان اهميته ترجع فيما يبدو ، الى تعبيره تعبيرا شعبيا عن الاتجاهات التي كانت بذورها تنمو منذ بعض الزمن . مضى روسو في تأليه « الانسان الطبيعي » حتى ضاهى في ذلك أيا من العقليين ، ولكن رأيه فيما هو طبيعي في الطبيعة البشرية لم يكن مبنيا على نظام الطبيعة الذي تصوره نيوتن ، بل كان مبنيا على خبرته هو الشخصية . وفي رأيه ان الانسان الطبيعي ليس ذاك الذي يفكر تفكيرا عقليا منطقيا فيحكم على كل شيء على اساس ما يحققه من نفع لشخصه او لاصحابه ، ولكنه في الحقيقة ذاك الذي يشعر ويتأثر . وكان يعتقد ان الذكاء والعقل هما بالدرجة الاولى من ثمار البيئة الاجتماعية — تلك البيئة التي تتناول طبيعة الطفل المرنة وتفسدها بادخالها قسرا في قالب تقليدي لا شك في كونه غريبا عنها . « ان كل شيء يكون حسنا عندما يخرج من بين يدي خالق الطبيعة : ولكن كل شيء يفسد عندما تتناوله يد الانسان » « ليست الحكمة البشرية كلها سوى اهواء ذليلة ، وليست عاداتنا شيئا غير الخضوع ، والقلق ، والكبت . يولد الانسان المتحضر ويعيش ويموت في حالة من الرق ، فعندما يولد الانسان يسجن في قماط ، وعندما يتوفى يشد الى كفن . ويبقى مكبلا بقيود مختلف المؤسسات ما دام في قميص انسان » . « يجب ان نختار بين الانسان والمواطن لاننا لا نستطيع ان نحصل على الاثنين في آن معا » . لكن ، لما كان ينبغي للانسان ان يحيا مع اصحابه ، يجب ان يحيا حياته وفق القانون اما اذا اراد ان يبقى حرا واحب ان يحتفظ في المجتمع بالنزعات الصالحة التي انما هي نزعاته بالطبيعة ، فيجب ان تحكمه وترشده قوانين طبيعته هو . ان هدف التربية كله يجب اذن ان يكون المحافظة على الانسان الطبيعي وان يضمن ان العادات التي يؤلفها ليست تلك العادات المتكلفة التي تؤخذ من العادات والتقاليد والعقل، بل تلك العادات التي تزدهر فيها طبيعته من تلقاء نفسها ، ان نهج روسو التربوي المتقن ، المشروح في كتابه Emile يرمي الى تجنيب الطفل اي تعليم مرتب على يد كائنات بشرية اخرى . ان تربيته سلبية بالدرجة الاولى قوامها « لا ان تعلم الطفل مبادىء الفضيلة والحقيقة ، بل ان تحفظ قلبه من الرذيلة وعقله من الزلل » اذا نجحت هذه الخطة فان تربية الطفل الحقيقية سوف تنبع من النمو الحر لطبيعته الخاصة ولقواه الذاتية ، لميوله الطبيعية الخاصة . « لقد جربت جميع الوسائل ما عدا الوسيلة الوحيدة التي يقدر لها النجاح أعني : الحرية المنظمة تنظيما جيدا » . « العادة الوحيدة التي يجب ان يتاح للطفل اكتسابها هي الا يقتبس اية عادة على الاطلاق » .

ان ما يعنيه هذا ، بالطبع ، هو ان الاحكام الغريزية والانفعالات البدائية ، والغرائز الطبيعية ، والانطباعات الاولى هي اجدر بان تتخذ اساسا للعمل من كل التأمل ، والحذر ، والخبرة الناشئة عن الاتصال بالاخرين . « ليست الاخلاق والدين ثمرة للتفكير الحكيم بل ثمرة للشعور الطبيعي وقيمة الانسان لا تعتمد على ذكائه بل على طبيعته الاخلاقية التي تتألف في جوهرها من الشعور ، والارادة الخيرة هي الشيء الوحيد الذي له قيمة مطلقة » . اي ان العواطف هي العنصر الهام في حياتنا العقلية وان الانسان انما يبلغ الكمال بنمو شعوره لا بنمو ذكائه ، لان الانسان المثالي هو ذلك الذي يفيض حبا وعطفا على الاخرين وهو الذي يستلهم الشعور الديني وعرفان الجميل والاحترام» .

هذا المفهوم ، الذي يذهب الى ان الشعور هو جوهر طبيعة الانسان ، انما هو اساس نظريات روسو جميعها . فتراه يشعر بان معتقدات الدين الالهي first impressions هي معتقدات صحيحة ، ولذلك تراه ، اذ يتفق مع العقليين في معتقداته الدينية ، فانه لا يبني هذه المعتقدات على براهين عقلية بل على المشاعر الدينية التي يراها طبيعية في صدر الانسان . وكذلك تراه ، رغم استخدامه طريقة التفكير السياسي الديني الشائعة في ايامه ، يبني عقيدته الاساسية في تساوي الافراد على ما كان هو نفسه يشعر من صميم قلبه بانه صحيح . وقد اراد في كتابه (الاعترافات) ان يعرض نفسه عارية ظنا منه بانه سوف يطلع الناس اخيرا على انسان حقيقي — وهو عبارة عن صورة لا تحوي الا اليسير من الجانب العقلي .

وحتى قبل روسو كانت المحاولات الاولى للروائيين novelists قد نجحت في عرض الدور الثانوي الذي يمثله العقل في الحياة العادية . فالروايات الفرنسية الغرامية والصفات المتحولة التي وصف بها Richardson قلب المرأة فاكسبته شعبية عظيمة ، ادت الى عدد كبير من المؤلفات العاطفية التي ربما كان ابرز مثال لها كتاب « انسان الشعور » لماكنزي Mackenzie الذي يغمر كل صفحة منه بالدموع السخية لاتفه الاسباب . ومن جهة اخرى نرى

كتابا آخرين أصوب نظرا من Fielding و Smollett حين صوروا « اشخاصا حقيقيين » فقدموا اسبابا قوية تدعو الى الشك في صحة السيكولوجيا الشائعة التي تعتقد بأن الدافع الوحيد في الطبيعة البشرية هو المصلحة الخاصة العقلية .

التقاليد تظهر طبيعية حقا

كان تأكيد روسو على مشاعر البشر وعواطفهم الاصلية تأكيدا ثوري المقصد . فقد كان غرضه تحوير المؤسسات الاجتماعية حتى تنسجم وحاجات الطبيعة البشرية هذه . لكن لو اتخذ المرء الشعور لا العقل معيارا للحقيقة فمن السهل ان يحس بان العادات والتقاليد هي ايضا طبيعية للانسان وان الاقتراحات الرامية الى تحوير جوهري فيها هي غير طبيعية بل غير انسانية . وعلى كل حال ، لما كانت الثورة الفرنسية الكبرى ، بالدرجة الاولى ، ثمرة للمذهب العقلي في القرن الثامن عشر ، فان اصحاب النزعة الرومانطيكية حاولوا ان يقفوا في صف المعارضة المحافظة ، ولما كان من السهل ان تتبدل المشاعر فان الشعراء الرومانطيكيين أمثال Coleridge و Wordsmorth قد تحولوا من حماس اولي الى اشمئزاز ونفور حين قست قلوبهم تحت تأثير حكم الارهاب والحملات النابوليونية ، زد على ذلك ان من الايسر للعقائد التقليدية في السياسة والدين ان تدافع عن نفسها « بالمناشدة الغريزية للقلب البشري » بدلا من اعداد دفاع مبني على العقل ، ولذلك نجد انصار التقاليد في كل ميدان يرون في طريقة روسو ، ولو دون نتائجه ، فرصة ذهبية . ان كون المذهب العقلي يؤدي دائما الى الانتقاد والاصلاح بينما يهب المذهب الرومانطيكي لخدمة كل عاطفة ، ليس الا تأكيدا لما قلناه سابقا من ان المذهب الاخير لا يملك أي مقياس يقيس به الامور .

ان الذي استبق الجانب المحافظ من الحركة الرومانطيكية استباقا واضحا رجل لم يكن من السهل الادعاء بانه هو نفسه من انصار الحركة الرومانطيكية ونعني به هيوم Hume فانه حين هدم بدعوته الى الخبرة دفاع التقاليد الدينية المبني على العقل بل والطريقة العقلية ذاتها المتبعة في العلوم اوضح بشكل قوي جدا ان الطبيعة البشرية معظمها عادة وعرف . لان ما يبدو معقولا وبديهيا هو والحق يقال ، ثمرة للتربية والمؤسسات القائمة . فكان طبيعيا ان هذا الشك في قوة العقل لا بد ان يدفع هيوم الى الاعتقاد بان العرف والعادة هما الاساس الوحيد للمعتقدات ، فان الانسان الشاك الصادق في شكه ، الذي لا يرى حقيقة أكيدة في أي مكان ، قلما يستطيع المشاركة في حماس الثائر العقائدي ، الذي لا يعتمد الخبرة بل العقل لدعم رأيه . واذا لم نتمكن بعد هذا كله ، من العثور على حقيقة أكيدة في الدين والسياسة ، فمن المستحسن ان نتمسك بالكنيسة القائمة والحكومة القائمة ، لانها تمتاز على الاقل بكونها قائمة وموجودة . ومن هنا نرى النفوس الشاكة من Montaigne الى اللورد بالفور Lord Balfour قد كانت نصيرة لمذهب التقاليد وللاحزاب المحافظة في أغلب الاحيان . فهؤلاء لا يرون مبررا للاعتقاد بأن اي شيء آخر هو افضل من الموجود . فاذا اضفنا الى هذا الشك بالعقل المشاعر الايجابية نحو المؤسسات المعروفة العزيزة على الناس لكثرة ما الفوها ، سهل علينا ان نرى كيف اصبح المذهب الرومانطيكي حصنا للمعتقدات التي بدت وكأنها تنهار امام حملات النقد العقلي

التأكيد على الايمان ـ سندا للدين

اذا كان القرن الثامن عشر قد شهد قيام المعارضة الشديدة في وجه الاعتماد على العقل فقد شهد ، من جهة اخرى ، الاتجاه الايجابي نحو الاعتماد على الايمان . وبالطبع ظهر هذا الانكار المطلق للمذهب العقلي اول ما ظهر في اوساط الدين ، لان العقل انما كشف عن نتائجه الهدامة في الدين اولا . فاذا دنا القرن الثامن عشر من نهايته نبذ رجال الدين البعيدو النظر الذين ادركوا ما كان سينتهي اليه مذهب التنوير حتما من شك تام والحاد ضيق ، والذين كانت تقاليد البشر الدينية لا تزال هامة في نظرهم وعزيزة عليهم ، نبذ هؤلاء نبذا تاما السند الضعيف الذي كان يخيل للناس ان المذهب العقلي يقدمه للنظريات الاساسية في المسيحية ، ومالوا الى الايمان فاتخذوا منه اساسا متينا تبعا لنصيحة كل من هيوم Hume وبيل Bayle وبحثوا في التصوف ، في الخبرة الداخلية للنفس ، عن آمن حصن يقي من الكفر ومما كان يرافقه ، في نظرهم ، من الميوعة الخلقية . ظهرت حركة « التقوى » هذه ، في اول الامر ، في المانيا كرد فعل لا ضد المذهب العقلي المتطرف الذي كان يعتنقه الالهيون Deists ومن جاء بعدهم ، بل ضد المذهب العقلي الشبيه به من حيث العقم والشكلية ، أعني المذهب العقلي الرصين الذي كانت تؤمن به المدرسية اللوثرية في القرن السابع عشر المعروفة باسم Lutheran Scholasticism (1) المذهب السكولاستيكي اللوثري .

وقد تأثر Wesley في انكلترا بهذه الحركة الدينية وجعلها اساسا للشعب الانجيلي الكبير في وجه جميع درجات المذهب العقلي . واخيرا جرى تبرير الدعوة الى الخبرة الباطنية تبريرا عقليا وصيغت في قالب محكم منظم من قبل كانت Kant الذي كان لتقاليد حركة التقوى الدينية أثر قوي في تفكيره . وفي المانيا فان التناقضات الدينية والسياسية التي تراكمت في حرب الثلاثين سنة عجلت الميل الى تأكيد التدين العقلي المنظم والعقيدة الصحيحة على حساب الحياة الاخلاقية والدينية . ان المذهب البروتستانتي السكولاستيكي Protestant Scholasticism المجرد الذي أضحى الشيء الاساسي في كل من الكنيسة اللوثرية وكنيسة الاصلاح Reformed ترك الكثيرين يعانون الاحساس بفراغ كبير . وكان الرجل الذي رفع راية الثورة قسيسا لوثريا هو Spener الذي دعا الناس ، في كتاب مشهور صدر في ١٦٧٥ عنوانه Pia Desideria ، الى التأكيد على « دين القلب » ، دين شخصي يزدهر في حياة اخلاقية أنقى بدلا من الديانة الكنسية الرسمية التي كانت سائدة حينذاك . لم يهاجم Spener اي جانب من المذهب الارثوذكسي Orthodox system لكنه ادعى ان بعض

(1) وهي الفلسفة المسيحية السائدة في اوربا الغربية بين القرن التاسع والشطر الاول من القرن السابع عشر ، بلغت ذروتها في فلسفة توما الاكويني في القرن الثالث عشر .

جوانبه كانت أهم جدا من جوانبه الاخرى ، وأحب ان يمنح أهمية خاصة لتلك الجوانب التي كان لها أثر مباشر في الحياة الدينية الشخصية ، ولا سيما العقائد المتعلقة بالخلاص . كانت قيمة الاعتقاد ، في رأيه ، ما ينطوي عليه من نتائج عملية . واكد على مذهب الولادة الجديدة Regeneration واصر على ان الشيء الاهم هو تبديل الخلق بالاندماج الحي في المسيح . وانه لا يحق للانسان ان يعتقد انه ولد ولادة جديدة واصبح من المتقدين الا حين يبدل حياته تبديلا حقيقيا وحين يهيمن على سلوكه روح حب المسيح . وفي رأيه ان لب الحياة المسيحية ليس احد الطقوس الدينية الذي تديره احدى الكنائس ، بل هو الاختبار الداخلي باعتناق العقيدة والايمان بها . ان الامور الاساسية هي النقاء والتقوى وقدسية الحياة — أي الشخصية الخلقية .

« لما كانت ديانتنا المسيحية كلها تتالف من الانسان الباطني او الانسان الجديد ، ولما كان روحها هو الايمان ، ولما كانت نتائج الايمان هي ثمار الحياة ، أرى من أجدر الامور بالاهتمام ان توجه المواعظ الدينية نحو هذه الغاية . يجب ان تسير هذه المواعظ من جهة ، الى خيرات الله الكثيرة من حيث تأثيرها في الانسان الباطني ، بحيث ان الايمان يزدهر فيزدهر الانسان الباطني بازدهاره . ويجب ، من جهة اخرى ، الا تقصر على حث الناس للقيام بالاعمال الفاضلة الظاهرية ، وتجنب الاعمال الرذيلة الظاهرية ، كما تفعل فلسفة الوثنيين الاخلاقية ، بل يجب ان تبني الاساس في القلب . يجب ان نوضح في المواعظ الدينية ان ما لا ينبع من القلب هو نفاق محض فنعوّد الناس ان يتعلموا حب الله وحب جيرانهم وان يعملوا بدافع من هذا الحب » .

وقد اكد اتباع Spener على دراسة الانجيل من اجل الاغراض العملية والدينية وعلى شجب اللاهوت السكولاستيكي وحججه ، كما اكدوا المشاعر والارادة على حساب العقل ، ومحبة الكتابات الصوفية والدينية ، وقالوا بضرورة الايمان الشخصي والنمو الشخصي لبلوغ الكمال المسيحي ، واكدوا ايضا على تأليف الفرق الدينية Collegia Pietatis او الجماعات التي تعمل على الصلاة وعلى بناء الخلق . وكانوا بمثابة رد فعل ضد بعض اتجاهات القرون الوسطى ، ولا سيما في اعتقادهم بالحاجة الى الخلاص والى طريقة الخلاص ، واعتقادهم بالحاجة الى صرف المسيحي العادي عما كان يألفه من محبة الدنيا وتوجيهه نحو ضرب من الزهد والتنسك الذي يتغذى ، تنشره جماعات عاملة في العالم بدلا من الرهبان المتكفين في أديرتهم عن الناس . لكن هذه الحركة ، في تأكيدها على هذه الجماعات ، وفي مقتها لنظام الكهنوت ولنظام الطقوس ولنظام القسوسة Sacramentarianism و Sacerdotalism وفي كرهها ، في الحقيقة ، لكل ضرب من الاعتماد على ملاك الكنيسة من الوظائف الدينية المنتظمة ، كانت في كل ذلك فردية جدا وداعية ، باسلوبها الخاص ، الى التشتت شأنها في ذلك شأن المذهب العقلي ذاته . وقد استبدلت تقليدا جديدا بالمذهب القديم المنادي بصحة العقيدة . أما الذي أبت ان تتسامح فيه فهو الحياة الخالية من التقى .

ان معظم انصار مذهب « التقوى » الالمان ظلوا ضمن الكنيسة اللوثرية ، حيث لم يلبثوا ان اصبحوا الحزب المسيطر واسسوا عددا كبيرا من المؤسسات للعناية بالفقراء والايتام ، ولتعليم الصغار ولتشجيع الارساليات التبشيرية . ولكن أشد انصار مذهب التقوى هم جماعة « اخوان مورافيا » التي أسسها الكونت زنزندورف Zinzendorf اذ الفت طوائف مستقلة كنموذج للحياة المسيحية النقية واوفدت بعثات متحمسة ومضحية الى جميع انحاء العالم : من غرينلاند الى سيلان . وقد استقر عدد كبير من هذه الجماعات « المورافية » في الوسط « الكويكري » Quaker الملائم لهم في بنسلفانيا ، حيث أثروا ، شأن هولنديي بنسلفانيا تأثيرا كبيرا في الحياة الدينية الأمريكية .

كان يقود رد الفعل ذاته ضد المذهب العقلي الشكلي وضد الميوعة الاخلاقية في انكلترا رجل يدعى جون ويزلي . لكن الحركة ها هنا كانت ثورة لا ضد المذهب السكولاستيكي بل ضد مذهب الاله (المحايد او العاطل) وضد مذهب الشك Scepticism وضد اللامبالاة الدينية ضمن كنيسة انكلترا . اعتنق ويزلي Wesley « ديانة القلب » على يد جماعة صغيرة من المورافيين في لندن عام ١٧٣٨ . وبقي خمسين عاما هو واخوه شارل Charles وصديقه وايتفيلد Whitefield يقومون بحركة احياء انجيلية Evangelical في جميع انحاء انكلترا واميركا . وقد ظل معظم الانجيليين ، في انكلترا كما في المانيا ، ضمن حظيرة كنيسة الدولة حيث الفوا ما يدعى بحزب الكنيسة الواطئة Low Church ، لكن الفريق الاكثر غلوا بينهم استقل بنفسه ليؤسس « الكنيسة المنهاجية » Methodist Church . وجد Wesley ارضا خصبة لرسالته بين العدد المتزايد من عمال المصانع في الشمال ، الذين لم يفكر بضرورة الاهتمام بهم حتى انصار المذهب الانساني العقلي . ولا نغالي اذا قلنا ان الانجيليين الويزليين هم الوحيدون الذين بذلوا جهودا كثيرة ، قبل صدور قانون المصانع عام ١٨٣٠ ، للتخفيف من آلام الطبقات العاملة وللعناية بتثقيفها .

عارض Wesley الفكرة العقلية والانسانية القائلة بجدارة الطبيعة البشرية وقيمتها ، واصر على صحة المذهب القديم القائل بالخطيئة الاصلية ، وبالهبوط . « ان هبوط الانسان هو الاساس الوحيد للدين الموصى به . فاذا تخلينا عن فكرة الهبوط انهدم البناء المسيحي ولم يعد له نصيب من التكريم أكثر مما لحكاية منتحلة ببراعة » .

ولذلك كانت قوة النعمة الالهية عن طريق الايمان بيسوع المسيح ، ضرورية لكيما يحيا المرء حياة اخلاقية ومسيحية . والنظرية العقلية التي ترى ان الوحي لا ينفع الا في توضيح معرفة واجب الانسان ليست ابدا بالنظرية الملائمة ، لان الانسان لا يحتاج الى المعرفة وحدها بل يحتاج الى القوة للعمل على هديها . ولهذا اكد ويزلي على كامل النظرية التقليدية القائلة بكفارة المسيح وبافتدائه ، وهاجم فكرة الدين الطبيعي ذاتها . ان الذي يكتفي بفضيلته الذاتية ، ويحيا حياة شريفة مستقيمة نقية ، ولكنه لا يتكل من اجل الخلاص على المسيح وحده ، هذا الرجل هو أخطر الرجال . لان امام اكثر الناس انغماسا في الخطيئة املا في النجاة ، اذ يمكن ان نجعله يحس بفساده وضعفه ، وحاجته الى نعمة الرب ، أما الرجل المستقيم الذي يتباهى بقوة حجته ومتانة أخلاقه فانه ضائع لا محالة . ان الرجل المتدين عندما يؤدي واجبه ، لا يفعل ذلك كما يفعل الرجل العقلي الذي يعتبر الواجب ارادة الله ، بل هو يؤدي واجبه بسبب من تجربة دينية واضحة حية وشعور دائم بقوة الاله وخيره .

« كل هبة من الخير تأتي من عند الله . وتأتي الى الناس بواسطة روح القدس . ولن يكون فينا من الخير سوى ما تعطيه لنا هذه الروح الطيبة . وهل نملك اية معرفة صحيحة عما هو خير ؟ اذا كنا نملك مثل هذه المعرفة فان ذلك لا يرجع الى ادراكنا الطبيعي لان الانسان الطبيعي لا يستطيع تمييز الاشياء التي تأتي من روح الله ، لذلك لا يمكننا قط التعرف على هذه الاشياء حتى يظهرها الله لنا بواسطة روحه » .

واذن ، فالعقل عاجز ، والمعرفة الصحيحة الوحيدة تأتي بواسطة اداة روحية خاصة ، أعني الايمان .

« الايمان هو ذلك الدليل الرباني الذي به يتعرف الانسان الروحي على الله وعلى ما لله . انه بالنسبة الى العالم الروحي كالحس بالنسبة للعالم الطبيعي . انه الاحساس الروحي لكل نفس تولد من الله ... والى ان تصبح في حوزتك هذه الحواس الداخلية ، وحتى تفتح عيون عقلك لن تستطيع ان تفهم الاشياء الالهية فهما صحيحا ولن يتكون لديك اية فكرة عادلة عنها . ولن يكون في وسعك بناء على ذلك ، ان تحكم عليها حكما صادقا او انتفكر فيها تفكيرا سليما. ذلكلان عقلك لن يجد اساسا يعتمد عليه ولا مواد يبني بها » .

فالايمان والايمان وحده فيه الغناء . وكل حجة عقلية تنهار سواء اكانت الى جانب الحقيقة الدينية أم ضدها .

من هذا يبدو لنا ان جميع الدعوات الى الايمان التي جاءت دعما للتقاليد الدينية قد آلت الى تقليد جديد أعني : المذهب الانجيلي Evangelicalism . وقد كان هذا المذهب ، لا المذهب الكالفيني القديم ، هو الذي انتشر في انكلتراوامريكا اثناء حركات الاحياء الديني العظيمة في مستهل القرن التاسع عشر ، وان هذا المذهب الانجيلي المخالف كثيرا لمذهب القرون الوسطى ولمذاهب عهد الاصلاح ، هو القوي الان تحت اسم « المذهب الاساسي » Fundamentalism وان ملامحه الرئيسية هي بالدرجة الاولى نتيجة لرد الفعل ضد المذهب العقلي في القرن الثامن عشر . لكن ما هو تأثيره بصورة عامة ؟

« وضع حدا للمذهب العقلي العقيم الذي ساد في القرن الثامن عشر ، واستبدل بالبراهينالعقلية خبرة مباشرة وبالمعرفة غير المباشرة معرفة مباشرة في حقل الدين ، وبذلك ضيق الخناق على انصار مذهب الشك Sceptics الذين كان المدافعون عن الدين عاجزين عن التغلب عليهم . واعاد للمشاعر اعتبارها . وأعان رد الفعل الذي حدث في القرن التاسع عشر ضد المذهب الفكري الضيق الذي ظهر فيالقرنالثامنعشر، وأعطى الدينمعنى جديدا وقيمةمستقلة به وشجع الفردية والتحرر من ربقة النظام الكهنوتي ، زد على ذلك كله انه نشط الدين واحياه في كل البلاد . ومن جهة اخرى ، اعاد ثانية الشيء الكثير من النظام القديم بما في ذلك الكثير من ملامحه الشديدة التنفير ، التي كان المذهب العقلي قد احالها الى نسيان كان يظن انه ابدي . وعندما اعطى تفسيره للانسان وحاجاته فانه حول وجهه عمدا نحو الماضي بدلا من النظر الى المستقبل . وزاد بروزا نقطة الخلاف بين المسيحية والعصر الحديث واذاع القول بأن ايمان الاباء لا ينفع اولادهم . ولما اخذ الكثير من الناس يعتبرون هذا المذهب هو والمسيحية شيء واحد ، فان ضيق أفقه ورسمه القرون الوسطى الظاهرة فيه وغلبة العاطفة عليه وضآلة حظه من الفكر ، ونزعته الغيبيةالفجة ، وتمسكه الحرفي بالتوراة ، وعدم تلاؤمه مع الفن والعلوم والثقافة الدنيوية بصورة عامة ، كل ذلك جعل هؤلاء الناس يشيحون بوجههم عن الدين ، بصورة ثابتة ، وبالرغم من العمل العظيم الذي انجزه المذهب الانجيلي فان نتيجته في كثير من الجهات كانت احدى الكوارث » .

الايمان سندا للاتجاهات الثورية

لكن بينما كانت الدعوة الجديدة الى الاخذ بالايمان بدل العقل تجد تعبيرا لها في هذه الحركات الشعبية الكبيرة الرامية الى احياء المذاهب المستوحاة من التقاليد الدينية القديمة كانت في الوقت ذاته اداة انقلابية قوية جدا ايضا . ذلك ان مشاعر الانسان الطبيعي وعواطفه وحدوسه ، اذ جعلت المصدر النهائي لكل معرفة او مطمح ، كانت تنتهي بسهولة الى مبادىء واتجاهات من شأنها أن تقوض النظام القائم . فان كان امثال سبينر وويزلي يدعون الى الاخذ بالحدس والايمان سندا للقديم ، فقد استطاع رجل كروسو ان يستخدمها بنفس السهولة لتأييد شوق عارم الى نظام جديد . وعندما استولت روح الحركةالرومانطيكية في اخر الامر على قسم كبير من الطبقات المثقفة أدرك المتدينون التقليديون ادراكا تمازجه الدهشة ، ان الايمان كان شيئا اشد مراسا واصعب قيادامن العقل،الخطر نفسه، وانه ، اذن اقل صلاحا من العقل لان يتخذ اساسا لبناء نظام مستقر عليه . لان خبرة الناس الداخلية لم تكن تقودهم جميعا الى النتائج التي انتهى اليها بولص Paul وويزلي Wesley ، بل ، على العكس ، ادت الى نشوء مجموعة كبيرة من الديانات والفلسفات الجديدة والغريبة التي لم تشهد مثيل لها في البر ولا في البحر . وفي زهوة العهد الرومانطيكي كاد يبدو ان حدوس كل انسان هي قانون لذلك الانسان ، وكنت ترى حتى الافراد اثناء عبورهم جسر الحياة من الشباب الى الشيخوخة يذيعون العددالوفير من الرؤى الجديدة المتعددة الالوان عن الانسان والعالم ، وهي رؤى محببة جميلة شفافة تشبه بالوانها وسرعة زوالها ذلك الحباب الطافي على وجه الماء عندما يتساقط عليه النور . لذلك لم يكن عبثا ان الكنيسة الكاثوليكية كانت دائما تفضل المذهب العقلي الذي لا يمكن ضبطه ، ملطفا بالاصرار على مقدمات معينة تفرضها فرضا ، على خبرة الفرد التي لا يمكن ضبطها ، وكانت تنزل امثال توماس Thomases من رجالها منزلة اسمى من منزلة المتصوفين منهم ، مرتابة حتى باوغوسطين ذاته أصل جميع الهرطقات. فلما جاءت الثورة الفرنسية واثارت حفيظة المدافعين الحقيقيين الكبار عن الماضي رأينا بيرك Burke ودي ميتر De Maistre ينبذان المذهب العقلي لرجل كبنتام Bentham كما ينبذان الحدس الذي يدعو اليه روسو أو امثاله ، ويلتجئان الى نداء التقاليد التي خلدها الزمن والى سلطانها النقي .

ان النتائج الثورية المكنة التي ينطوي عليها الدين

[التتمة في صفحة ٧٤]

الجامعة الاميركية بيروت
جورج طعمة

فـــراغ

لوسى سليمـــان

الجامعة الامريكية ببيروت

قالت حبةُ التراب لأختها :
« عطشى أنا يا أختاه ، عطشى... لِمَ لا أرتوي ؟
تيبّساً أحسُّ في كلِّ ذرةٍ من ذراتي ،
وكنتُ منبتَ الورود تحت قدميها ،
فأين هي ؟... أين هي ؟ تدوسني قدماها ؟... »

* * *

وقالت شجرةُ التفاح بعد ان سمعت نحيب التراب :
« ويحي ! مَن يشبعُ جوعي ؟ ويكسو عُريي ؟...
لقد جفَّ ماءُ الحياة من قلبي ،
وكنت الضياءَ في عينيها ، والرجاءَ في قلبها ...
فأين هي ؟... أين هي ؟ تنظرني عيناها ؟... »

* * *

وانحنى البلبلُ على اذن الشجرة فهمس قائلاً :
« لقد غنّيتُها ألحاني صلواتٍ وتسابيح ...
وأنشدتها أغانيَّ ممزوجةً بدم الفؤاد ...
كانتَ الوترَ الفضيَّ لانغامي المفرحة ،
والنايَ الكئيب لالحاني الحزينة ،
وفجأةً بُحَّ صوتي ، واختنقت النغمة في حلقي ...
فأين هي ؟... أين هي تنعشني بابتسامتها ؟... »

* * *

وتململَ القلم وصاح بصوتٍ متهدجٍ ، متقطع
« كانت تهزُّني بأناملها ، فأهزُّ العالم بصريري ...
وتجنو عليَّ بضمةٍ ، فأرى الدُّنيا كلّها في قلبي ،
فلماذا ؟... لماذا جمد الدَّمُ في عروقي ؟...
ولماذا ؟... لماذا يبست الكلماتُ على شفتي ؟... »
وما زالت :

حبّةُ التراب على أنينها ...
وشجرةُ التفّاح في نحيبها ...
والبلبلُ في أحزانه وآلامه ...
والقلمُ في تحسُّره وتأوهه ...
حتى أجدبتِ الارض ...
ومحلت السماء !...

ثورة الوجودية في شعر خليل حاوي

بقلم الانسة عفاف بيضون

لا شك اننا معذورون ، اذا نحن اعلناها صرخة من الاعماق ، تقر بسأمنا من الشعر العربي ، وعدم اكترائنا بالحديث منه . فهذا النغم الواحد الذي تخضع له كل قصيدة ، وهذه القافية الواحدة التي ينتهي عندها كل بيت ، لم يعد في وسعنا ان نتقبلهما ، بعد مؤالفتنا لموسيقى الغرب ، واطلاعنا على تخوف الشعراء هناك ، وتعدد محاولاتهم للتخلص من مزاحمتها الخطيرة . ولكن ، هل ذلك الشكل التقليدي الجاف عندنا ، الذي يقف حائلا دون جمال الكل ، ويجعلنا من ثم نكتفي باصالة الاجزاء والابيات ، هل هو في الحقيقة غير ازدواج رتيب ، قد اوجدته حياة الصحراء ، وجزئياتها المشرقة ؟ او ليس لهذا كله قد جاء مستساغا فقط ، حيث كان يماشي بساطة وسذاجة بدائيتين ، وحيث كان الشاعر الفطري على اتصال مباشر بنضارة الطبيعة والوجود ؟ ثم او ليس لهذا كله ايضا ، قد قبلنا به على مضض ، من شعراء لم يعمقوا في دقائق الحياة ، ولم يرسلوها نظرة شاملة ، وتحملنا من اجل ذلك تقريرهم المزعج ، وتحجر شعرهم في قالب المناسبات ، لننتخب الابيات بعد الابيات ، اذا كان هناك ثمة من انتخاب ؟ اما اليوم واليوم بالذات ، وقد تضخمت القيود المهترئة ، وفنيت معاني الشكلية الجوفاء ، وتراكم التفنن الصوري ، الذي يدل على براعة شعرية ، ومقدرة تخيلية ، على حد قول النقاد عندنا ، وتوسعت اخيرا تلك العاطفية السقيمة ، التي تتمدد في تعميم خطابي عقيم بعيد عن الالفة التي نحبها ، فالمشكلة اذن تتطلب حلا جازما ، وانتفاضة معقولة .

وهكذا تبدأ خطورة الحل منذ الخطوة الاولى : لم يعد في وسعنا ان نرضى بالقليل ، بل لم يعد في امكاننا ان نتقبل القليل . او لسنا قد جئنا متاخرين كثيرا في عالم عتيق وعتيق جدا ، على حد قول الشاعر الرومنتيكي ؟ اولسنا قد ابتعدنا ابتعادا كليا عن السعادة البدائية ، وعن غبطة الخضوع القديم بما فيه من آلية جافة ؟ وهذا الحديث المتواصل ، الذي اوجدته النفس مع ذاتها ، واخذ الانسان الواعي – كما قال ارنولد – يواجه تحت تأثيره مشاكل حديثة مزعجة ، ويكابد من جرائه تساؤلات هملت وفوست ، ويشاهد بتأمل مر مدى حيرتهما واضطرابهما ، أليس هذا كله بعيدا وبعيدا كثيرا عن مفاهيم الشعر عندنا ؟ ... انها انتفاضة عنيفة تلك التي نريد ! انها انطلاقة تجتاح الجذور ، وتذهب بما تبقى من رواسب القديم الجاهلي ! انها دراسة لمشاكلنا وتعمق في محاولات الغرب ، حيث لا معنى للهدوء والاقتناع ، وانما تجدد لا يقف ، وصيرورة متواصلة ! انها في النهاية ثورة على كل تقليد ! ... وهكذا نرى ان القضية ليست لتحل بتداعي صور معتمة وتمثيلها واقعا اليما ، على ما في ذلك كله من تأثير ، ولكنه في اغلب الاحيان تأثير فاتر بليد . وليس المقصود من التحرر اقتحام الشعر الحر ، او تخطي الوزن الواحد ، والقافية الواحدة لنقع من جديد في رتابة ودوران ممل . ثم ان المشكلة بعد هذا كله ، لم تعد تتحمل طرافة في النغم ، وابتكارا في حدود الالفاظ ، وانما هي بحاجة ماسة الى صحة التعمق ، حتى نتخلص نهائيا من تلك السطحية الهوجاء ، التي كانت ولا تزال اولى مميزاتنا المرضية .

نريدها من الاعماق ! نريدها تمثيلا لهذه الدراما الذاتية العنيفة ، التي تحرك كل انسان واع متعمق في اشكاليات الحياة ! نريدها تجربة انسانية جريئة ، قد صهرتها في حدود التعبير الشاعري ، صور متتابعة ، وانغام الفة مؤاتية ، تتنقل بنا من انين وتمرد ، الى هدوء وسكون ، الى عصف يسيطر على النفوس ، ويهز الاعماق ، وهذا ما حققته – دون مغالاة في التأكيد – قصائد الشاعر خليل حاوي ... ولكن ، اوليس من الصواب ، وقد وصلنا الى هذه النتيجة ، ان نقف قليلا عند شعر الشاعر نفسه ، محاولين تفهم الاتجاه الذاتي فيه ، والتجدد الاصيل المنبعث من صميم هذا الاتجاه ؟ هذا ما سنجرب القيام به ، وسوف نرى طيلة محاولتنا الموجزة اننا امام تفجرات وجودية عنيفة ، تعبر عن تعمق في النفور الروحي ، من اجل امكانيات تضج بالتناقض والجفاف والواقعية المقيدة .

واول ما يلفت نظرنا في القصائد كلها ، وثبات صورية متتالية تفاجئنا بانطلاقها من عالم الهذيان والامكان ، الى عالم الوجود الصرف ، بما فيه من حدود هاربة ، وصيرورة لا تفهم الا على اساس من تجدد اللمح ، وتتابعه الخاطف . ولكن هذه الجزئيات وحدها لا تكفي لتدل على التجربة الانسانية الوجودية التي نحن بصددها ؛ وهكذا كان لا بد لها من تأرجح النغم ، وانسجام التمدد في مطلق الابهام ، لتتقرب الى نفوسنا ، وتشركنا في قلقها الذاتي ، وتحيرها المتواصل ... وتطالعنا الصورة الاولى بحرمانها المضطرب ، فاذا نحن امام رياح مدوية ، ودروب مظلمة ، وازدواج مخيف وتساؤل متتابع نردده مع الشاعر قائلين : (1)

(1) قصيدة « حرمان » – الاديب – ابريل ١٩٥٦ .

في ليالي الضيق والحرمان
والريح المدوي في متاهات الدروب
من يقوينا على حمل الصليب ؟
من يقينا سام الصحراء ،
من يطرد عنا ذلك الوحش الرهيب
عندما يزحف من كهف المغيب
ويلف الشارع المحموم والحي الكئيب
ويثور الجن فينا وتفاوينا الذنوب :
ان في بيروت دنيا
غير دنيا الكدح والموت الرتيب ،
ان فيها حانة مسحورة
خمرا سريرا من طيوب
للحيارى في متاهات الدروب

اجل من يقينا سام هذه الحضارة التي احالت الفرد الى الة ميكانيكية مقيدة ؟ من يقينا نغمها الكادح الوحيد ، ورتابتها المنبسطة بثقلها كامتداد الصحراء بحرها وخمولها؟ واخيرا من يخلصنا من موتها البطيء ، وقد تنكرت لمبدأ الحرية الاصيل في مفهوم الوجود الانساني ؟ ويزحف الطرف الاخر من عامل الثنائية في مدينتنــــــــا ، ويلف الشارع المحموم ، وينتصب امامنا هامسا بوجود حانة مسحورة قد تريحنا مما نشكو منه ، ولكن ، من يقوينا على حمــل الصليب ؟ من يطرد عنا ذلك الوحش ، ويطرد معه عبوديته المظلمة ؟ من يخلصنا من خصب اجوائه ، وغنى ايحاآته ، وهمساته التي تتمدد في النهاية ، وكأنها تحاول القضاء على كل صراع روحي في نفوس حيارى الدروب الضيــــقة ؟ وتضطرب الانغام بعد ذلك ، وتتراكم الصور المخيفة لتقودنا الى صميم القلق الوجودي، بما فيه من هذيان ورعب وجدار يتداعى وينهار على الصدور . ويضمحل الوجود في جو هذه الحمى المضنية ، وتفتش الذات اخيرا عن خلاصها ، وتتذكر الصبح القريب علها تجده فيه ، ولكنها ما تلبث ان ترتد مذعورة امام جبروت النهار ، وعبودية الطواغيت :

رد لي يا صبح وجهي المستعار
رد لي ، لا ، اي وجه ؟
وجحيمي في دمي كيف الفرار ؟
وانا في الصبح عبد للطواغيت الكبار
وانا في الصبح شيء تافه ، ءاه من الصبح
وجبروت النهار .

وكيف لها الا ترتد ناعية تفاهة حالها ، واضمحلالها وسط دوامة من القيود القاتلة ، وقد تذكرت على سبيل المقارنة ، عالم الظواهر المادية ، بما فيه من فقدان للتجدد ، وافتقار الى كل فعل وجودي حقيقي ؟ وكيف لها بعـــد ذلك كله الا تقر بموتها ، وقد ظهرت امامها صورة الوجود الصحيح ، بما فيه على حد قول هيدجر ، من تمرد على كل انقياد ، وتهافت على الاختيار الذاتي الحر ؟ ويزداد النغم توترا ، ويعاودنا التحير المرير بتضخم صورته ، وذوبان محاولته ، فنتساءل مرددين مع الشاعر :

انجر العمر مشلولا مدمى
في دروب هدها عبء الصليب
دون جدوى ، دون ايمان بفردوس قريب ؟
عمرنا الميت ما عادت تدميه الذنوب

والنيوب ،
ما علينا لو رهناه لدى الوحش الرهيب
او لدى الثعلب في السوق المريب ،
وملانا جوفنا النهوم من وهج النضار
ثم نادمنا الطواغيت الكبار :
فاعتصرنا الخمر من جوع العذارى
والتهمنا لحم اطفال صغار
وغفونا غفو دب قطبي ،
كهفه منطمس اعمى الجدار .

انها الذات وقد بلغت الغاية من القلق على امكانياتها ، مع ما في ذلك كله من اشكال وثنائية مضنية ! انه الجفاف الروحي ، وقد اغلق عليه في هوة جردت من كل نور وكل ماهية وتصور ! انه تخبط قد حرم حتى من دراما المجازفة في مفهوم الفلسفة الوجودية ! ولكن ، اني لهذه الذات ان تخاطر وتتقدم ، وقد كبلتها الالية الحديثة ، وصرفتها عـن كل تعال فعلي ، وحركة لازمة ؟ ثم ما قيمة هذا الاقرار الجارف بالموت المتغلغل في النفوس ، والمجموع البشري قد تنكر لهذين الاتجاهين ، واخذ يتشبث بما حوله من اشياء تكيف سعادته اليومية ؟ ما قيمة هذا كله والشعور بالوجود امر نادر ونادر جدا ؟ وهكذا نعود الى عامل الثنائية الذي فوجئنا به مع مطلع هذه التجربة الوجودية ، ولكنها عودة فيها الكثير من صحة التخوف على مصيرنا الذي نتعثر فيه . وتطل علينا الطواغيت الكبار من جديد ، ويتهيــأ الوحش الرهيب للزحف نحونا ، ويتنازع هذين العدوين ازدواج في القافية ، جاء معبرا كل التعبير عن توتر الانفعال النفسي الذي وصلنا اليه . وتتماوج الانغام المتمردة للتقرب مـن الواقع الاليم ، ويعلو نداؤها مضطربا ، وتعاودنا اخيرا صورة الجدار بكثافته وظلمته ، فتنتفض الذات القلقة على نفسها، لتواجه بتهكم صوري مر ، ذلك الموت الذي لا بد من الاقرار به . وتنلفت كعادتنا الى مشاركة الالفاظ المنبعثة من صميم التجربة ، فاذا بنا نجرب ان نغفو اغفاءة الدب القطبي ، ونكتفي بكهفه المنطمس الاعمى الجدار ، ونحاول بهذا كلـه ان نقضي نهائيا على كل تساؤل وفضول ، وخصوصا على عامل التعجب الاصيل في بداية كل نظرة وجودية .

ولكن احتيالنا على النوم لم يطل كثيرا . وهكــذا فشلت محاولتنا ، وفشلت خصوصا تلك الذات التـي قادتنا مضطرة الى ظلمة الكهوف . وهل هناك شيء ادل على اخفاقها ، من تأجج صراعها الروحي من جديد ، وقد اخذ يضطرب ويتلاطم امام مناظر البؤس والجفاف ؟ وهل هناك شيء اوضح على صحة انفعالها وتخوفها من تفجرها مشفقة ناعية ، وقد تضمنت حولها ، على سبيل فاعلية المشاركة اليومية ، امكانيات مقيدة ، وحشرجات متعالية ، واجترار مقيت ؟ ويشتد الحنين المتوثب الى الخلاص ناشدا موتا جديدا ، وحياة افضل ، فتندفع الذات الملتهفة علـى امكانياتها ، منقبة مترامية عند تساؤل الاعماق ، صارخة باستنكار وتمرد : (٢)

ومتى يمهلنا الجلاد والسوط المدمى ؟ فنموت
بين ايد حانيات في سكوت في سكوت .

(٢) قصيدة : « دنيا تموت » . الاديب : فبراير ١٩٥٦

انها صرخة مفعمة بثقل التحير ، وامتداد الاشتياق ! انه تساؤل قد استنفدت ماهيته امام ضغط الثنائية وغرابتها ! انه اخيرا تمرد مملوء بحمى العطف ، ومجازفة الخلاص! وهكذا يعاودنا القلق الذاتي عنيفا جارفا، فيضمحل تحت تأثيره ذلك الموت الذي نتمنى ، ويفلت منا هاربا في البعيد البعيد ، ويتدهور وجودنا المرضي في جحيم النفايات ، فتنتصب الذات المهمومة بهذا الاحتضار المثير ، وقد تملكها سأم نافر من كل تفاهة وكل انقياد ، وتنطلق ثائرة مستمدة من تهكم الالفاظ ، ورعب الصور ، عالما مقيتا يضج بالواقعية والتحدي . وتتعالى الانغام المضطرمة في جو هذا البحران الكثيف مرددة بتساؤل مر ، وانفعال عميق:

ومتى يخجل مصباح الخفير
من مخازي العار
والدمع المدوي من سرير لسرير ؟
ومتى يحتضر الضوء المقيت
ويموت
عن بقايا خرق شوهاء ،
عنا ، عن نفايات المقاهي والبيوت
حشرت في مصهر الكبريت ،
في مستنقع الحمى ، رست في جوف حوت...

ويزداد البحران تشبثا بالحقائق وتحكما بها ، قاضيا على كل اشراقة في الصور ، وكل انتعاشة مكيفة بعامل الماهيات والمثل، فتندفع الذات بين توتر الانسجام، وازدواج القافية ، وعتمة الكهوف والخفافيش ، لتقر بتناقض مصيرها ، وتخبطه في هوة العدم :

كل ما اذكره اني اسير
عمره ما كان عمرا ،
كان كهفا في زواياه تدب العنكبوت
والخفافيش تطير
في اسى الصمت المرير
وانا في الكهف محموم ضرير
يتمطى الموت في اعضائه عضوا فعضوا ، ويموت
كل ما اعرفه اني اموت
مضغة تافهة في جوف حوت

ولكن ، هل هناك شيء ادل على صحة النفور الحقيقي، في مفهوم النظرة الوجودية ، من هذا التخوف المرير على سقوط الموجود ، وما يتحمل هذا السقوط من نقص في الامكانيات ، وتعلق ضروري بالظواهر ؟ ... وهكذا نصل الى الطرف الثاني في مبدأ الانتفاء ، حيث يبلغ القلق اوجه ؛ فتضمحل ذكرى الماضي ، واشراقة المستقبل ، وتتعطل كل حركة ، ويتوقف الزمان ، وينتصب الان ثقيلا كالصخر :

في مداه لا غد يشرق ، لا امس يفوت
غير آن ناء كالصخر على دنيا تموت .

ونتطلع متسائلين مفتشين عن ثورة الذات في هذا الخضم المخيف ، فاذا بها تتراجع امام تحد دفين ، وهدوء عميق ، وتسام في المحاولة لذوبان مطلق ، ونفور كلي ، واذا بنا امام بحار مريض ، ومطرح رطب لاماتة الحواس ، ودرويش عتيق ، وانطلاقة واعية في بحر معتم (٣) ، واذا بنا اخيرا امام خلق شعري متعال ، وقصيدة تتخطى الحواجز والحدود لتحتل مكانها بين اجمل القصائد الغربية على الاطلاق . وهل هناك شيء اوضح على صحة تفوقها ، في مفهوم النظرة الجمالية من ذلك التآلف الكلي بين امكانياتها الفنية ، وصورها المعبرة ، مع ما تتحلى به هذه الصور من خيال خلاق ، وهزة جديدة مؤثرة ، وانغام متأرجحة تأرجح خفايا النفس وانهزامها المتواصل ؟ وهل هناك شيء ادل على مطلق قلقها ، على حد التعبير الوجودي من هذا النفور التام ، الذي تجاوز حدود الموجود الصرف ، وانطلق متمددا في جذور التراث الفكري ، حيث تصوف الشرق العريق ، وديناميكية العالم اليوناني الروماني القديم ؟ ثم اوليست هذه المحاولة التي نحن بصددها ، بما فيها من تراجع الذات امام اجواء تنبض بالحياة ، ومن عودة نهائية الى البحر برياحه وموته واكفانه الزرقاء ، اوليس هذا كله دليلا قاطعا على تعمق في السأم والتحدي من اجل تراث يضج بالطين والموت المحتم ؟

خلني ماتت بعيني منارات الطريق
خلني امض الى ما لست ادري
لن تغاويني المواني النائيات
بعضها طين محمى
بعضها طين موات
آه كم احرقت في الطين المحمى
آه كم مت مع الطين الموات
لن تغاويني المواني النائيات
خلني للبحر ، للريح ، لموت
ينشر الاكفان زرقا للغريق
مبحر ماتت بعينيه منارات الطريق
مات ذاك الضوء في عينيه مات
لا البطولات تنجيه ولا ذل الصلاة .

ولكن ، اوليس هذا التحدي الدفين بما فيه من مجازفة وجودية لا مسوغ لها ، وبما فيه من اطراح لكل بطولة وصلاة ، اوليس ، مع هذا كله ، ومن ناحية ثانية ، برهانا كافيا على تعمق في الشعور الذاتي ، وردة روحية نحو الوجود الصحيح ؟ ...

وننتقل الى تفهم العنصر الجمالي في هذه القصيدة، فيطالعنا ذلك الشكل التعبيري ، الذي اكدنا على اصالته في كل شعر وجودي ، ونحاول ان نتمثل عالم الطين الموات ، حيث رمي بحارنا المريض ، بعد ان راوغته الرياح ، فيتمدد الشرق العريق بميكانيكيته وتصلب خموله ، وصوره التي اتخذت طابع الوجود الصرف — ان صح هذا التعبير — لما فيها من افعال ونعوت تساعد على تحقيق الجزئيات المحسوسة ، والتخلص من كل تجريد ، ولما فيها من حس لفظي ايحائي وكلمات بسيطة ، تذكرنا بقربها من عالم الامكان ، وبعدها عن كل تزييف وتصنع ، ولما فيها اخيرا من اتساع في الاجواء ، وغنى في القوافي ، واثارة في التحليق . وتفاجئنا صورة الدرويش العتيق بابداعها وطرافتها ، ونتلفت نحوه ، وقد استفاق مستجيبا لالحاح البخار ، وتساؤله عن يقينية المعرفة ، فاذا بنا امام جمال

[التتمة في صفحة ٦٨]

عفاف بيضون

(٣) قصيدة : « البحار والدرويش » . الاديب يونيو ١٩٥٦

من جديد

○

تعبنا من الاقاحي
من فوح الزهر
تعبنا من الورود
من هز السحر
في الشوك حيا
مثل الحصى
حكينا
مشينا كما تمشي الضفادع
سكنّا كالارانب
نخاف من لسع الشتا
كما كنا .. مشينا
ظننا النمل كما قلنا
بنينا كما ذكرنا
عدنا الى دنيا
دون أن نحيا
جعلنا الصخر لنا
ما عرفنا
نصنع الاها للسما
آخر صنع مثلنا

★

على تلة بلادنا
نزرع السنديان
في الوادي
نقص أجنحة الاغصان
ننتظر رجوع الراعي
نقلع الاقصاب
نسويها
نحفر فيها النقر
نبعث هزّات
في بلادنا
من جديد
من التلة عند الغروب
نلم الطيور
نعلمها كيف تسود
نرفع مناقيدها
تنقّ على الحديد
في بلادنا
من جديد
نلم الزرع
نحصد ألنصر
مع الحي مع الميت
نبعث شيئا
في بلادنا
من جديد

ثريا ملحس

اتجاهات الادب اللبناني

تعود نشأة الادب العربي اللبناني الى اواسط القرن الماضي ، حين انفتح لبنان على الغرب وانفتح الغرب على لبنان . واذا كانت النهضة الاوروبية في القرن السادس عشر قد اتصفت بالعودة الى التراث الاغريقي اللاتيني، فان النهضة الادبية اللبنانية قد اتصفت بالعودة الى التراث العربي القديم مع بعض التاثر بآداب الامم الاوروبية في المسرح والقصة ووحدة الموضوع في القصيدة الواحدة ، ومعالجة الابحاث بطريقة موضوعية . على ان هذا التاثر ظل خارجيا سطحيا بالقياس الى تقليد اساليب البلاغة عند ائمة قدماء المنشئين كالحريري وبديع الزمان وابن المقفع والزمخشري، او عند كبار الشعراء المدرسيين كالاخطل والبحتري وابي تمام والمتنبي وابن هاني الاندلسي . ومن هنا قد يصح اعتبار ادب قرن التاسع عشر رجعة لا نهضة. اذ ليست الرجعة في الادب الا الاغراق في تقليد القدماء دون الالتفات الى الحاضر والتطلع منه الى المستقبل . واذا استثنينا بعض اعلام النهضة كفرح انطون والشميل وصروف وزيدان ومطران ، واضرابهم ، لم يبق لنا من اعلام تلك النهضة الا امثال مؤلفي مجمع البحرين والترادف والمتوارد.

وفي اعقاب الحرب العالمية الاولى برزت على مسرح الادب اللبناني اربعة اتجاهات رئيسية هامة : الاول تزعمه خليل مطران في مصر ، والثاني تزعمه جبران خليل جبران في الولايات المتحدة الاميركية ، والثالث تزعمه فوزي المعلوف في البرازيل ، والرابع انشاه اديب مظهر في الوطن الام . فالاتجاه الاول نحا في الشعر نحوا رومنطيقيا خالصا بتأثير شيلي وكيتس وبيرون ووردثورث من الانكليز، ولامارتين وهيغو ودي موسيه من الفرنسيين . فاذا بالشعر العربي يشهد للمرة الاولى وحدة الموضوع في القصيدة الواحدة ، واسلوب السرد القصصي ، والحنين الى العصور الغابرة ، والتشاؤم من الحال القائمة ، وايثار المعنى على المبنى ، والميوعة الوجدانية الخائرة . ولعل تأثر مطران بملتون وشكسبير وهيغو مع تملكه زمام البلاغة العربية ، هو الذي اضفى على معظم شعره ثوبا كلاسيكيا فخما بز به اقرانه وبرز عليهم .

اما الاتجاه الثاني فقد كان رومنطيقيا ايضا ولكنه لم يكن رومنطيقيا خالصا . اذ امتزج عند جبران وزملائه واتباعه بالنزعة الحلولية والصوفية التي لم يسلم منها سوى ابي ماضي — لانتمائه الى مدرسة مطران ، وامين الريحاني — لتأثره بالروح الاميركية المعاصرة التي انعكست اكثر ما يكون في شعر وولت هويتمن . ومن شأن هذا الاتجاه الجبراني انه ادخل الى الادب العربي تعابير جديدة لم يعهدها من قبل ، كما نأى به عن المحسوس والملموس الى عالم الرموز والصور الكلامية .

واما الاتجاه الثالث ، وهو الذي شق طريقه فوزي المعلوف بشيء من التاثر بجبران ، فلم يخرج عن الطابع الرومنطيقي الا بقدر ما اثبتت شخصية فوزي اللبنانية الاصيلة وجودها وحققت ذاتها . ولو كان قد أتيح له النضوج الكامل لقهر ، في الغالب ، نهجه الوجداني الغائم وانبرى للكلمة الصعبة يروضها في صبر واناة ويجلو اسرار معانيها في شغف الواله المحب .

على ان هذا الذي لم ينحه القدر لفوزي المعلوف اتاحه لاديب مظهر . واديب مظهر ، كفوزي المعلوف ، لم يعش طويلا . الا انه استطاع بالقليل الذي تركه من شعر ان يطلق تيارا ادبيا جديدا في لبنان ، بل في العالم العربي باسره ، عرف بالرمزية خطأ وما هو في الواقع الا شعرا جديدا فحسب . وجدته كانت في انه حمل اللفظة العربية غير ما تعودت ان تحمل من معنى ، ثم اومأ بهذا المعنى من بعيد . وبذلك خلق جوا شعريا لا يعكر صفاءه النثر المقفى الموزون . واليك قوله :

وتسري قبيل المساء تناجي
دموع السهى ودماء الغروب
هنالك حيث تحل الاماني
غدائرها وتنام الطيوب .

فمتى كان في الشعر العربي ، قبل هذا القول ، مساء يناجي وعيون تنام كما ينام البشر ؟ بل متى كان للسهى دموع ، وللغروب دماء ، وللاماني غدائر ؟

ثم كان ان عمرت ندوة الادب اللبناني في الربع الثاني من هذا القرن بتلامذة اديب مظهر في الشعر والنثر ، ومن ورائه معلموه هو ، اعني امثال البير سامان وبودلير ورامبو وملارمه حتى الانتهاء بفاليري . فاذا بهذا الاتجاه الجديد يطغى على الادب اللبناني ويطبعه بطابع عرف به بين آداب سائر اقطار العالم العربي . وليس من شك في انه اطلع شعراء وكتابا لبنانيين تعدى اثرهم حدود لبنان الى كل بلد ناطق بالضاد . ولكنه عجز ، كسواه من الاتجاهات اللبنانية الحديثة ، عن اطلاع شاعر او كاتب عالمي واحد ، بدون استثناء جبران .

هذه هي ، بايجاز اتجاهات الادب اللبناني في الوقت الحاضر . بقي ان نقول عن هذه الاتجاهات انها ، بالقياس الى ما يزخر به العالم المتحضر من اتجاهات معاصرة ، قد اصبحت وراء التاريخ بنصف قرن . فاين نحن الان مثلا من واقعية اودن ولويس ماكنيس ، او رمزية وتصويرية عزرا بوند وت.اس. اليوت ، أو سيريالية اديث سيتويل ودلان طوماس . واين نحن في النثر من وجودية سارتر وكامي ، او واقعية همنغواي وفولكنر ، او سيريالية تنسي وليمس وترومان كابوتي ؟ فكأنما الادباء اللبنانيون عائشون في غير هذا الجيل ، أو كأنما هذا الجيل بمشكلاته وتساؤلاته والاخطار المحيقة به لا صدى لها عندهم . فهم لا يطالعون بانعام نظر ولا يدرسون بمسؤولية وتعمق . وهم فوق ذلك لا يعيشون حياة الادب ولا يكرسون جهودهم له. فتراه دائما بالنسبة الى مشاغلهم الشخصية والاجتماعية على الهامش . ومن كانت هذه حاله ، هيهات ان يقوى على افتضاض المعاني البكر ، او ان يصبر على ترويض العسير الشاق ، او ان يقنع بغير الرائع الكميل .

على ان توقف الادب اللبناني عند هذه الاتجاهات الاربعة لن يدوم طويلا . فمجرد التحسس به الان ايذان بانطلاقة جديدة نحو اتجاه جديد — اتجاه يتجاوب مع واقع الحياة الصاخبة ومعطياتها العنيفة الزاخرة ، ويصارع مشكلات الانسان الحاضر ، ويتفاعل مع اتجاهات سائر اداب العالم المتحضر ، ويعي مشكلة الازدواجية القائمة في اللغة وعيا يضع حدا لها ، ويخلق اسلوبا جديدا للتعبير الصادق الحي .

يوسف الخال

قبيه

رصاص
في مقمر الليل
عبر التلة ، عبر الطريق ،
على الجدران يصطك ويقرع ،
خلال الابواب والنوافذ يطلب
القلوب والامعاء ،
رصاص
من وراء الحجارة ، من على الاسطح،
عبر الطرقات ، من وراء اكياس
الرمال ،
من النوافذ العمياء ، رصاص
ينثر رياحين الدم في الحجرات
يلصق زخارف منه على كل حائط ،
رصاص وجلغنايت
يقذف بالجثث الى أنياب الضباع .

✶

القمح زرعناه لا لنحصد
والعناقيد سقيناها لا لنشرب
ونوّار البرتقال عبثا عطّر ليلنا ،
ودمنا في التربة الحمراء
وعلى الصخور ،
وأيدينا ابحثوا عنها تحت جحافل
النمل .

✶

اغلقوا الابواب
احكموا النوافذ
صدوا القمر
امنعوا الليل ،
ولكن الابواب من خشب ،
والنوافذ صنعت لا لتصد
الهواء والقمر
والجلغنايت
وأنياب الضباع ،
والقلب حديد ، ولـكنه للرصاص
والجلغنايت والانياب
أوهى من الخشب

✶

ذراع فاطمة حول حسن
وحسن تَضَمّخ من الدم
وابو حسن لم يبق منه
الا قنباز من خرَق
ابحثوا تحت الحجارة عنهم
واجمعوا الذراع الى الجسد .

✶

القمح زرعناه لا لنحصد
والعناقيد سقيناها لا لنشرب
ونوار البرتقال عبثا عطّر ليلنا ،
ودمنا في التربة الحمراء
وعلى الصخور ،
وأيدينا ابحثوا عنها تحت جحافل
النمل .

✶

رصاص
يصك الحجر
وجلغنايت
والليل يتلوى مزَقا
بين اشجار الزيتون ودوالي العنب.

بغداد **جبرا ابراهيم جبرا**

قصة فلسطينية

اقوى من الموت

بقلم محمود السمره

لعل من الخير ان اخفي الاسماء الحقيقية لابطال هذه القصة ومكانها ، حتى لا اسبب لهم حرجا ، كما ان القارىء العزيز لن يخسر شيئا بهذا الكتمان ويكفي القول بانها حدثت في مكان ما من هذا العالم العربي ، الذي يعيش فيه مليون مشرد فقدوا كل شيء .

★ ★ ★

القى ممدوح عصا الترحال، واستقر بمدينة (ن) ، بعد ان اخرجه الفزع من بلدته وحيدا ، لا يملك غير بضعة مئات من الجنيهات لا يدري كيف استطاع ان ينجو بها ، وهو على كل احسن حالا من كثيرين غيره لم يخرجوا بشيء سوى الاطفال والنساء والمسؤوليات والفقر ... وهنا افتتح له دكانا يبيع فيه ما رخص وغلا للنساء والفتيات . ودكانه حديثة العهد ، بدأ بها بعد الهجرة بثلاث سنوات ، بعد ان تأكد ان الوعود لا تعيد وطنا سلب ، وبعد ان علمته التجارب المرة صدق المثل الذي حفظه كالببغاء في مدرسته القديمة « ما حك جلدك مثل ظفرك .» وعاش ممدوح حياته الخاصة في عزلة وعزوف عن الناس ، شأن من يخفون في نفوسهم اسرارا لو تكشفت لفاقت ما تبدعه اخيلة القصصيين .

وكان ذات صباح من ايام شتاء قارس البرد ، عندما وقفت بنية صغيرة لا تعدو الثانية عشرة ، محملقة في واجهة دكانه ، وقد الصقت جبينها بالزجاج ، وعيناها الخضراوان الجميلتان تبحثان عن شيء معين بين المجموعة المعروضة : خواتم ، واقراط ، وعقود ... كلها صناعية ، ومناديل ، وعطور ، وملابس نسائية ... وكانت بين الحين والاخر تدق الارض بقدميها الصغيرتين ، وكأنها تحاول ان تطرد منهما البرد القاسي الذي لا يرحم بشرتها الرقيقة . واخيرا نصبت قامتها الصغيرة ، وكأنها قررت امرا ، ثم اتجهت نحو الباب ، وما ان فتحته حتى رفع ممدوح عينيه ليصافحهما منظر الفتاة الصغيرة ، وقد وضعت يديها على طاولته :

ـ اتسمح لي برؤية العقد ذي الخرزات الخضر ؟

فمد يده اليسرى ، وفتح الباب الزجاجي ، واخرج العقد ، ووضعه امام الصبية الصغيرة . وكان من الواضح انه قد اعجبها ، اذ كنت تستطيع ان تقرأ السرور ممزوجا بالاعجاب مخطوطين على وجهها . وسرعان ما ارخت قبضتها المشدودة على منديلها الصغير ، وفكته ، ثم القت ما فيه على الطاولة ، وطلبت منه بثقة واطمئنان ان يلف لها العقد.

فنظر ببرود الى عشرة القروش الملقاة امامه ، واشاح بوجهه ، ولكنه احس بعيني الصبية الخضراوين البريئتين تخزانه وخزا مؤلما ، فتنكأن في نفسه جرحا كان قد اوشك ان يلتئم، فعاود النظر اليها ، محدقا في عينيها ووجهها وكأنه يحلم .. في امر بعيد ؟

ـ ما اسمك ؟

ـ امل

ـ ولمن تريدين ان تشتري العقد ؟

ـ لاختي التي تكبرني ، والتي تحبني اكثر من نور عينيها ، وغدا عيد ميلادها ، واحب أن أهديها شيئا.

وعرف منها ان عائلتها تركت بلدتها فيمن ترك ، زادهم في هذا الآمال العراض . وحطت بها الاقدار في هذا البلد. وفيه فقدت والدتها ثم والدها، وتزوجت اختها من ابن عمها ، لاجيء مثلها ، وهي الان في رعايتهما . اما أقاربها الاخرون فعمتها في بيروت ، وابناء عمتها في مصر وخالها في الكويت ووو...

قصة الآلاف من ابناء هذا الشعب الذي شرد تحت كل كوكب ، فضاق بهم البشر ، رغم حب امنا الارض ، وجودها بالعطاء . لقد جربوا التشرد والاقامة بين من يضيقون بكفاءاتهم وغرورهم فعرفوا قيمة الوطن. عجبا للانسان ، لا يدرك حقائق الامور الا بعد فوات الاوان ... طافت هذه الخواطر وامثالها في ذهن ممدوح ، قبل ان يعود بافكاره الى الفتاة المنتظرة ، ليتناول العقد فيضعه في صندوق لطيف ربط عليه شريطا اخضر ، ثم يناوله لها :

ـ احرصي عليه ، واياك انتضيعيه في الطريق .

ـ اطمئن .

وابتسمت في وجهه ، ثم جرت خارجة من الباب . وراقبها من خلال الزجاج وهي تختفي من امام عينيه ، وباختفائها ازدحمت مخيلته بالافكار المتلاحقة . ان شيئا في (امل) هذه قد اثار فيه كوامن اشجانه ، ونكأ آلام جراح قد اوشكت ان تندمل ... عيناها الخضراوان خضرة مروج بلدته وشعرها الغني غنى سنابل القمح فيها ، ذكرته بسنوات قريبة مضت كان فيها يحب فتاة وهبها كل ما وهبته الطبيعة من حب واخلاص وتفان ... العينان الخضراوان خضرة الارض التي قابل فتاته في الطريق اليها ذات ربيع جميل ، والشعر الغني غنى سنابل القمح التي كانا يسعيان اليها بعد ان خطبها لنفسه . واخذا يعدان العدة لبناء بيت الزوجية السعيد ، ولكنها خرجت ذات صباح من عام ١٩٤٨ لحاجة لها ، ولم تعد . لقد ذهبت بالحبيبة الراحلة رصاصة غادرة ، لا يتورع الاعداء الجبناء عن تصويبها الى صدر فتاة جميلة بريئة. وجاهد للانتقام للوطن والحبيبة ، فاحتسب لهما بمناه التي انفجرت بها قنبلة مما كان يصنع ، وهو المسترخص في سبيلها حياته . ثم اخرجته

عيـــون

ه

عيونـك أنشودة بايمائها الناعم
أحسّ ابتهالاتها على ثغريَ الباسم
فأشرد عبر المدى مع النغم الهـائم
كأنيَ في زورق ببحر السنى عائم
اردد لحن الهوى وبي حيرة الواجـم
كساها الاله جمالا من الازل القـاتم
وكحّلَ أعطافها بمروده الحـالم
وارسلها فتنة الى العاشـق الساهم
فجُنَّتَ ليالي الهوى على القدر الجاثم

مصطفى محمـود
من اسرة الجبل الملهم

المؤامرات فيمن اخرجت ، وعاش في وحدته آملا ان يعود لبيته وذكرى حبه ، ولكن الاعوام تمر ، والامـال تبهت ، والوحدة القاتلة تملك عليـه خناقه ، وهو بعد لم يزل في نهايـة العقد الثالث ، سن الامال الكبار ...
لا مؤنس له في لياليه الطويلة غـير اجترار ذكرى الدنيا العريضة التـي فقدها . ويخرجه من تأملاته دخول نسوة ، يرهقنه بطلباتهن ، ومساومتهن، وصياحهن ...

وحل المساء ، واستعد لاغـلاق الدكان ، عندما اقتحمته عليه شابة لا يذكر متى ولا اين رآها قبل الان ، ثم عرف العينـين الخضراوين خضرة الكرمل في الربيع ، والشعر الفنيغنى سنابل حي الزيتون . ودون ان تتكلم تناولت من محفظتها عقدا خرزاتـه خضر ، ومعه شريط أخضر وضعتهما أمامـه :

ــ هل هذا العقد من دكانك ؟

فرفع راسه اليهـــا ، ونظر في عينيها بلطف ورقة ، ثم هز راسه .

ــ وهل تذكر لمن بعته ؟

ــ بالتأكيد ، يا سيدتي . لقـد اشترته اختك لتقدمه لك يوم عيـد ميـلادك .

ــ وكم يسوى ؟

مضت برهة ، ثم اجاب بصـوت جـاد :

ــ جنيهين

ــ جنيهين ! ومن اين اتت لك امل بهمـا ؟

فاطرق براسه ، ثم تناول العقد ، ولفه كما كان ، واعاده للسيدة قائلا :

ــ لقد دفعت لي شقيقتك ، يـا سيدتي ، أثمن ما يدفعه انسان ... دفعت لي كل ما تملك . وران صمت على جو الدكان الصغير .. وكان في عيني السيدة حيرة ، وعلى وجهـه يقظة وعودة للحياة ، وأمل ، ورغبـة في العمل ...

حدث هـذا منذ خمس سنوات ، وامس وصلت الي رسالة من صديقي ممدوح ، وهو الذي لا يكتب لاحـد ، كلها بهجة وسرور ، يذكر لي فيهـا ان غرضه من الـكتابـة الي هو ان يبشرني بخطبته لامل ، وان الزواج سيتم في منتصف مايو ... « لا تعجب ، يا صديقي ، فان الحب أقوى حتى من المـوت فقـد كنت ميتا ، فاعادتني عيناها الى الحياة...الحياة المليئة بالآمال والاعمال . لقد قررنا ان نتزوج في اليوم الذي شهد مأساتنـا وعارنا ، لننجب ولدا بل فرقـة مـن الاولاد يكبرون ، ويتعلمون ، ليصبحوا فيما بعد جنودا في الحرس الوطني ، يحتفلون في منتصف مايو من عـام آت بعيدين : عودة الفردوس المفقود، وذكرى حب أقوى من الموت ... »

الـكويت — محمـود السمره

همسة الى الجامعة

للآنسة هبة الوادي



سلاما ايتها الجامعة التي ما برحت ميدانا واسعا يتعلم فيه المرء ابجدية الواجب والصمود ! كم ذا تشب فيك الاراء والنزعات على أسس متينة من الحرية والابتكار، فيتصل بنوك بلغة التفاهم الروحي وتنجلي غيوم جهلهم وقيودهم ، وتطرب ارواحهم مبتسمة امام مرآة الحقيقة التي لا تعرف الانعكاس في غير اعماق الجنان !

بين جدرانك الجليلة تصغي المسامع الى الاصوات الفخمة التي تنبه التوق الى الانطلاق ، وتفتح آفاق المشاهد بين أودية العالم ، حيث تتناسق الافكار العظيمة ممتدة بين أبراج العزة المعنوية التي تتغلغل في ثنايا القلوب ! وفي اروقتك السمحة تتقارب غرائب الوجود وتوسعك تيها كلما شهدت الانخطاف الماثل في اعين تملأها المعرفةعمقا واتساعا ، فلا تتجردين لحظة عن الشعور بالمتعة الفنية التي يوفرها الشغف بصنوف العلم .

انت التي بوسعك ان ترقبي تولد النفوس العزيزة ، وهي تودع حداثتها نامية في حلة قشيبة من النضج والادراك ، وفي أعطافك الكبيرة تعلو الاخيلة وتهبط ، وتتباعد الافكار وتتلاقى ، وكأمواج البحر الخاشع عند قدميك ، ترغي النفوس وتزبد ، وتكتنفها الدورات الجامحة السالكة ابدا طريقا واحدا ، حيث لا همسة غير همستك المرددة : « ان العبودية مقت والتمرد نبيل . بعينك الهادئة تنظرين تذمر الضعيف وانتصار القوي وتواكل الطفيلي ، وانت واحدة الهيئة امام التهليل والانين والاسترحام ، والقدرة الخفية منك لا تنفك ملقية على كل عاتق حملا مبدية ملامحها في تلك الشخصية العامة التي يغرق في قوتها كل عجز وتخاذل .

يا ناشرة النور المتدفق في ربوع الشرق ، يا هذه التياهة المملوءة مهابة وجلالا ، كيف تحجبين اقران الخلود في خفاياك ؟ وكيف تعلمين أبناء الحياة تذليل الصعاب وتضعين في صدورهم النفوس القوية الجميلة ؟ بل ماذا توحين اليهم حتى ليتمنوا ان يجرحوا وتسيل دماؤهم في عراك الحياة الشريفة ، وكان صورة الواقع المهدم الكئيب لا تعرف طريقا الى المخيلة المشبوبة والعزيمة الشهمة !

بين جدرانك الساهية تستيقظ الاحلام محلقة فيعالم الروعة والبهاء ، فلو نطقت السنتها لكانهناك جميع أصناف الناس ، لكان الخامل والنابه والمتفائل والمتطير ، وذو النفس الابية وذو الشخصية العادية ، تنشرين بيدك على هيئاتهم جميعا سمات الذكاء والتوازن .

هوذا الحالم في زاوية من زواياك بين هجسه وتخيله، كان في روحه صبابة وانتعاشا !

وهوذا الذي لا يمشي الا قابضا قلبه بيده من هم وقلق !

وهذا الذي يحمل دون الناس الغاز الحياة واسرارها في ادعاء وصلف !

وهذا المنتقد الضاحك الذي يدرج في ايام تكتسحها اضواء الافراح !

فواحد يبتغي الفوز بالحذق والعمل ! واخر يعتمد على القدر مقتنعا راضيا !

وجميعهم امام بحرك العظيم ، ينقلب تفكرهم شعورا ، وتنسحق ارواحهم ازاء جبلك الراقص الهامة بين الغيوم والثلوج ! جميعهم يا حامية ذمار الجمال يتساءلون كيف تتعالى فيك معاني الحياة الوهاجة ؟ وكيف تنشر خيوط الشمس في انحائك خيالات الوجد والسناء ؟ كيف تفعل ذلك في أشد الفصول جهامة ؟

كل ما فيك جليل أيتها الجامعة ، غير ان هناك ما هو أشد جلالا ، هناك ذلك الشعور بالتضاؤل والفناء امامموكب العظماء ممن نقشوا وجه الحياة بميسم البقاء والخلود ، حيث يكون الضجيج ازاءهم صمتا وخشوعا ، وحيثتستمر المنى في العيون الفتية الطامحة لان تقفو على آثار المجد والسؤدد .

ان الزمان فيك يتابع مسيره ، وتربتك المنضمخة بالشذى تلاشي يد الدهر وتدوسها بقدم طاغية ، وكل من مر عليك من الناس متتابع متواصل ، وحتى اللحظات الشجية والساعات المضنية هي هي معادة في كل سنة من سنواتك المديدات ، انما انت العظيمة التي تتكىء على مرفق البقاء ، ولا تحفظ في صدرها من الذكرى غير ما ابتهج بسناء الفكر .

غدا يكون بين ابنائك السعيد الذي تبسم له الدنيا ويساعده الحظ في جميع شؤونه ، ويكون المغبون الذي تمزق نفسه الافتراءات والمظالم ، غدا يكون الصالح والطالح والمسالم والشرير متساوين امام ما سوف تلقي به الحياة من الاختبارات والعواطف والانفعالات .

غدا يروع أحدهم بؤس هذا الشرق ، فيتساءل منذا الذي ظلمه وافقره وعراه وأذله ؟ ولا يلبثالتساؤل ان يصير شعورا وينقلب الشعور تجلدا فثباتا فمجدا ..!

وغدا يذهل الاخر ما يجول في النفس البشرية ، مما يسعدها ويعذبها ، فيبحث عن الغاية التي من أجلها وجدت ، وقد يقوم من يجد في نفسه استعدادا لجني حضارة العالم منقبا ، ويعمد من تعذبه الروحانية الحارة الى الشغف بالدين ، وسوف يكون هناك من يصدح طربا وينتشي ظفرا ، ومن يردد الناس اسمه ترنما ، وهناك من سوف تشده الارض اليها بوثاق ، وتضع حول عنقه قيود الحديد .

سوف تجافي الحياة بناءك ايتها الجامعة ! سوف تسود صحائف العمر من ابيضت فيك صفحته ، وقد يصبح من كان فيك عبد الواجب عبدا لاهوائه ، او قد تتغلب دلائل الشهامة على من وجدت منه تخاذلا ، ويسطع الاسم المغمور الذي عاش في كنفك فيصير نبراسا هاديا .

كل ذلك من اجل ان تعنف الحياة فراستك وتناقض بمنطقها منطقك ، من اجل ان تبقي وحدها صاحبة الجزم والنهي في ابنائها ، وتستنشق القابلية متمتعة دون غيرها بالكفاءة والنبوغ .

دافنشي العالم الفنان

بقلم جورج دولباني

*

كانت النهضة الاوروبية عبارة عن ازدهار عظيم في الاداب والفنون ، وانقلاب هائل في نواحي الحياة الفكرية والفنية ، وكانت آية بعث او ميلاد جديد شمل جميع مرافق الحياة في القارة الاوروبية وخاصة في ايطاليا .

ازدهرت الفنون في ايطاليا بشكل لم تعهده منذ العصور القديمة . فبحث رجال الفن عن الجمال في النحت والرسم بحثا دقيقا ، وازدادت اهميتهم واشتهر امرهم حين اخذ امراء ايطاليا مثل «مديتشي» يكرمونهم . وقد انتج الفن الايطالي ما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر الذين انجبتهم ايطاليا ثلاثة هم « ليوناردو دافنشي » عددا كبيرا من روائع الفن ، وكان اشهر ابطال هذه الروائع و « ميكيكل انجلو » و « رفائيل » ، فكانوا عمداء نهضتها الفنية .

وجد « دافنشي » في هذا العصر حيث كان الصراع الفكري القديم والحديث قائما على قدم وساق ، وحيث كانت رجعية الاقدمين تسيطر على عقول اغلب افراد المجتمع حينذاك ، تلك الرجعية التي كان النضال سجالا بينها وبين عصر النهضة ، تلك الرجعية التي كان يغذيها كل من السلطة الاقطاعية والنزعة الدينية اللتين كانتا تعملان جاهدتين للحيلولة دون امتداد ذلك النور الجديد والقبس الساطع الذي طغى وغمر كل ما حوله من اثار قديمة وباقية .

قلنا وجد « ليوناردو » في هذا العصر ، وكان قد ولد من ابوين غير متكافئين ، من ام فلاحة واب محام ، فتناولت الطبيعة الرجل والمراة بيدها الصناع وصاغت آيتها الكبرى ، فكان ليوناردو ... — ! ولكن والدا الاب ارادا ان يحولا دون زواجه من تلك الفلاحة الوضيعة النسب ، فعملا على تزويجه من فتاة من اسرة كريمة ، فاضطر الاب ان يشتري ابنه — وكانت هذه عادة مألوفة في زمانه — الذي هو ثمرة الحب من امه ، ويعترف بابوته له !

ونشأ الفتى في ضيعة الاسرة قرب فلورنسا ، وتحلى بذاك الريف الجميل حتى انطبعت على صدره اشجار الصنوبر والجداول الملتوية والنجود الحالمة والازهار البرية ، لتبرز فيما بعد في تلك الدرر الخالدة من المناظر التي زين بها رسومه .

ولم يكن يؤذن له في ان يعرف امه ، لذلك استعاض عن الحنان والعطف اللذين كان سيجدهما في احضان امه ، استعاض عنهما بالتجوال بين احضان الطبيعة — امه الكبرى .

واطلع والده على اول صورة له فرأى من خلالها عبقرية كامنة ، فوكل به شخصا يدعى « فيروكو » كان ملما بكثير من الفنون ، كالتصوير والنحت والموسيقى والهندسة والتاريخ الطبيعي ، اقتبسها « ليوناردو » كلها واصبح فيما بعد استاذا فيها .

وكان « ليوناردو » يماشي اعلام الرياضيين والفلكيين حيث يلتهم كل ما عندهم من علم ، فدرس علوم الرياضة والطبيعة والتشريح ، لا على انها زيادة على فنه ، بل على انها جزء منه . فهو لا يرى فرقا جوهريا بين العلم والفن ، فكلاهما عنده اداة لوصف هذا الكون الذي خلقه الله .

وتتجلى عظمة « دافنشي العالم » في التاريخ الطبيعي ، حيث شرح الكثير مما لم نعرفه سوى منذ وقت قريب ، وحيث بين بان العين عدسة ، والقلب اشبه بمضخة ماء ، وان النبض مطابق لضربات القلب ، وكثير من الاشياء كان قد عرفها واثبتها قبل اربعمئة عام من معرفة العلماء لها .

وكان « دافنشي » في العلوم العسكرية عليما بكل مثالبها ، حيث كان يستطيع صنع مدفع مؤلف من ٣٣ ماسورة ، تنطلق كل احدى عشرة دفعة واحدة . وحيث عرف صنع القنابل المخروطة واليدوية ، ووضع تصميم لقنابل الغاز ، كما اخترع البندقية الحديثة ، وحاول غزو الهواء فوضع تصميما لالة طائرة اشبه بالفراشة ، وحاول الطيران مرة بطائرة شراعية كان قد صنعها بحذر وتكتم شديدين ولكنه اخفق ، فلم يحاول مرة اخرى ..! وابتكر جهاز الغوص وحزام النجاة ، ووضع تصميما لغواصة كبيرة ثم اتلفه « خوفا من ضرر الغواصة » ..!

وكان دافنشي قد اهتدى قبل زمن « جاليليو » بقرن الى ان الارض ليست مركز الكون ، وانما تدور حول الشمس في مدار بيضاوي ، وان الارض ما هي الا كوكب صغير بالنسبة للنجوم ، وان النجوم « عوالم بعيدة » وهي اكبر جدا مما تبدو ، وان الشمس ليست الا احداها .

بل لقد اهتدى الى النظرية الذرية للمادة حيث يقول « سيخرج من جوف الارض ذلك الذي سيذهل لهول انفجاره كل القريبين منه ، ويقع الناس موتى من انفاسه ، وتسحق المدن والقصور ..! »

هذا ما عرفناه بالنسبة « لدافنشي العالم » ، اما بالنسبة اليه كفنان ، فقد كان كذلك بهذه القوة الجبارة والعظمة الخالدة على مر العصور ، هذه العظمة التي بقيت وستبقى طالما هناك فن حي وفنانون احياء .

كانت صور « دافنشي » تعبر عن نفسية فنان يعشق الحياة ويعبدها ، ويظهر ذلك جليا عند تقليب صفحات رسومه العديدة حيث يصور كل نوع وكل جزء من انواع واجزاء هذه الحياة . فهنا ملامح فتاة راكعة تصلي ، وهنا يرسم القلق العصبي كما يتبدى في عنق صعلوك معروق ، وهناك يصور مرح طفل يلعب .. ومئات من الرسوم التي

سوف يتدفق ابناؤك في سيول الحياة متشعبين بين جلاميد قاسية وانحدارات وعرة ، وعندئذ سيلجاون اليك ، الى تلك الطاقة المرنة التي يسكب العلم قالبا منها في كل نفس ، فكوني لهم البسمة المذكية فيهم مشاعر العطف والرعاية ، واحملي اليهم صورة الامل المتجدد ، فمنك استمد الابناء قوى التبصر والارادة ، وانت وحدك التي مثلت لهم جناحي نسر محلق في بعيد المدى !.

وهذا عذر بنيك اذا ما اكبرك احدهم وحمل منك في مسمعه نداء كالتغريد حلاوة ، واذا ما توغلت مثاليتك في انحاء النفس واحالت خذلانها فوزا وضعفها قوة وصحراءها المجدبة واحة الواحات !!

الجامعة الامريكية بيروت — هبة الوادي

قصة سورية

خيط من الدمع

بقلم عادل ابو شنب

*

الوجوه مختنقة بالالم المكبوت ، والزقاق قصير ، والاسماء غريبة !

وجدناه .. كان يحبنا ، اما كنت تحبنا ؟ وقام يأخذ الاكف يصافحها ، نحن نعرف ان توددك غريب ، بلا ظلال ، وان الاشياء التي تخنق نموها قد علمتك كيف تخاف الناس ، وكيف تأخذ الاكف .. تصافحها في حرارة مفتعلة ، وكان رائحة الشاي الذي قدمته .. لم تنسنا شيئا ، وانما نبهتنا الى كل شيء ..

انا ، لم ارك ولم ار وجهك اول الامر ، ولكنها رأتك وقالت لي همسا :

— امرأتان تنتظرانه ..

وكانت الرائحة مقرفة ، الصبيتان المنتظرتان غائرتي الوجنات ، باديتي النحافة ، وكنت لا تقوى على ان تقول الكثير ، لانهن يتهافتن عليك ، يردن لو تفعل سريعا من اجلهن . ومرت بجانبك ، فدست في راحتك شيئا ، واخذته مساوما :

— بل مائة ليرة .

— كثير ..

— الفضيحة اكثر !

وجفلت الاهداب المثقلة بالهواجس السوداء ، ثم تكاثفت علامة الاستسلام ولا شيء غير التسليم !

وجاء دور احدى الصبيتين ، وكان بطمئنها ، وان بدت في عينيه اشياء قلقة ، لم يمسكها عن الخروج انشغاله في مزج الدواء المرتقب !

ودفع الينا بقدحين من الشاي الساخن وهو يقول :

— ربع ساعة فقط .. ولا شيء يستحق الدموع !

• وما تكلمت ، ان لساني ينكمش دائما من الاشياء الساخنة ، والشاي الساخن ، ولكن كلماتها كانت تخمرت في رأسي أشد سخونة ، واكثر تعقيدا ..

ورحت انظر الى وجهها الحزين المكفهر .. الحلو ..

كانت قالت لي :

— اليك ما فلعت .. وسبعة شهور باقية لن تطول ، وسوف تظهر على حقيقتك !

ولقد كنت نظرت الى موضوع معين من جسدها .. فما رأيت شيئا ، وانما خيل الي ان انسانا جديدا يتكون ، وان الوجه قد اكتمل ، يلم الابتسامة البريئة ليدفعها في كلمة صغيرة :

— بابا !

تصور نفسية كل فرد في هذه الحياة ، اذ ان دافنشي لم يكن ليهتم باظهار شكل الشخص الذي يظهره في رسومه بقدر اهتمامه باظهار نفسية هذا الشخص واظهار العوامل التي تختلج بين اعطافه .

لقد صور (ليوناردو) الحياة ورسمها بمئات الرسوم ، صورها بكل ما فيها من افراح واحزان ، من قوة وضعف ، من جمال وقبح ، رسمها بكل ما فيها من عظمة وكمال وبساطة ونقص ، رسمها بكل ما فيها من فناء وخلود .

لقد رسم المئات من الرسوم ، كان أعظمها تلك الصورة المسماة «العشاء الاخير» والتي رسمها على جدار قاعةالطعام فيدير فوق ملاط لا يصلح للالوان ، فما انقضت عشرون سنة حتى كانت الرطوبة قد سرت فيها ، وحتى كان التعفن وتقشر الجدار قد شوها الصورة ، ثم شق فيما بعد باب في الجدار بلا اكتراث للرسم . وقد اشتغل الكثيرون باعادة الصورة الى ما كانت عليه ، ولولا ذلك لما استطعنا ان نعرف بأية عاطفة كون ليوناردو فكرة العشاء وكيف ابرزها .

وهناك صورة اخرى ايضا رسمها ليوناردو في اواخر حياته تعد من اروع الصور التي وجدت وستوجد في هذا العالم الا وهي « الجيوكوندا » . وهي صورة لسيدة نبيلة من اهل فلورنسا تدعى « ليزا جيراردينى » وقد رسمها في ثياب سوداء لانها كانت حزينة على ولدها المتوفي من عهد قريب . وكانت « مونا ليزا » — كما يدعونها — في الحادية والعشرين حين بدأ ليوناردو يصورها واتمها بعد ستة اعوام ..! وهي أشبه ببعض من كان يحلم بهن في يقظته منها بامرأة حقيقية ، وهي تبتسم ابتسامة غامضة تحوي معان مختلفة لا تدري ما يريد منها ، فقد رسمها واظهر فيها كل ما تحويه النفس الانسانية من عواطف عميقة ، من حنان ولطف وقداسة وغموض وثقة وسخرية .

واخيرا كان « ليوناردو دافنشي » يتمتع بشهرة قليلة بالنسبة لعلمه الغزير ، وذلك لعدم وجود الاشخاص الذين يعرفون بهذه العلوم في عصره ذاك ، اذ كانوا يسخرون منه حين يسمعونه يتكلم عن مشاريعه — الخيالية — ولكنه كان يتمتع بشهرة سامية جدا بين رجال الفن ، مع انه لم يكن قليل المنافسين حينذاك، اذكان معاصرا لبوتيتشللي ورفائيل وميكيل انجلو جبابرة الفن في ذلك العصر الذهبي .

دمشق — جورج دولباني

وشملني فيض من الخوف المفاجيء .. أن اكون ابا ، فذلك ما لم يكن ليخطر على بال ، وغير ذلك فهي تتوجع .. واشياء جديدة تضغط على جدران معدتها !

وهمست وجلا :

ــ اتعرفين احدا ؟

وكانت تعرف ــ لا ادري كيف تعرف ــ لانها اخذتني الى زقاق قصير .. وسخ ، وضغطت بسبابتها على جرس البيت الاخير .. جرس بيتك .

ودبت الطمانينة في اعصابي عندما دخلت ، وان كنت قد تشنجت من التفكير في البطن المكور الذي سينطفيء وفي صدرك الذي سيضم سرا اخر ، لو اتيح له ان يفتضح ويمشي على افواه الناس لكان اسما جميلا لطفل رائع .. كامل .

وبدا لي وجهك ناقصا غير مكتمل ، وفرحت لانني تصورت لك عذابا كثيرا .. لا يحتمل ، حتى تمثلتك تقوم في حلكة الليل مذعورا على اصوات ، لا تتبين مصدرها ، وان كنت تعرف انها صادرة عن بطون قد عملت فيها .. كثيرا .

وكان يجلس الى الجانب الاخر امراة صغيرة ، عيناها واسعتان ، وكنت اتلهف الى ان اقول لها شيئا ، ذلك لان الذبح يعمل حثيثا في دماغي ، ولان الشفاه الدقيقة التي تخيلت انها تهمس :

ــ بابا .. بابا !

قد كبرت في عتمة تفكيري فاستحالت الى اشياء غليظة تنهش من العضلة الصغيرة التي ما زالت تنبض في جنبي الايسر ..

وسألت المراة :

ــ ستفعلين ايضا ؟

فاجابت :

ــ فعلت ذلك مرارا !

وركض تفكيري الى كومة اللحم المصوقة .. المغمسة بالدم الاسود ، العينين والانف .. والجسد كله ، اما كانت هذه الاشياء الدقيقة الصغيرة تبدو رائعة لو كان القلب ينبض ؟

ووجدتني اعض شفتي .. ولكن المراة ذات العينين الواسعتين كانت تضحك بسرعة وحسرة حتى انها قالت لي ، وهي تضحك :

ــ سمه .. لقد اسميت اثنين قبل ان اسقطهما !!

وبصقت من القرف ، وان كانت الاسماء قد تزاحمت في ذهني ، كثيرة ، حلوة ... ما اجمل ان اسميه ليناديه الناس .

وقالت التي معي :

ــ انني خائفة .. !

فأجابتها الاخرى ، ذات العينين الواسعتين :

ــ ما من خوف ...

واخذ وجهها يقص علينا حكاية الزوج الذي لا يحب الاولاد .

وخرجت الصبية الاخرى من غرفتك صفراء ، تلهث بلسان متدل كلسان كلب مسعور ، وقلت لها :

ــ سيسقط خلال ساعات !

وحاولت أن تبتسم ، ولكنك لم تستطع ، فأومأت باصبعك الى التي معي ، تريد منها ان تدخل ..

وقامت .. وتراءى لي خلال خطواتها المتثاقلة خيط من الدمع ، مسفوح ، وتخيلت الجندي الذي سيسقط كبيرا بين ذراعي ، يناديني :

ــ بابا .. بابا !

فلم استطع الا ان اسفح خيطا مماثلا من الدمع .

ووصلت الى باب غرفتك ، فاستدارت ، كأنها تريدني ان اخترق الحواجز فارى الولد .. ولدي ، قبل ان يموت ، وما عاش ليموت ، وهمت لتقول لي :

ــ انني ارضى بالهوان ، بالفضيحة ولن افرط فيه !

ولكنها لم تفعل ، وانما وضعت عينيها في عيني ..

لقد كانت عيناها تغليان ، فأثبتت عيني في وجهها المريض ، ورحت احلق في كل جزء من أجزائه .

بعد لحظة واحدة ، ستضيع معالمي التي زرعتها في هذه الصبية الصغيرة الحلوة الشاحبة فهي ستدخل ، وفيها شيء مني ، فيها لوني .. وجهي .. استمرار تاريخي لتلقي بكل شيء في قمامة ملوثة .. بدموعها ايضا .

ورايتك تنظر اليها كمن يستنجد بها علي ، فانت تحب ان يمضي الامر بسرعة ، كي تكون الوطأة أقل على صدرك ، ونقلت نظري الى الغرفة المليئة بالادوية .. المفتوح بابها على مصراعيه .. ان هذه الغرفة لسوف تشهد ميتة جديدة عجيبة ، فتستمد يداك الي لتخنقني ، لتميتني ميتتي الاولى ، الميتة التي ستعذبني الى الابد ..

ورايت شفتيها تختلجان .. انها تريد ان تقول شيئا ، فضغطت على ذراعها .. بقوة ورفعت رأسي استعدادا لمجابهة الدنيا وابيها والاخلاق .. بما فعلت معها ، بابني الذي لن تخنق نموه يداك الملوثتان ..

لقد بدا عسيرا علي ان احفر في صدري قبرا صغيرا لطفل ، كان من الممكن ان يكون له اسم جميل ، ولعب وصوت رقيق يناديني به كل حين :

ــ بابا .. بابا !

فيضحك الاب .. اضحك انا ، وانهال بالقبلات على الوجه الصغير ، حتى تغار الام الصغيرة الحلوة .

وخرجت ..

وعلى عتبة الباب ، سمعنا المراة ذات العينين الواسعتين تقول لك :

ــ آه ، لو كان لي زوج مثله .. يحب الاولاد !

دمشق — **عادل ابو شنب**

الصديق

*

لك في أكنـاف قلبي مربـع — رتعت ذكراك في مغناه حينـا
واستـلاذت بحمى أفنانـه — كصغـير مـدَّ لـلام يمينـا
فانحنت حـدبا عليه حينمـا — هتك الدمع لها السر المصونـا
طفلتـه وعـلى مبسمهـا — بارق الآمال يغوي الناظرينـا
عَلّقت كفـا بـكف ولقـد — ألصقت خـداً بخد وجبينـا

* * *

ما حنـايا الصدر الا معبـد — كان في محرابـه رسمك زونا
وفؤادي ناسـك في كهفـه — لا يني يرنو لمرآك حنينـا
كلما ذكراك في روحي سرت — بعثت في أضلعي الوجد الدفينا
فأصرُّ الصـدر اشفاقاً عـلى — كبد فجرهـا الـداء عيونـا
أنت لحن غامض في خاطري — رددته الروح في البلوى أنينا
وصـلاة وقّعت ألحـانهـا — أدمع أدمت من الوجد جفونا

* * *

لا تعدْ لي ذكريات ملؤهـا — الألم المر ودع عنك الظنونـا
لست ممن يحمـل الحقد اذا — عقني خـل وخان الأقربونـا
أغفر الـذنب وأغضي ناظري — عن أخي ان صرم الحبل المتينا
وأجازي الشكر بالشكر اذا — أصبح النكران بين الناس دينا
ان أخ لم يرع عهدي سفهـاً — ومضى في غيـه كالجاهلينـا
وقسا قلبي عليـه حنقـاً — بعد طول الصبر والحلم سنينا
لـم أزل التمس الصفـح له — وأغش القلب بالأعـذار حينا

* * *

غـير ان الدهر قـد أخبرني — وبـدعواه لقد كان أمينـا
أشنع الأخصام من تأمنهـم — فاحذر الناس ولا تأمن خدينا
مـا ابتسام النـاس الا شرك — حاكه الختل لقنص الغافلينـا
خـير اخوانـك لـو فندتهم — دمعة تمحي عن القلب الشجونا

باريس — عدنان مردم بك

ملاحم رأس شمرا

بقلم محمد حاج حسين

*

في عام ١٩٢٩ ، جاء العلامة الافرنسي الاثري ، كلود شيفر ، ينقب في رأس شمرا ، التي تبعد بضعة كيلومترات عن مدينة اللاذقية ، فأدت أبحاثه الجليلة الى اكتشاف آثار عظيمة ، دلت على ان هذه البقعة الهادئة ، عرفت منذ الفي سنة قبل المسيح ، ميناء كبيرة تدعى « اوغريت » وصلت الى اوج ازدهارها ، في منتصف القرن الرابع عشر ، قبل المسيح ، في عهد الملك نيكمد ، ثم دمرت الى الابد ، من جراء الزلازل والغارات المتتابعة ، التي شنها عليها ، غزاة جاءوا من الغرب والشمال ، من جزر ايجه واليونان ، فعصفوا بها ، وقضوا على مجدها ، وزلزلوا أركانها ، فهجرها سكانها ، واصبحت يبابا خراباحتى العصر الحديث فأزيحت اسرارها التي تدغدغ النفس باعذب الالحان .

ان اكتشاف « اوغريت » المدينة الفينيقية البائدة ، في رأس شمرا ، لم يؤد ، الى وجود معالم المدينة وآثارها وتماثيلها فحسب ، بل استطاع العالم شيفر ، ان يجد بقايا مكتبة ، عامرة بالشعر الغنائي والملحمي ، الذي يدور على اساطير الالهة وحياتها ، وهذه الروائع الشعرية ، كانت منقوشة على صحائف من الفخار ، الذي كان يحرق حتى يجف ، ثم يكتبون عليه شعرهم .

وبعد جهد بليغ ، استطاع عالمان افرنسيان ، وآخر الماني ، ان يهتدوا الى حل رموز لغة رأس شمرا ، وتناولها علماء الاثار الغربيون ، بالبحث والدرس ، وكثرت الكتب ، في شتى اللغات الاوربية ، تتحدث عن اوغريت وآثارها وشعرها وحضارتها ، فكان كسبا رائعا لتاريخ الشعر القديم ، وحسبنا ان نشير الى ان العلماء يجمعون اليوم ، ان سكان اوغريت ، هم أول من اهتدى ، في العالم ، الى اكتشاف الابجدية الكاملة ، التي هي أساس حضارتنا ..

كانت الرموز والاشارات ، المحفورة ، على صحائف رأس شمرا ، تختلف عن جميع اللغات السامية ، التي استطاع الباحثون معرفتها ، فوقفوا مشدوهين حائرين ، يبحثون وينقبون ، وكان من المعقول ، ان تظل هذه الكتابة مجهولة ، لانها لغة بائدة ، لشعب منقرض ، ولم تكن بعض هذه الصحائف ، مترجمة الى لغات قديمة معروفة ، ليسهل اكتشافها ، غير ان دأب العلماء الجاهد ، استطاع ان يغالب الصعاب ، ويفوز بالثمرة ، فقد عمدوا الى مقارنتها باللغات السامية القديمة المعروفة ، وبعد لأي استطاعوا ان يعرفوا اشاراتها ، معرفة تامة ، فقد اقتصرت العلامات المرسومة على صحائف الفخار والصلصال ، على ثلاثين علامة ، وهذا يدل على ان سكان « اوغريت » اهتدوا الى ابجدية كاملة مؤلفة من ثلاثين حرفا .

وضح للباحثين ، ان لغة رأس شمرا ، هي احدى اللغات السامية ، التي تقترب قليلا من العبرية بيد ان الحركات الصوتية فيها ، غير مشار اليها ، لذلك لا يعرف العلماء كيف تلفظ بالضبط ، رغم معرفتهم لها معرفة دقيقة .

وفي الملاحم التي سنحللها لك ، نلاحظ ان الشاعر ، سمى اله البحر باليم أويم ، واله النهر « نهر » واله الموت « موت » وهذه الفاظ عربية ، ولا عجب في هذا ، لان اللغات السامية كلها مشتقة من اصل واحد ، وليس الفينيقيون ، سوى موجة عربية ، قذفتها الجزيرة العربية ، الى هذه السواحل الحالمة .

ان آثار رأس شمرا المكتوبة ، تكشفت عن شعر ملحمي طويل النفس ، بعيد الغور ، يحتدم فيه النزاع بين الالهة ، وتسري فيه الاساطير ، تطير على اجنحة الخيال ، وقد نشرت ترجمتها الى الافرنسية في مجلة « سوريا » التي تصدر في باريس ، منذ المجلد الثاني عشر ، عام ١٩٣١ ، ومنذ ذلك الحين ، أخذ العلماء يتدارسونها بغوص وعمق ، حتى وصلت الكتب التي الفت عن « اوغريت » الى بضع مئات في مختلف اللغات الاوربية ، ولا يزال الاستاذ كلود شيفر ، يواصل ابحاثه ، ليجد آثارا جديدة .. فهو يأتي كل عام ، الى هذه البقعة ، ويمكث فيها شهرين ، يدرس وينقب ، ليبعث هذه المدينة ، التي تفاعلت فيها حياة كلها جدة ورقي .

لم يصلنا شعر رأس شمرا كاملا ، فان كثيرا من المقاطع ، قد ضاعت ولكن الباقي منها ، تعطينا عن الملحمة ، الفكرة الكاملة ، حتى يستطيع القارىء ان يتمشى مع الملحمة في تسلسل منطقي ، ويستوعب احداثها المشرقة ..

ان شعر رأس شمرا ، عنيف قاس ، ينحدر من القديم العريق ، فهو لا يعرف الرقة والسهولة ، بل هو اشبه بصخرة تنحدر ، وأبياته لا تتجاوب بنغمة القافية ، ويقوم ايقاعه على الاتساق الموسيقي ، وكل بيتين منه ، يحملان ذات الفكرة ويضمان نفس المعنى ، ولكن التعبير يختلف من بيت لآخر ..

كان هذا الشعر ينشد عادة في المحافل والمواسم الدينية ، حيث يحتفلون بذكريات المعارك ، التي كانت تنشب بين الالهة .. وهو يرقى الى القرن الرابع عشر قبل المسيح ، واغلب الظن ، انه لم يصل الينا ، كما نظم لاول مرة بل كان يعتريه بعض التغيير ، عندما ينشد في هذه المواسم ..

وهكذا .. قبل ان تحدث حروب ترواده ، التي الهمت الشاعر هوميروس ملحمتيه الخالدتين ، عرفت فينيقيا ، شعراء ملهمين ، حلقوا في دنيا الملاحم ، وهزوا المشاعر ، بغنائهم العذب ، وان الترجمة الحرفية لهذا الشعر الى اللغة العربية ، صعبة المرتقى ، لا تعطي القارىء فكرة عنها ، والاجدى تلخيصها ، ليتسنى لنا استيعاب أفكارهاومسايرة احداثها ، ومعرفة اساطير الالهة التي كان يمجدها سكان « اوغريت » وانتقل بك الان الى تلخيص احدى هذه الملاحم .

الملك كريت :

ان ملحمة الملك كريت ، منقوشة على ثلاث لوحات من الطين المشوي ، وقد ضاع نصفها ، وهذا ما يجعل مهمة ترجمتها عسيرة ، وقد بقي منها الف بيت ، تعطينا صورة متناسقة لاحداث هذه الملحمة الرائعة ..

لم يكن الملك كريت الها ، رغم انحداره من كبير الالهة « آل » خالق الكون ، ورب الارباب والالهة اشهرات ، ولكنه لم يكن مجردا من الالوهية ،ففيه قسم منها ، قد يكون ضئيلا ، ولهذا كانت زوجه امراة كبقية النساء ، تعيش مع الناس ، وتحتدم فيها الاهواء والعواطف ، كبقية البشر ، وهي حفيدة الملك بابيل ، ملك بلاد اودم ، التي كانت مصاقبة للمملكة التي يتربع على عرشها الملك كريت ..

كان الملك كريت سعيدا في مملكته ، يرتع في نعماء عيش ، ومجد خضيل ، وظل فترة من الزمن ينعم في لألأ السكينة والهناء ، حتى اخذت تتواثب عليه رؤى قاتمة ، وتنغص عيشه افكار تموج بصور قاحمة ، يتضاغى منها الما انه لم يرزق بالولد ، الذي يخلفه على عرشه الوطيد، فكان هذا الحرمان ، يحرقه بنيرانه ، فيضرع الى ابيه ، آل اله الالهة وخالق الدنيا ، ان يرزقه بالابن ، الذي يعتلي العرش ويرث المجد ..

وانجذب الملك كريت ، الى غرفته ، في قصره الباذخ وجنه الليل ، وانخرط في بكاء مذيب ، يفتت القلب ، يرسل الزفرات الحارقة ، تنفس عنه هذه الكرب ، التي ترمضه حسرة ولوعة ، على الابن ، الذي يستطيع ان يرث مملكته..

الليالي الداجية ، والليالي الساطعة بالنجوم ، والبدر المجلو ، عرفت أساه ، ورثت لبلواه ، فالملك لا ترقأ له دمعة ، بمزقه اليأس ، ويبتهل الى ابيه الاكبر آل ليسكب البلسم الشافي على كلومه الدامية .

وفي ذات ليلة ، غدافية الجناح ، استغرق الملك كريت ، في نومة عميقة ، اثر بكاء عنيف ، قرح اجفانه ، رأى فيما يرى النائم ، كبير الالهة آل يرنو اليه ، مفترا عن بسمة حالية ، ويحدثه حديثا مستفيضا ، راسما له نهجا متشعبا بعيد المرمى ، ويعلمه بانه سيرزق عددا ضخما من الذرية ..

ولما استيقظ الملك كريت من نومه توجه الى ابيه آل ، يشكره من قلب فياض بالاخلاص ، على بره وحنانه ، ويطري مناقبه الرفيعة ، ويضرع اليه ، من قلب خاشع ، ان يحقق امنيته الغالية ، ولا ينسى الصلاة الشاكرة ، للاله بعل ، سيده وحاميه ، ثم يصعد الى قمة برج مشيد، ويرفع يديه الى السماء ، متجهدا داعيا متبتلا ويقدم قربانا تكريما لابيه كبير الالهة وسيدهم ، وكان هذا القربان مؤلفا من حمل وجدي وخبز نقي ، وخمرة ، تتهاوى في كأس من الفضة ، وعسل مصفى ، في اناء من الذهب ، وشعر براحة، وعبقت به لذة فارهة ، وهو يقدم هذا القربان ، الذي عبر به عن شكره ، وعميق عبادته لال ..

ولما هبط كريت ، من علياء البرج ، جمع جيشا قوامه ثلاثمائة فارس مدججين بالسلاح ، متسربلين بالحديد، عدا البدو ، الذين التحقوا بهذا الجيش الميمون ، وسار في مقدمته مخترقا حدود مملكة اودوم .

كان الملك بابيل ، صاحب بلاد « اودوم » عالما بنيات جاره الملك كريت ، لكنه كان يؤثر السلام على الحرب ، فنفسه تعاف القتال ، وتخضيب الارض بالدماء ، لذلك ارسل الرسول ، الى الملك كريت ، ليضع حدا ، للمجزرة الدموية ، التي توشك ان تعم القاصي والداني ، وعرض عليه ، بمقابل انسحابه ، من ارضه ذهبا كثيرا وخيولا مطهمة وعربات فارهة ، وعبيدا كثيرين .. ولكن كريت رفض هذه الهدايا بازدراء ، وعلت ثغره ابتسامة متهكمة وهو يقول للملك بابيل : عندي الذهب الجم ، والفضة الوافرة ، واني بحاجة للشيء الذي لا املكه في بيتي ، وانت الوحيد ، الذي تستطيع ان تقدمه لي .. انه حفيدتك ، ابنة ابنك البكر التي تدعى هوريا الرقراقة كالالهة انات ، برقتها ونعومتها ، والحسناء الفتان ، كالالهة اشتارتي .

ووافق الملك بابيل على هذه الرغبة ، وبارك الزواج ، فجذل كريت ، لاستمتاعه بهذه الغادة ، التي تتفجر حسنا وتشع اغراء ..

وتراءى الاله بعل ، للملك كريت وامره ان يذهب الى آل ، يتلمس مباركة لزواجه ، فيعنو كريت ، باسما لارادة حاميه بعل ، ويغادر قصره الشامخ ، ليزور اباه آل ، ولم يجد مشقة في هذا اللقاء ، لان كبير الالهة ، خرج بدوره الى منتصف الطريق ، ليوفر العناء على ابنه كريت ، بناء على الدعوة التي تلقاها من الاله بعل ..

كان آل في عظمته النورانية ، واقفا يشع منه السنى ، يمسك بيده ، كأسا ، عندما دنا منه الملك كريت ، في اناة وخشوع ، وباركه ثلاث مرات ، ثم قال بصوته الالهي : تزوج من المراة ، التي اخترتها ، وادخلها الى بيتك .

ثم انباه ان زوجه ستضع سبعة او ثمانية ابناء، ومثلهم بنات ، والابن البكر ، سيدعى ياسيب ، وسترضعه الالهتان اشهرات وانات .

وانتهى كبير الالهة من حديثه ، بعد ان تحدث عن ابنة الملك كريت الثامنة « شيتمنات » التي سيمنحها حقوق الابنة البكر ..

وبعد ان بارك كبير الآلهة الملك للمرة الاخيرة ، انسحب مع حاشيته المؤلفة من مختلف الآلهة ، الذين ذهبوا الى خيماتهم ، يستقرون بها في احلام رضية .

وعندما رأى ابناء الملك كريت وبناته النور ، كانت امهم تندرهم للآلهة وتباركهم جدتهم الآلهة اشهارت ، التي كانت تحضر ميلادهم ..

وامر الملك كريت زوجه هوريا ، بان تعد مأدبة عامرة باللحوم الفريضة ، فذبحت عددا ضخما من المواشي المكتنزة ، وفتحت جرة كبيرة من الخمرة المعتقة ، ثم دعت السبعين ثورا والثمانين غزالا التابعين لزوجها ليدخلوا القصر ، وهتفت بهم : قدموا قربانا على شرف ابيكم الملك كريت .

ولم تكن هذه الغزلان والثيران ، سوى ابطال الملك الاشاوش ، اطلقت عليهم ، اسماء هذه الحيوانات على طريق الاستعارة ، فان الثمانين غزالا والسبعين ثورا ، كانوا رؤساء القبائل ، الذين يخضعون للملك كريت ..

وينتهي القسم الاول من الملحمة ..

اما القسم الثاني ، فهو يتحدث عن سقوط الملك كريت ، وافول نجمه ، وذهاب ريحه ..

ان ابناء الملك كريت ، وقد ترعرعوا وشبوا ، يحفون به فرحين ، يزجون له التهاني ، لاستطاعته الافلات ، من قبضة الموت ، ويبدو ان الملك ، قد تعرض للموت ، من جراء مرض عضال ، قد يريء منه ، او زحمته احداث ، كادت تؤدي به الى اللانهاية ..

كان الملك مزهوا بابنائه الميامين ، الذين تميزوا بالصباحة والرجاحة في العقل ، .. والفرحة الغامرة تلهبه، لنجوته من الموت ، الذي فغر فاه ، ليغيبه في اعماق

الثرى ..

وتحدث الابن البكر ، باسم جميع الاسرة ، معبرا عن الفرحة ، التي هيمنت على الجميع ، لبرئه ، فهو عمادهم ، والامل الزاهر الذي يتراقص في اعماقهم ، فالغبطة التي هامت بهم ، لشفائه من دائه الوبيل ، لا حد لها .. فهم قريرو العين ، تطفح على اساريرهم ، بشاشة ، وتترقرق في دمائهم فورة ، تلهبهم بشعلة من البهجة تطفو على ملامحهم ..

ويرنو الملك كريت الى ابنه البكر ، متألقا بالنور ، شاكرا لهم هذه الحفاوة الزاهرة ، التي استقبلوا بها ، خلاصه من الموت .

غير ان الفرحة التي انتابت الاسرة ، لم تلبث طويلا ، حتى انطفأت ، وحلت مكانها وجمة حائرة ، فيها كل الاسى ، الذي كان يعتل في نفوسهم ، خيفة على هذا الاب من ان يطوح به الموت .. فالقلق المستوفز قد نزا في دم الاسرة الذاعرة ، والخوف من المستقبل المجهول ، يتوامض في عيونهم القريحة ، وتفتحت افئدتهم للشقاء المنتظر ، واعتملت في نفوسهم ، تلك الرهبة الخاشعة ، التي لا يملك الانسان ازاءها حيلة ..

ان الملك كريت ، قد تميز بالقوة ، يحفه النصر ، لا يمكن ان يناله الاذى ، فهو خالد ، لا يمكن للموت ان يعدو عليه ، هذا ما اعتقدته اسرته ، وجميع سكان مملكته لانه ابن الاله آل فقد خيل اليهم انه مبرأ من كل نقص ، بيد ان الشك اخذ ينخر الافئدة ، في كمال الملك ، بعد تلك الضربة ، التي كاد الموت يتلقفه من جرائها .

ها هو الابن البكر ، يترجم عن الريبة ، التي علقت بالجميع ، في كمال الملك وبقائه الابدي ، فيزرف اليه ، وفي عينيه ، يلتمع اليأس ، ويصرخ بصوت محزون : انك ايها الملك ستموت كما يموت جميع الناس ..

ورغم ان اسرة الملك ، قد رأت بعين الحقيقة ، ضربة القدر ، توشك ان تحل بها ، فقد حاولت ان تمنع هذه الضربة الصارمة ، واعتزمت ان تمنع الموت ، الذي يطوف بقصرهم ، من الاقتراب من الملك ..

الاسرة الحانية ، ترغب من صميمها تأخير ضربة القدر ، انها ترغب في اكتساب الوقت ، لتدرأ الموت عن الملك ، او تؤخره على الاقل ، ولهذا صرح الابن البكر ، ان الاسرة ، ستقوم على حراسة الملك ، .. ستسهر كل الليل وستراقب الشوارع ، لتمنع الموت ، من الانسلال الى حجرة الملك ، فلن يغمض لهم جفن ، بعد الآن ، ولن تخفى عليهم خائنة الاعين ، ميكونون الحراس الذين يتفجرون امانة ، كأمانة الكلب الامين .

اذا كان الردى ، سيتخطف في احد الايام الملك كريت، فهذا راجع الى ان الملك لم يؤد الرسالة ، التي انتدبه لاجلها ابوه الاله الاكبر ، بل تعسف ، وخرج عن الجادة ، التي رسمت له .. ان الرسالة السامية التي كلف بها الملك كريت ، هي تحقيق العدل في الارض ، والعمل على سيادة الحق بين الناس ، فالملك التاعس ، قد نبأعنها ، ولهذا حقت عليه غضبة الآلهة ، وليس الموت الا جزاء وفاقا لشموسه عن الارادة الالهية ..

مما لا مشاحة فيه ، ان الملك كريت ، في اول عهده بالحكم ، قام بتنفيذ المهمة التي انتدبته لاجلها ابوه الاله ،

على ازهى وجه ، فقد نشر العدالة بين الناس ، وعمل على ازجاء الحق للجميع ، واذاع الخير في كل بيت ، فاستحوذ على رضى ابيه الاله الاكبر الذي خلق الارض ، ليسود فيها العدل ، ويحفها الخير ..

وتعاقبت السنون على الملك ، وفي غضونها ، حاد عن الطريق ، الذي رسمه آل ، حتى تنفست الخطيئة في اعماله ، وصفع العدالة ، فاشتد الحنق في الالهة فالحيدة عن العدل جريمة ، لا تغفرها الالهة ، وهي بحق لعنة مميتة.

لم يشفع لكريت انه ابن الاله ، فقد خان الامانة التي وضعت في عنقه ، فلهذا سيكون مصيره ، الموت الكريه ، الذي سيرهص انفاسه حتما في احد الايام .

ويقول الابن البكر بصوت محطم : آنك ستموت كما يموت كل انسان .. ويتطلع إليه ابوه ، وقد جفت دمعة في ماقيه ، ويقول متجلدا عندما ترن في مسمعه ، هذه العبارة ، التي اعلمته بمصيره المحزون : لا تبك هكذا .. لا تتالم لاجلي ..

وليس معنى هذا ، ان احدا من الاسرة ، لن يبكي ، لان الملك امر ابنه ، بان يذهب ويأتي باخته شيتمنت ، الابنة الثامنة والاخيرة ، لتبكي مكانه .. غير ان الابنة البارة ، لم تكتف بسكب الدموع ، بل عولت ، بعزيمة جبارة ، على انقاذ ابيها ، وبقلب طاهر ، تقدم قربانا ، للالهة، وضرعت اليها ، ان تعمل على انقاذ ابيها الملك من دائه الفاتك والحيلولة بينه وبين الموت الرجيم ..

كان المها عظيما ولوعتها صادقة ، حتى ان آل ، قد مازجته حنة على هذه الابنة الحنون ، وتدافعت به الرحمة، عندما راى شجوها الفجيع ، وعبراتها التي لا ترقأ ، فاعتزم ان يصفح عن ابنة الملك ، ويغفر له خطيئته المنكرة التي اجترحها .. فاشجان شيتمنت ، قد مسته في الصميم ، وهو يستجيب لها ، ليقضي على هذه الثائرة من الالم التي تحرق صدرها على ابيها ، الذي يقاسي الالم المضيض .

جمع آل الآلهة حوله كان عددهم سبعين ، وكلهم ابناؤه ، واخذ يثير كوامن الشفقة ، في قلوبهم ليرقوا لاحزان شيتمنت ، بالتجاوز عن خطيئة الملك التاعس ، وتخليصه من الشقاء الذي يكاد يودي به .

وخاطبهم آل بلهجة تشف عن حنانه : يا ابنائي البررة، اني اهيب بكم لمساعدة الملك كريت .. صحيح انه اخطأ ، وهو يستحق العذاب ، ولكن يا ابنائي ، يجب ان لا تنسوا! انه ابني ، فمن منكم يطرد هذا الالم الشديد الذي يستل منه الراحة ؟

لقد القى آل هذا السؤال على ابنائه برفق .. وكنا ننتظر ان يتسابق الالهة لتنفيذ ارادة ابيهم الاكبر ، بيد ان الصمت العميق ، قد ران عليهم ، ولم يرد واحد منهم على مطلبه .

غير ان آل لم ييأس من اطراقتهم الصامتة فالقى سؤاله مرة اخرى : من منكم ينقذ الملك من دائه ؟ ..

وكان مصير السؤال الثاني كالاول ، فالالهة قد حبست انفاسها ، لا حركة ولا نأمة ، ويعيد الاله سؤاله ، ويكرره سبع مرات ، وفي كل مرة ، يصدمه الصمت البارد كالموت ..

ان هذا الصمت يحمل معنى واحدا .. انهم لا يستطيعون ان يساعدوا الملك ، الذي يكابد غصص الالم ، فهم يعتبرون الملك كريت ، قد انساق مع الخطيئة ، ونبأ عن العدالة ، فمن الواجب ، ان تخنقه هذه الآلام ، التي ستؤدي به الى الموت ، ويمكن للاله الاكبر ، بعد هذا ان يعفو عنه .

وبدد صوت آل السكينة ناعما مترعا بالحنان : ابنائي الالهة ، اذا كنتم لا تريدون ان تعملوا على استلال الالم من ابني كريت ، فانني سأتدخل بنفسي واطرد آلامه ..

وينهض الاله الاب ، ويأمر ابناءه الالهة بالجلوس ، ورغم تدخل آل بنفسه ، لسحق داء كريت الذريع ، فان المسكين لم يبرأ من علته .. صحيح ان وطأة الداء قد خفت ، ولكن بقاياه ، لا تزال ناشبة فيه ، فهو بحاجة الى رعايته ، لتطمس بقية الالم التي ترهقه ، ومن يقوم على رعايته غير الابنة الصغرى « شيتمنت » التي كانت دموعها وقربانها السبب في رحمة آل وعطفه السابغ ..

ومع الايام بريء الملك كريت نهائيا من الآلام ، التي كانت تمزق اديمه ولكن هل ارتاحت اعصابه المكدودة ؟ .. كلا .. ان آلامه المعنوية لا تزال تزكو وتربو ، فالقلق دوما يبرح به ، والشقاء الروحي يتلقفه .. ان شبح الخطيئة الماضية عندما تنكر للعدل ، لا يزال يضنيه ويملا حياته بالوساوس . فهو لا يعرف معنى للاستقرار .. انه بائس ، ينظر من بعيد ، الى تلك الخطيئة ، فيرتاع ويرعشه الذعر ، وتعربد به الاوهام ..

تناول الملك كريت غداءه الشهي ، وفزع الى مضجعه يلتمس الراحة ، واذا بابنه الذي اصغى لهاتف داخلي ، اهاب به لمصارحة ابيه وتقريعه ، فيأتي الى القصر المنيف ، ليذكر اباه ، بواجبه ، ليجعل العدل رائده ، ويصرخ : انصف الايم ، وامنحها حقها السليب ، اطعم اليتيم ، اطرد الظالم ، وانقذ المظلوم ، والا ، اذا كنت لا تستطيع ان تقوم بهذه الفضائل فتنازل عن عرشك ، ودعني احكم بدلا منك..

ونهض الملك كريت ، يتأجج غضبا ولعن ابنه لعنات حمراء ، وهدده بانتقام الالهة منه ، وصاح : ليسحق الاله هارون والالهة اشتارتي رأسك .. ولتترد في هوة سحيقة وقد انفصل راسك عن جسدك ..

هل استجابت الالهة لدعاء الملك ام تنكرت له ؟.. لا ندري ، لان نهاية الملحمة مفقودة ، فهي تقف عند هذه النقطة الهامة ..

مهما يكن من شيء ، فاسطورة الملك كريت ، مأساة دمية ، فهي قصة ملك عجوز ، قد يكون اقدم ملك في فينيقيا ، ظل مترجرجا ، في ذهن الفينيقيين قصة ملك استطاع ان يأتي بزوجه من بلاد مجاورة .. قصة انسان معذب ترامت عليه الخطيئة فارهقه وخز الضمير ، وصبت عليه الالهة نقمتها حتى استل الموت روحه ، لنأيه عن جانب الحق ، وعدم اصاخته لنداء الالهة ..

فالفكرة التي سيطرت على شعراء رأس شمرا وسكانها هي العدالة التي يجب ان تسود ، ليستقر الناس في هناء دائم ، فالالهة في نظرهم ، ليس لها من رسالة ، سوى نشر العدل والعمل على اذاعته بين الناس ...

وهكذا كانت هذه المأساة مستقى خصبا لقرائح شعراء فينيقيا الذين هزتهم احداثها الرمزية فنظموا هذه الملحمة التي تفيض بالحياة .

اللاذقية ـ سوريا
محمد حاج حسين

المتشرد

•

ما لوجه الافق مخنوق الرؤى ، جهم الغيوم
صامتا ، كالصخر ، كالقطعان في بيد الهموم
في مدى أعماقه الظمأى كوابيس الجحيم
في مداه رقصة الموتى ، حريق من سدوم
ورمـــاد مطبــق ينهـد في غور حطيم
ورياح تسفح الذكرى على الرمل العديم
وريـــاح تهدم الــذكرى وآفـاق النعيم
آه يا صبح الهوى ألقيت بي خلف الصحارى
الصحارى الفارغات الحمر ، اوهام الحيارى
في مـدى عيني شحوب واجم يبكي النهـارا
وهوى يخبو كما تخبو أحاديث السكارى
في زوايا الليل والماخور ، في ليـل العذارى
وهوى ؟ اسطورة ، لغو ، حديث وتوارى
مع اساطير صبايا الحلم ، أحلام بكـارى
لبنات الخطو ، لا مرمى ، خطى تطوي البحارا
واخضرار الغاب ، والاعماق ، والسر المجارا
ذكريات ملّها التذكار ، سوّاها غبـارا
وحنينـا غامض الآفــاق يستجدي القفارا
لا هوى من بعد ، لا صبحا نديا ، لا مزارا
بـين أحلامي وبيني ، آه ما أقسى الجدارا
في رمال الصمت والاشباح ، في حر المتاه
كيف أقضي ما تبقى من اساطير الحيـاه
لا هوى يروي فراغ الجفن ، يروي لي مداه
لا انتهـاء يطمر الاحلام في ظـل الاله
ويعـود المطلق المجهـول يرمي لي دنـاه
فأرى سرا عميق الغور ، في عمقي صداه
ثـم أغفو بـين أضواء وحب وصـلاه
في رمال الصمت والاشباح ، في حر المتاه
كيف أقضي ما تبقى من أساطير الحيـاه !

فـؤاد رفقـة
الجامعة الامريكية بيـروت

قصة لسومرست موم

الام

ترجمة حسن السعران

القصة

تعالت اصوات مشاحنة في الفناء القريب . فهرعت بعض النسوة من حجراتهن تستطلعن الخبر .

وقالت احداهن : انها الساكنة الجديدة ، تتشاحن مع الحمال الذي جاء بمتاعها .

كان البيت اشبه بوكالة من طابقين يتوسطه فناء كبير ، يقع في شارع خلفي من حي فقير بمدينة اشبيلية (اسبانيا) . يستاجر حجراته العمال وصغار الموظفين الذين تغص بهم اسبانيا ، وسعاة البريد ورجال الشرطة وعمال الترام . وكان المكان يعج كذلك بالاولاد والاطفال . اذ يقطن البيت نحو عشرين عائلة ، كثيرا ما كانت تتخاصم فيما بينها ثم سرعان ما تتصالح . الجميع يتحدثون سويا كما يساعد بعضهم بعضا كلما اقتضى الامر . وهم في جملتهم جماعة طيبة من الناس تعيش معا على خير ما يرام .

وقد ظلت حجرة واحدة في البيت خالية بعض الوقت ، الى ان استأجرتها ذلك الصباح امراة ، عادت بمتاعها بعد ساعة . تحمل منه ما وسعها حمله ، وجاء ببقيته احد الحمالين .

واشتدت المشاحنة بين المستاجرة الجديدة والحمال . فاسرعت امراتان من السكان الى شرفة الطابق الاول لئلا تفوتهما كلمة من العراك .

واستمعتا الى صوت الساكنة الجديدة ، وهي تجلجل الفضاء بشتائمها وتكيل للحمال وعباراته القذرة النابية الصاع صاعين . واخذت كل من الجارتين تلكز زميلتها بكوعها .

وعاد الحمال يكرر : لن اذهب حتى تعطيني اجري .

ــ لقد اعطيتك اجرك . الم نتفق على ثلاثة ريالات.

ــ كلا ! لقد وعدتني باربعة .

وطال حبل الاخذ والرد من اجل قطعة نقود لا تزيد على ربع ليرة لبنانية .

ــ اربعة ريالات لنقل هذه الاشياء الصغيرة . انت مجنون .

وحاولت ان تدفعه جانبا . فاخذ يكرر :

ــ لن اذهب حتى تعطيني اجري .

ــ ساعطيك بنسا اخر .

ــ لن اقبله .

وازدادت المشاحنة ضجة على ضجة . وصاحت المراة تسب الحمال وتلعنه . ولوحت بقبضتها في وجهه ، واخيراً نفد صبره .

ــ ليكن ، اعطني بنسا فاذهب . لست اريد تضييع الوقت مع امراة قذرة مثلك .

ودفعت له بنسا . وتركها الرجل وقد القى بقطعة من الفراش على ارض الفناء . فشيعته وهو يولي بعيدا بكلمة جارحة . وخرجت من الحجرة تجر حاجياتها جرا . ورات الجارتان وجهها فقالت احداهن :

ــ وجهها كله شر ، يلوح لي انها قاتلة .

واقبلت على الدرج حينئذ فتاة ، نادتها امها لتسالها:

ــ هل رايتها يا روزاليا ؟

لقد سالت الحمال من اين جاءت ، فقال انه جاء بمتاعها من ناحية « تريانا » . وانها وعدته باربعة ريالات ثم لم تدفعها .

ــ هل ذكر لك اسمها ؟

ــ انه لا يعرفها . ولكنهم في تريانا يسمونها لاكاشيرا.

وعادت المراة الوقحة مرة اخرى لتلتقط حزمة من المتاع كانت نسيتها ، ونظرت بغير اكتراث الى المراتين اللتين يرقبانها من الشرفة . ولكنها لم تفه بكلمة واحدة ، وهزت الفتاة روزاليا كتفها .

وكانت لاكاشيرا في الحلقة الرابعة من عمرها ، بشعة هزيلة ، عظام يديها بارزة ، واصابعها اشبه بمخالب جارحة، وشفتاها غليظتان شاحبتان ، واسنانها محدودة كاسنان طير جارح . وشعرها اسود مجعد ، تعقصه في عقدة غريبة فيبدو كانه سينفرط على كتفيها ، وتنساب خصلة منه على كل من اذنيها كانها طرف مقشة . وعيناها غائرتان واسعتان وسوداوان فيهما لمعان وقسوة . وترتسم على محياها مسحة شريرة مما لا يشجع اي شخص على الاقتراب منها او التحدث اليها . وظلت منطوية على نفسها . فأثار ذلك فضول جاراتها . انهن يعرفن انها فقيرة للغاية فثيابها تنم عن فقرها وتعاستها . وكانت تخرج كل صباح في الساعة السادسة فلا تؤوب الا مع الليل . وكن لا يعرفن ايـن تتكسب رزقها . فالحت الجارات على احد الشرطة ممن يقيمون في البيت نفسه ، لاجراء بعض التحريات عنها . فكان جوابه : ما دامت مسالمة ، فلا شأن لي بها .

ولكن الفضائح تنتقل سريعا في مدينة اشبيلية . وما هي الا ايام حتى اقبل بناء يعيش في غرفة بالطابق العلوي، يحكي للجيران قصتها كما سمعها من احد اصدقائه في تريانا . منذ حوالي شهر ، خرجت لاكاشيرا من السجن وقد قضت بين جدرانه سبع سنوات من اجل جريمة قتل . وقد استاجرت لها غرفة في تريانا . ولكن الاولاد عندما علموا بقصتها راحوا يرجمونها بالحجارة ويسبونها بشتى الاسماء في الغدو والرواح . فكانت هي بدورهـا توسعهم شتما وتشبعهم ضربا . وامتلأت المنطقة ضجيجا وضجة الى درجة ان صاحب البيت انذرها باخلاء الغرفة ، فلعنته ولعنت كل من تسبب في طردها ، ثم اختفت عن تريانا ذات صباح .

فسالت الفتاة روزاليا : قتلت من ؟

فاجاب البناء : يقولون عشيقها .

وقالت روزاليا بضحكة ساخرة هادئة : يستحيل ان

يكون لمثلها اي عشيق .

فصاحت بيلار امها : بحق مريم العذراء ! نامل الا تقتل هنا احدا . الم اقل من قبل بلوح انها قاتلة !

فانتفضت روزاليا ، ومضت في سبيلها . وفي تلك اللحظة اقبلت لاكاشيرا بعد عملها اليومي ، فكفوا جميعا عن الكلام وشملهم لون من الضيق . وتزاحموا بعض الشيء ثم رمقوا المرأة ذات العيون المفترسة بشيء من الاضطراب . ولاحظت هي من هذا الوجوم الذي اعتراهم انه لا بد قد شاع بينهم امر من الامور ، فالقت عليهم نظرة سريعة مريبة . ورأى الشرطي ان يحييها حتى يفتح الحديث .

فردت على تحيته عابسة الوجه : « بونا سيرا » . ثم مضت الى غرفتها مسرعة واغلقت من ورائها الباب .

وسمعوا صرير غلق الباب بالمفتاح . وكان نظرة عينيها الشريرة قد مستهم بغضبها فاخذوا يهمسون بعضهم الى بعض وكانما هم تحت تأثير رقية خبيثة .

فقالت روزاليا : الشيطان يسري في دمها .

واضافت امها لجارها رجل الشرطة : يسرني وجودك معنا هنا يا مانويل لتحمينا منها .

ولكنه يبدو ان لاكاشيرا تكره خلق المتاعب . فقد مضت وجهتها لا تحيد عن انطوائها . ولم تخاطب احدا بكلمة واحدة . وكانت تقطع على جاراتها في خشونة سبيل اية محاولة للصداقة . واحست ان جاراتها قد علمن بسرها . ويعرفن سبب عزلتها وسنوات السجن الطويلة التي قاستها ، وغارت التجاعيد في وجهها . وازدادت نظرتها القاسية احجاما ونفورا . ثم زال تدريجيا هذا القلق الذي سببته واشاعته بين جاراتها . وكفت بيلار الثرثارة ام روزاليا عن الاهتمام بامر الشبح الهزيل الذي يمر في فناء الوكالة بين الحين والحين امام نفر من الجيرة .

قالت بيلار الثرثارة : لا بد وان السجن قد دفعها الى حالة من الجنون ، يقال ان السجن غالبا ما يودي الى ذلك .

ولكن حدث في ذات يوم ما اثار القيل والقال من جديد ، فقد اقبل نحو باب الوكالة الحديدي الكبير شاب يافع واخذ يسأل عن انطونيه سانشيز . وكانت بيلار جالسة في الفناء ترقع ثوبا باليا ، فنظرت الى ابنتها وهزت كتفها .

وردت قائلة : لا يوجد احد هنا بهذا الاسم .

فاجاب الشاب بعد برهة : انها هنا ، يسمونها لاكاشيرا .

وفتحت روزاليا الباب الحديدي واشارت الى غرفة لاكاشيرا وقالت : آه ، انها هناك .

ـ شكرا لك .

وصافحها الشاب بابتسامة منه ، ولا غرابة فهي سمراء حلوة ذات جاذبية وعيون جريئة ساحرة . شعرها فاحم لامع يزيد في لمعته وجهها الوردي . ومن صدرها الناهد تكاد حلمة ثديها تشق ثوبها .

فقال العبارة المبتذلة : بوركت الام التي ولدتك .

فاجابت بيلار : الله معك .

ومضى يطرق الباب . وشيعته الام وابنتها بمزيد من الفضول .

فتساءلت بيلار : ترى من يكون ؟ ان احدا لم يزر لاكاشيرا من قبل .

ولم يجب احد على طرق الباب ، فقرعه الشاب مرة ومرة . فسمعتا لاكاشيرا تسأل في صوتها الحاد : من الطارق . فصاح : (مادره) اماه .

وعلا الصياح وفتح الباب .

ـ كوريتو !

وطوقت عنقه ، وقبلته بحرارة . واخذت تدلله وتربت بيدها على وجهه . وما كان يدور بخلد بيلار او ابنتها ـ وهما يراقبانها ـ انها على شيء من هذا الحنان .

واخيرا وبعد تنهدات الفرح والبشر ، جرته الى غرفتها . فقالت روزاليا في دهشة : انه ابنها . من ذا الذي يظن ذلك . شاب رائع كهذا .

كان كوريتو ذا وجه دقيق واسنان منتظمة وشعر قصير مقصوص ومحلوق عند الصدغين على الطريقة الاندلسية . يمتد ظل لحيته الازرق على بشرته السمراء . وكان على جانب من التأنق كما هي عادة اهل البلاد . يرتدي بنطلونا ضيقا يلتصق بجسمه ، وجاكتة جديدة وقميصا نظيفا كاحسن ما تكون الجدة والنظافة . وعلى راسه قبعة عريضة .

واخيرا انفتح باب غرفة لاكاشيرا ، وظهرت الام تتعلق بذراع ابنها .

وقالت : ستعود في يوم الاحد القادم ؟

ـ اذا لم يمنعني اي عائق .

وبينما كان يودع امه قائلا طابت ليلتك ، تطلع الى روزاليا وهز لها رأسه .

فقالت : الله معك .

وابتسمت له بوميض من عينيها السوداوين .

وقطعت عليها لاكاشيرا نظرتها ، اذ عبست للفتاة الحسناء عبوسا شديدا ، ففاضت عن وجهها فجأة البهجة التي كانت تشع منه واسود كسحابة رهيبة .

وسالتها بيلار بعد خروج الشاب قائلة : اهذا ولدك ؟

فأجابت لاكاشيرا في خشونة ، وولت الى غرفتها : نعم هو ولدي .

ما من سبيل يفتح الطريق لصداقتها او حتى ودها ولينها ، حتى في اللحظة التي يطفح فيها قلبها سعادة وبشرا .

فقالت روزاليا : « يا له من شاب وسيم » . وظلت في الايام القليلة التالية تراودها الخواطر عنه اكثر من مرة .

كانت لاكاشيرا تحب ابنها حبا جما ، حبا صادقا عنيفا ـ فهو كل ما تملكه في الدنيا ـ وكانت تعطيه حر عاطفتها الجياشة المفعمة بالغيرة وتطلب اليه ان يبادلها الحب باخلاص هو في درجة المحال . تريد ان تكون وحدها كل شيء بالنسبة اليه . واضطره عمله الا يعيش معها في حياة واحدة . وكانت الهواجس تنتابها وتعذبها ، وهي لا تدري ما يقوم به عندما يكون بعيدا عنها . وما كانت تطيق مجرد تطلعه الى اية امرأة اخرى . ومجرد تفكيرها في انه قد يغازل فتاة ما يدفعها للجنون . مع ان مدينة اشبيلة لم تكن تعرف تسلية اكثر شيوعا كالمغازلات الطويلة ، حيث تقضي الفتاة الساعات الى منتصف الليل جالسة من وراء قضبان نافذتها او تنتظر عند بوابة البيت الى ان يقبل معشوقها يشنف اذانها بسيل من الغرام والهيام . وقد سألت الام ابنها ما اذا كان مفتونا بفتاة او صديقة ، خاصة

وان شابا في مثل وسامته لا بد انه يحظى بنظرات النســاء وابتساماتهن ، وعلى الرغم من انها كانت تعرف كذبه عليها كلما اقسم لها انه يقضي مساء كل يوم يزاول عمله ، الا ان انكاره هذا كان يقع على قلبها بردا وسلاما .

ولهذا عندما لمحت نظرة روزاليا المثيرة واستجابة ابنها وابتسامته لها ، احتقن وجهها سخطا وغضبا . فقد كانت تكره جاراتها من قبل كراهية شديدة ، لانهن ينعمن بالسعادة وهي تشقى بحظها العاثر . بل تكرههن ايضا لانهن يعلمن بسرها . وزادت كراهيتها اكثر واكثر اذ توهمت . في شبه جنون ــ بانهن يتآمرن لكي يسلبنها ابنها . وخرجت لاكاشيرا في امسية يوم الاحد التالي من غرفتها ، وقطعت الفناء ، حتى بلغت بوابة الدار . ولم يكن ذلك بالشيء المألوف عنها فاخذت الجارات يعلقن قائلات :

تساءلت روزاليا بضحكة مكتومة : ابنها الغالي قــادم الليلة . وهي لا تريدنا ان نراه .

ــ اتظننا سنلتهمه منها ؟

واقبل كوريتو فاسرعت به امه الى غرفتها .

وقالت بيلار : انها تغار عليه كانه عشيقها .

وتطلعت روزاليا الى الباب المغلق ، وضحكت مـرة اخرى ، والشر يفيض من عينيها اللامعتين . وخيل اليهـا انه قد يكون من بواعث التسلية ان تتحدث الى كوريتو . وافتر ثغرها من فكرة الغضب الذي سيستولي حتما على لاكاشيرا . واحتلت موضعا قرب البوابة بحيث يتحتم على الام وابنها ان يمرا بها عند خروجهمـا . الا ان لاكاشيرا عندما لمحت الفتاة ، خطت الى الجانب الاخر من ابنهــا وسارت بشكل يحرمهما حتى النظرة . وهزت روزاليــا كتفها . واخذت تحدث نفسها قائلة : آه لن تقطع علـي السبيل بهذه السهولة .

وفي الاحد التالي ، عندما اتخذت لاكاشيرا مكانهـا ايضا عند البوابة ، خرجت روزاليا الى الطريق وراحت تمشي في الاتجاه الذي تعتقد انه لا بد آت منه . وما هي الا لحظة حتى لمحت كوريتو فاستمرت تمضي في سبيلها، متجاهلة اياه عن تعمد وقصد . ولكنه توقف ثم حياهـا قائلا : هالو !

ــ اهذا أنت ؟ حسبتك تخاف التحدث الي .

فاجاب في زهو : لست اخشى شيئا .

ــ وماما الا تخافها !

وتقدمت في سيرها كانما تريده ان يتركها وشأنها ، وهي تدرك تماما أنه لن يدعها تفعل شيئا كهذا .

فسألها : الى اين ؟

ــ وماذا يعنيك من امري يا كوريتو ؟ اذهب الــى امك يا بني والا ضربتك . انت تخاف النظر الي وهي معك .

ــ ما هذا الهراء .

ــ وفقك الله .. انا ذاهبة في بعض شأني ، ومضى هي خجولا بعض الشيء ، وضحكت روزاليا في قرارة نفسها . وكانت في الفناء مرة اخرى عند خروجه ، وفي هذه المرة دفعته ثورة خجله الى لون من الشجاعة ، فتوقف وحياها طابت ليلتك . واحمرت لاكاشيرا بدم الغضب .

وصاحت بولدها : هيا يا كوريتو ، فيمَ انتظارك ؟

فمضى في سبيله ، ووقفت الام امام روزاليا برهــة كانما تريد الكلام ، ولكن بشيء من الجهد البادي سيطرت على مشاعرها ، وعادت الى غرفتها المظلمة الساكنة .

وما هي غير ايام قليلة ، حتى اقبل العيد ــ عيد سان ايزدورو ــ من القديسين في مدينة اشبيلية . وقام نفر من سكان الحي والوكالة ــ احتفالا بالعيد ــ يعلق خيطانا تتدلى منه مصابيح الورق اليابانية الملونة . وشع نورهـا الحنون يضيء ظلمة الليل ، وكانت السماء هادئة . والليلة ليلة صيف صافية . وتجمع اهل البيت ، وجلسوا وسط الفناء على بعض المقاعد ومن النسوة من تضم طفلها الـى صدرها او تهز بيدها مروحة صغيرة من الورق ، وكن يقطعن ثرثرتهن في الحين بعد الحين بتوبيخ الاولاد الكبـار او لومهم . وكان النسيم عليلا فيه بهجة للقلوب من قيظ النهار وحرارته .

وكان بعض من سعد بمشاهدة مصارعة الثيران يروي تفاصيل المصارعة لمن لا يسعده الحظ بمشاهدتها . كانوا يقصون التفاصيل بدقة رائعة ، ويضيفون من خيالهـم الخصب الشيء الكثير على مشاهد كل لحظة بالوانهـــا وحركاتها . وكانما لم تر مدينة اشبيلية مصارعة رائعة كهذه من قبل . الكل في الفناء اللهم الا لاكاشيرا بقيت في غرفتها التي تضيئها شمعة يتيمة .

ــ وابنها ؟

فاجابت بيلار : انه معها ، رايته يمر منذ ساعة .

فقالت روزاليا بضحكة ساخرة : لا بد انه يقضي وقتا طيبا ممتعا .

فقالت اخرى : دعونا من لاكاشيرا . هيا ارقصي لنـا يا روزاليا .

وصاح الجميع : هيا هيا الى الرقص يا صبية .

واسبانيا تعشق الرقص عشقا ما بعده عشق . وتلذ لمشاهدته . وكانوا يقولون قديما ـ منذ سنوات ـ انه ما من اسبانية لم تولد للرقص .

وسرعان ما صفت المقاعد على شكل حلقة . وجاء كل من البناء وسائق الترام بقيثارته . وجاءت روزاليا بالصناجات . وتقدمت للرقص هي وصبية اخرى .

واخذ كوريتو يصيخ السمع من غرفته لاصوات الموسيقى . فقال : انهم يرقصون ، وسرت النشوة في دمه . وتطلع من وراء ستار النافذة ، ورأى الجمع في ضوء المصابيح اليابانية الخافت . ورآهما يرقصان . روزاليا في ثياب الاحد ، وكانت ـ كما هي العادة قد كست وجهها بالمساحيق ـ وبين خصلات شعرها تلمع قرنفلة زهية وخفق قلب كوريتو خفقانا شديدا . والحب في اسبانيا سريع سريع . فما اكثر ما كان يفكر في تلك الفتاة الجميلة منذ ذلك اليوم الذي تحدث اليها فيه ، فاذا به يتجه نحو الباب .

فسألته لاكاشيرا : ماذا ستفعل ؟

سأذهب لمشاهدة الرقص : الا ترضين لي ابدا الاستمتاع بشيء .

ـ هي روزاليا التي تسعى لرؤيتها .

وعندما حاولت منعه نحاها جانبا . ومضى الى حيث تجمعت حلقة المتفرجين ينعم مع غيره بمشاهدة الرقص . وتقدمت لاكاشيرا خطوة او خطوتين ، ثم وقفت حيث يلفها الظلام والغضب يأكل قلبها . واما روزاليا فقد لمحت كوريتو فاقتربت منه وهي تخطو في رقصها الى ناحيته ، وهمست في اذنيه : الا تخاف رؤيتي ؟

واستخفها الرقص فلم تشعر بأي خوف من لاكاشيرا . وعندما انتهت الرقص ، استلقت زميلتها على احد المقاعد طلبا للراحة . اما هي فاتجهت الى كوريتو ووقفت قبالته وقد شدت قوامها . ومالت برأسها الى الوراء ، وصدرها يجيش بالعاطفة .

قالت : طبعا ، انت لا ترقص .

ـ بل ارقص .

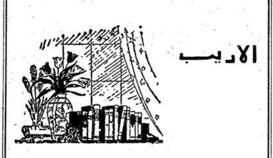
ـ تعال اذن .

وابتسمت ابتسامة مثيرة ، ولكن تردد ، وتطلع من فوق كتفه الى امه الواقفة في الظلام . امه التي يعبدها خياله . ولمحت روزاليا النظرة ، وفهمت كنهها وسرها .

ـ اخائف انت ؟

فتساءل وهو يهز كتفيه : ومم اخاف ؟

وخطا الى حلقة الرقص . واخذت الموسيقى تعلو ، وايدي المتفرجين تصفق مع الموسيقى ، والتصفيق ينتظم بصيحة « اوليه » المعتادة . وناولت احدى الفتيات كوريتو زوجا من الصناجات . وبدأ هو وروزاليا يرقصان . وسمع من الظلام صفير خافت كأنه صفير حية . وفي طيش من النشوة اخذت روزاليا تنظر ضاحكة الى الوجه الشاحب الابيض الذي يلمع بين الظلال الاسود . وجه لاكاشيرا التي وقفت جامدة لا تتحرك ، وانما راحت ترقب حركات الرقص وتمايل الاجسام ، وتشابك الخطى ، فلمحت روزاليا وهي تنثني الى الوراء في حركة رشيقة وتبتسم ابتسامة حلوة في وجه كوريتو الذي يدور من حولها يصفق بالصناجات التي بين يديه . وكانت عيناها تلمعان كأنما تتقد فيهما جمرة من نار ، وتتأوه بأنين الغضب . ولكن ما من



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : ديناران او ٦ دولارات ونصف

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ٢٥ ليرة كحد ادنى

في الخارج : ٥ دنانير او ٢٠ دولارا كحد ادنى

✶

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت أم لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

✶

تلفون : الادارة ٢٣٨١٩ — Direc : 23819 Tél.
المنزل ٢٥١٣٩ — Dle. : 25139

✶

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب .

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

احد لحظ عليها ذلك . وبلغ الرقص منتهاه . وابتسمت روزاليا مسرورة للتصفيق والاعجاب . فقالت لكوريتو انها لم تكن تعلم باجادته الرقص الى هذا الحد .
وولت لاكاشيرا الى غرفتها مسرعة واغلقت من خلفها الباب بالمزلاج . ولما عاد كوريتو لم تفتح له الباب .
فقال : حسنا ، ساعود الى بيتي .
وتمزق قلبها من شدة الالم ، ومع ذلك لم تتكلم . كان هو كل ما تملك وكل ما تحب في دنياها . ولكن الان تكرهه . وفي تلك الليلة لم يغمض لها جفن ولم تذق طعما للنوم . واخذت الهواجس تنتابها وتلح عليها الافكار في شبه جنون . انهم يسلبونها ولدها . وطلع الصباح فلم تذهب الى عملها ولكنها ظلت تنتظر روزاليا واخيرا خرجت الفتاة تحمل على محياها مظاهر سهرة البارحة . وذعرت اذ واجهتها لاكاشيرا فجاة .
ماذا تريدين من ولدي ؟
فاجابت روزاليا وهي تتصنع الدهشة : ماذا تعنين ؟
واهتز كيان لاكاشيرا وعضت بنانها حتى تحفظ سكينة نفسها .
ــ اوه ، تعرفين ولا شك ما اعنيه : انت تسرقينه مني .
ــ اتظنيني اريد ولدك ؟ ابعديه عني . ماذا عساي افعل ، اذا كان يلاحقني حيثما اذهب .
ــ كذابة !
ــ « سليه ! » قالتها روزاليا بلهجة شديدة السخرية الى درجة ان لاكاشيرا لم تقو على تماسك نفسها . ومع ذلك مضت روزاليا تقول « انه يظل في الشارع اكثر من ساعة لكي يلقاني . لم لا تبقينه لنفسك ؟ »
ــ كذابة ! كذابة ! انت التي تلقين بنفسك في طريقه .
ــ لو اردت حبيبا فانا اجده دون سعي والحاح .
ولست بالتي تريد ابن قاتلة .
واسودت الدنيا في وجه لاكاشيرا . وصعد الدم الى راسها واندفع الى عينيها . فهجمت على روزاليا وشدت شعرها . وصرخت الفتاة صرخة اليمة وجاهدت تدافع عن نفسها . واذا باحد المارة يسرع على الفور ويخلصهما من بعضهما .
وصاحت لاكاشيرا : دعي كوريتو وشانه ، والا ساقتلك !
ــ اتظنين انني خائفة ؟ ابعديه عني ان استطعت ايتها الغبية . الا ترين انه يحبني اكثر من حبه لعينيه .
فقال الرجل : هيا ابتعدي الان يا روزاليا ولا تقولي شيئا .
وزمجرت لاكاشيرا من حدة العاطفة كحيوان وحشي افلتت منه فريسته ، ومضت مندفعة نحو الشارع .
ولكن الرقص جعل كوريتو يهيم بحب روزاليا ، فظل غداة اليوم التالي يفكر في شفتيها الورديتين وسرت النشوة في دمه ، وشع نور عينيها في قلبه واذا هو يشتهيها برغبة جامحة . وما ارخى الليل سدوله ، حتى وجد نفسه يتجول في الحي قريبا من دارها . وظل ينتظر في الظلام عند السقيفة الى ان لمح بها في فناء الدار . وكانت امه في الطرف الاخر ساهرة وحدها ترعى نور شمعتها .
فهمس مناديا : روزاليا .
فدارت ناحية الصوت تكتم صيحة من الدهشة .
واتجهت اليه وهمست قائلة : ماذا جاء بك اليوم .
ــ لم اطق صبرا على بعدك .
فابتسمت وقالت : ولماذا ؟
ــ لانني احبك .
ــ اتعرف ان امك كادت تقتلني هذا الصباح ؟
وراحت روزاليا تعيد عليه في مرارة الفتاة الاندلسية قصة الشجار الذي دار بينها وبين امه ، فروت الحادث وقد البسته ثوب البهرجة اللازمة ودون ان تذكر او تشير الى عباراتها الاخيرة التي اغضبت لاكاشيرا والتي كانت فوق طاقتها .
فقال كوريتو : ان لها طبع الشيطان . ثم ازداد حماسة وقال :
ساخبرها بانك الحبيبة التي اهواها .
فقالت روزاليا في سخرية : كم سيسرها ذلك .
ــ اتحضرين الى البوابة غدا ؟
فاجابت : ربما .
وضحكت ضحكة صغيرة لانه يعلم من لهجتها بانها ستحضر . واخذ يختال في مشيته اكثر من المعتاد وهو يقطع الشارع عائدا الى بيته . وعندما جاء في اليوم التالي كانت في انتظاره . فاخذا يتحدثان لساعات طويلة ، يبثها غرامه وتبثه غرامها . كما هي عادة العشاق في اشبيلية . يفصل بينهما الباب الحديدي . وما كان يدور في خلده انه في غنى عن ذلك كله . سالها اذا كانت تحبه وتهواه فاجابته من اعماقها بآهة حب بادية . واخذ كل منهما يقرأ في عين الاخر لهيب العاطفة المتأججة في الصدور . وهكذا كانا يلتقيان ليلة بعد ليلة .
وخشي كوريتو ان تكون امه على علم بزياراته ، فلم يذهب لرؤيتها يوم الاحد التالي . وبقيت المرأة التعسة تنتظر زيارته بقلب حزين . وودت لو تركع امامه تسأله الصفح لطردها اياه . ولكنها كرهته اذ امتنع عن زيارتها . كرهته وودت لو تجده ميتا امامها وغاص قلبها اذ رات انه لا بد من مضي اسبوع اخر كي تحظى برؤياه .
ومضى الاسبوع ولكنه لم يات اليها . فلم تطق صبرا . اليست تحبه حبا لا تستطيع حبيبة ان تمنحه اياه . وحدثتها نفسها بان ذلك انما هو من فعل روزاليا . وامتلأ قلبها بالغضب عندما خطر ذلك ببالها . واخيرا جمع كوريتو شجاعته وذهب يزورها . ولكنها كانت قد انتظرت طويلا ، ولاح لها كانما حبها له قد مات . فنحته جانبا وهو يحاول تقبيلها .
ــ لم لم تات من قبل ؟
لقد اغلقت الباب دوني . واعتقدت انك لا تريدنني !
ــ اهذا وحده السبب ؟ اليس من سبب اخر ؟
ــ كنت مشغولا . قال ذلك وهو يهز كتفيه .
ــ مشغول ؟ وماذا يشغل صابع متعطل مثلك ؟ لم تكن مشغولا جدا وانت تحضر لمقابلة روزاليا .
ــ لم ضربتها ؟
ــ كيف عرفت بضربي لها . هل قابلتها ؟ وهبت لاكاشيرا نحو ولدها ، والشرر يتطاير من عينيها « قالت انني قاتلة » .
ــ وماذا في ذلك .
وصاحت تردد قوله « وماذا في ذلك » وسمع صياحها في فناء الدار .

« اذا كنت قاتلة ، فهذا كان بسببك انت . نعم قتلت بيب سانتي ، لانه كان يضربك . فمن اجلك انت قضيت في السجن سبع سنوات . سبع سنوات . آه ، يا لك من غبي غبي اتظنها تهتم بك . وهي التي تقضي كل ليلة الساعات عند البوابة . فأجاب كوريتو في شيء من الغضب : اعرف ذلك .

وفزعت لاكاشيرا بشدة . والقت عليه نظرة محيرة ثم فطنت الى كل شيء . ولهشت من الالـــم والغضب . وضربت قلبها بقبضة يدها كأنما الغضب اكثر مما تقوى على حمله .

اكنت تأتي كل ليلة الى البوابة ، ولا تحاول زيارتي ؟ آه ، ما اقساك ! وانا التي بذلت من اجلك كل شيء في طاقتي . اتظن انني كنت احب بيب سانتي ؟ وما كنت احتمل ضرباته الا لكي اوفر لك الخبز والحياة . وما قتلته الا لانه ضربك . يا الهي ، لقد عشت من اجلك فقط . ولولا اهتمامي بشأنك لكان من الخير لي ان اموت فلا اتعذب طوال تلك السنوات المريرة في السجن .

ــ الا تفهمين ، ايتها المرأة ، كوني عاقلة . ها انذا في العشرين من عمري . ماذا تنتظرين ؟ اذا لم تكن روزاليا ، فستكون غيرها .

ــ ايها الحيوان ، انني امقتك . هيا اغرب عن وجهي. ودفعته بشدة ناحية الباب . وهز كوريتو كتفيه .

ــ لا حاجة بك للظن بانني اريد البقاء .

وقطع الفناء في خفة حتى بلغ البوابة ثم رد الباب الحديدي من خلفه . واخذت لاكاشيرا تروح وتغدو في غرفتها . ومضت الساعات بطيئة . وظلت فترة طويلة عند النافذة ترقب بحدة مرعبة اشبه بالوحش الضاري يستعد للانقضاض على فريسته . ثم وقفت جامدة تكبت القلق الذي يمزق احشاؤها . وسمعت صفقة ناحية البوابة علامة على وجود احد الاشخاص . فتقدمت الى الامام تتطلع وقد فغرت فاها والشرر يتطاير من عينيها . ولكن لم يكن هناك من احد . غير البناء . وانتظرت بعض الوقت . وجاءت بيلار ام روزاليا وصعدت الدرج الى غرفتها وتحسست لاكاشيرا حجرتهـــا تحاول اطلاق انفاسها الحبيسة . واستمرت تنتظر . وانتابتها في الحين بعد الحين رعشة غريبة سرت في كيانها كله .

واخيرا ! تصافحت الايدي عند البوابـــة ، وصاح احدهم يسأل من عل : من هناك ؟

ــ السلام !

وتعرفت لاكاشيرا صوت روزاليا ، واحست بشيء من خيلاء النصر . وفتح الباب من عل ، ومرقت روزاليا وقطعت الفناء بخطاها الخفيفة تدب فيها نشوة الحياة . وكادت تهم بوضع قدمها على الدرج عندما قفزت لاكاشيرا الى الامام تحول بينها وبين الصعود . وامسكت بذراعها فلم تستطع الفتاة حراكا .

فقالت روزاليا : ماذا تريدين . دعيني امر .

ــ ماذا كنت تفعلين مع ولدي .

ــ دعيني امر ، والا سأصرخ .

ــ اصحيح انكما تلتقيان عند البوابة كل ليلة ؟

وصاحت روزاليا مستنجدة : اماه ، النجدة ! انطونيو!

ــ اجيبيني .

ــ حسنا ، ما دمت تودين معرفة الحقيقة فسأخبرك بهـا .

انه سيتزوجني . وهو يهواني . وانا ــ انا احبه من كل قلبي . ودارت حول لاكاشيرا ، تريد ان تتملص من قبضتها . اتظنين انك قادرة على منعنا ؟ اتظنين انه يخافك ؟ انه يكرهك . هكذا قال لي . ولكم تمنـــى الا تخرجين من السجن .

ــ اقال لك ذلك ؟

وانكمشت لاكاشيرا الى الوراء . واغتنمت روزاليـا الفرصة للتملص منها .

نعم ، قال لي ذلك . واكثر من ذلك . قال انك قتلت بيب سانتي ، وانك قضيت في السجن سبع سنوات وانه تمنى لك الموت .

وكانت روزاليا تنفث الكلمات كأنما تنفث سمـا ، وضحكت بصوت حاد عندما رأت المرأة تتقلص من وخز ضربات اليمة .

ــ يحق لك ان تفخري بانني لم ارفض الزواج من ابن قاتلة .

وزحفت على الدرج بعد ان دفعت لاكاشيرا . ولكن الدفعة قد افاقت المرأة من وقع عبارات التعيير القاسية . وبصيحة غضب وحشية انهالت على روزاليا ومسكت بكتفيها وجرتها اليها . فدارت روزاليا ولطمتها على وجهها. واخرجت لاكاشيرا سكينا من صدرها وهوت به علـى عنق الفتاة وهي تلعنها . وصاحت روزاليا .

ــ اماه ، قتلتني .

وسقطت في اسفل الدرج وخرت صريعة عـــلى الحجارة . وتجمعت من حولها بركة قانية من دمها .

وانفتحت اثر صيحة الفتاة اليائسة بضعة ابواب على مصراعيها . وتزاحم القوم للقبض على لاكاشيرا ، ولكنهـا استندت الى الحائط وواجهتهم وعلى وجهها مسحة من الوحشية فلم يجرؤ احد على الدنو منها . واسرعت بيلار تصيح من الشرفة ، وتبدد اهتمام الجمع لحظة . واغتنمت لاكاشيرا الفرصة فاسرعت الى غرفتها ، وما بلغتها حتى اغلقت الباب بالمفتاح من خلفها .

وفجأة ازدحم الفناء بالناس . واخذت بيلار تصيح وتولول على ابنتها وعبثا حاولوا ابعادها عـــن الجثة . واندفع احدهم في طلب الطبيب ، واخر في طلب البوليس وكثر ازدحام المارة في الطريق وتجمعوا عند الباب .. ثم اقبل الطبيب يسرع الخطى وفي يده حقيبة سوداء صغيرة. وجاء رجال البوليس فاخذ بعض الموجودين دفعة واحدة يروي ما حدث واشاروا الى باب غرفة لاكاشيرا ، ودخل رجال البوليس عنوة . وبعد عراك ومشاحنة ، خرجوا وقد كبلوها واوثقوا يديها وازدحم الناس فاحاط بها رجـال البوليس واخذوا يفرقون باغمدة سيوفهم الناس الذيـن التفوا حولها يلعنونها ويلوحون بقبضاتهم فـــي الهواء . ونظرت لاكاشيرا اليهم بازدراء ، ولم تقل شيئا . عيناهـا تشع بالنصر . وقادها البوليس الى الفنـــاء ومروا بجثة روزاليا .

فسألت لاكاشيرا : أهي ميتة ؟

فأجاب الطبيب بوقار : نعم .

فقالت : شكرا لله .

حســن السعــران

أنلتقي ؟

✱

أنلتقي ؟! يا ليت أنّا على مخضوضر من دربنا نلتقي
طيرين ! أو كالطير في شدوها على النّدي المائس المورق
فتملأ الدنيا أغاريدنا من مغرب الشمس الى المشرق
ونعبر الحياة من شاطىء لشاطىء كالحلم في زورق
ضلوعه ند ، مجاذيفه ورد ، وصدر الموج من زنبق

✶ ✶ ✶

يا طيبه حلما !.. ألا ليتني أظل من سرابه أحتسي
اذن ! فلن أعطش يا حلوتي ، وأنت لي خمر ، الى الاكؤس
عيناك ! كم تحدثت عنهما مساقط الانداء للنرجس
ألف ربيع يختبي فيهما وألف شمس منهما تكتسي
انتضحكي تضحك شفاه الدجى وتظلم الشموس ان تعبسي

★ ★ ★

يا حلمي الغالي !.. ألا نظرة عجلى ؟! ألا قرب ؟ ألا موعد
أدنو ، وفي عيني ايماءة وفي فمي قيثارة تنشد
أوتارها بحت ، ألم تسمعي؟! لمن اذن آهاتها توقد
واخجلتي ان قيل غنى ولم يفتح له فردوسها الموصد
قلبي ، على كفي ، يطوي المدى اليك ، لا يهنا ، ولا يسعد
من غير أن تمتد منك اليد وتضحك العين ، ويرضى الغد
عن الف حلم للهوى يولد

سليمان نصر

مأساة « نفيسة كامل علي » في « بداية ونهاية »

بقلم فاضل السباعي

ما اظن ان احدا لم يقرأ عن « بداية ونهاية » للروائي نجيب محفوظ ، ان لم يكن قد طالعها وعاش في الدنى الزاخرة التي نفخ الحياة في ارجائها قلم ثر معطاء لاينى يغذو الادب العربي ، في وثبته المعاصرة ، بالاثر الرفيع تلو الاثر . . .

و « نفيسة كامل علي » احدى الشخصيات التي تنهض عليها هذه القصة الممتعة . وقد رسم لها المؤلف دور التي تمنح وتعطي في صمت وفي مزيد من السخاء ، لتمضي في اخر المطاف الى العدم والفناء ، بعد ان تجود بدمائها ؛ تماما كالفراشة التي تطلع من الشرنقة : تضع بيوضها وتغفو مائتة قريرة العين .

أراد المؤلف لنفيسة ان تعمل وتكدح لتمد اسرتها البائسة بقليل من الكسب تجنيه من عملها كخياطة متجولة تدور على البيوت ، وذلك بعد ان فتحت الاسرة عينيها ذات صباح فاذا معيلها قد اختطفه الردى على غير سابق اخطار وما خلف وراءه لذويه من المال سوى « معاشه » اليسير الذي لا يكاد يسد رمق زوجه وابنته نفيسة وابنيه الطالبين في الثانوي وابنه الاخر العاطل عن العمل العاطل من الخلق . . . فكان لا بد ان تدفع الاسرة بالبنت ـ في كثير من المضض والاشفاق ـ لتعمل خياطة ، وقد كانت من قبل تخيط للجيران بين الفترة والاخرى بعض الثياب صداقة واستحبابا ؛ فلعل مهنتها هذه تمكن الاخوين من اكمال تحصيلهما فيقيض بعد ذلك للاسرة امر جديد . على ان المؤلف ما كان يريد لنفيسة ان تقوم بما نيط بها من عمل دون أن يعلق بها منه غبار وأي غبار ، فدفعها في غمار عملها الى تعاطي الفحشاء لقاء دريهمات معدودات في كل مرة ، الى ان ينكشف لاخيها امرها المستور فيستاقها الى النيل لتدفن في احضانه خزيها وعارها .

كذلك يبدو لنا « تصميم » نفيسة كامل علي في قصة « بداية ونهاية » . فهل ينهض هذا التصميم على صرح فني متين ؟ وشخصية نفيسة ، ما نصيبها من « الاقناع » ؟ وهل استقام لها ، في جميع مراحل تطويرها ، الاخلاص الفني والصدق الروائي ؟

لعلنا لا نعدو الحق ، اذا قلنا ان شخصية نفيسة لم تكن مقنعة الاقناع كله ، ولم يستقم لها الصدق الروائي كما استقام لسائر شخصيات القصة ؛ ذلك ان المؤلف كان قد وضع في « التصميم » ، قبل أن يشرح في الكتابة ، أن يدفع بنفيسة ، البنت الفقيرة الدميمة ، الى ان تزل قدمها وتبيع جسدها للشيطان لتقاد من ثم الى الانتحار . وقد مهد لهذه المأساة بحاجة الاسرة المادية ورغبة البنت الجسدية. وضع المؤلف هذا التصميم ، ثم مضى يكسو شخصياته الدم والروح ، وما رضي ان يحيد عنه قيد أنملة . فانه ـ فيما بعد ـ كان حريصا على ان يختتم المأساة بانتحار نفيسة . وما كان في ذلك من ضير ، لولا ان انحراف البنت ـ اصلا ـ عن جادة الاستقامة والشرف ، ثم اصرارها على احتراف العهر ، جاء مقتسرا غير مقنع لا ينسجم مع ما يكتنف حياة البنت من ظروف وملابسات .

فقد كان ابو نفيسة موظفا ان لم نقل محترما فعلى جانب من الاحترام ، وقامت على تربيتها ام صارمة يهابها كل من في البيت ؛ نفيسة ، وحسين وحسنين وهما في مستهل الشباب ، ولم يشذ عن تهيبها الا الابن الاكبر حسن فانه كان مثالا للتفسخ والانحلال لا يكاد يأوي الى البيت الا اذا قرصه الجوع (1) .

وكان لنفيسة من العمر يوم مات ابوها ثلاث وعشرون سنة . في حين كان حسين في التاسعة عشرة وفي السنة الرابعة من دراسته الثانوية . اما حسنين فقد كان في السنة الثالثة من دراسته ويصغر أخاه في العمر سنتين . وما خلف المتوفي لاسرته سوى معاش قدره خمسة جنيهات لم تجد معه الاسرة بدا من ان ينقطع أحد الابنين عن دراسته ليعمل وينهض باعبائها ، او ان يستمرا معا في الدراسة على ان تعمل الصبية « خياطة » .

وقد رأينا الاسرة البائسة ، غداة وفاة عائلها ، تتفكر في وسيلة تضمن لافرادها الحياة الكريمة ، وكانت الام تدير الحديث باللين تارة وبالزجر اخرى ، الى ان قالت : « اما نفيسة فتحسن الخياطة ، وهي تخيط كثيرا لجاراتنا محبة ومجاملة ، ولست ارى بأسا في ان تتقاضى على تعبها مكافأة . . . ولكن حسنين صاح بغضب وقد اصفر وجهه غضبا : خياطة ! . . . لن تكون اختي خياطة ، كلا ، ولن اكون اخا لخياطة . . . فصاحت به امه : اخرس » . . .

---

(1) وفي ذلك يقول احد الكتاب : ان نجيب محفوظ دفع حسن الى الانحلال « دون ان يصور لنا الاسباب الواقعية والنفسية التي دفعت به الى هذا الإتجاه ، مكتفيا بان قال ان سبب ذلك كان والده الذي الان له المعاملة » . مجلة « الادب » : العدد الثالث ، مايو ١٩٥٦ .

وساد صمت مؤلم .. تألم حسين كثيرا لمصير اخته .. اما نفيسة فسكتت مغلوبة على امرها ، وقد كانت امها اقنعتها بضرورته (٢) ..

ويتجلى لنا في هذه الفقرات صرامة الام ، وتألم الاخوين للمصير التعيس الذي تساق اليه اختهما (٣) .

وكذلك تضطر الاسرة الى دفع نفيسة الى العمل ، لتضيف الى المعاش دخلا جديدا ، فضلا عن ثمن بعض قطع من الاثاث راحت الام تبيعها بين الفترة والاخرى .

الى هنا والحوادث تجري مقنعة . وقد كنا نحسب ان نفيسة ستعمل - في مهنتها الجديدة - على ان تقي كرامتها وكرامة اخوين لها شابين غيورين من كل ما يشين ، وهي العاقلة الرزينة ، والتي تقوم على تربيتها ام لا تعوزها الشدة واخذ الامور بالعنف والدهاء . على اننا ما لبثنا ان فوجئنا بالصبية وهي تنحرف بعد ايام من عملها كخياطة . فانها تذهب الى بيت لتخيط ثياب عروس فيه ، وهناك « جلس الخطيبان على الكنبة المقابلة . كانا ملتصقين . وكانا يتحادثان في صوت مسموع حينا ، وينخفض حينا فيصير مناجاة وهمسا . وكم ودت ان ترفع رأسها عن الماكينة اليهما ، ولكنها خافت وعقلها الحياء ان تلتقي عيناهما بعينها » . وكانت قد اعتادت بعد طرد الخادم التردد على بقالة مجاورة لابتياع ما يلزمهم ، فتتعرف الى « سلمان » ابن صاحب البقالة وصبيه في آن « معرفة اخذت تزداد بكرور الايام . واستحضرت صورة الفتى بقامته الطويلة المائلة للامتلاء ووجهه البيضاوي الاسمر وعينيه الضيقتين ، وتساءلت : ترى هل حقا يبدي نحوها اهتماما ، ام انها واهمة ؟ خيل اليها انه يبتسم لها في تودد.. » وتنطلق اليه في دكانه فور انصرافها من بيت العروس ضاربة بتربيتها وبسمعة اسرتها عرض الحائط.. وفي سبيل من ؟ صبي بقال . ولم لم تنشغل به قبل هذا اليوم ، قبل ان يموت أبوها مثلا ؟ لانها لم تكن خياطة !! هنا يبدأ التنافر والنشاز والقسر في السير حسب التصميم ، ويستقبلها الشاب « متهلل الوجه وقد لمعت عيناه الضيقتان . كانت قسماته تشي بالغباء والحيوانية والجبن » .. ويرحب بها ، فترتبك وهي تدفع اليه بالقرش ثمنا للحلاوة الطحينية ، فيتناوله ويقول : « سأحتفظ بقرشك بركة » فتبتسم له تشجعه وترحب به وقد اهتز قلبها سرورا وجاش صدرها بالانفعال (٤) .

ثم ان نفيسة تذهب الى الفتى يوما في دكان ابيه ، وقد اخذت تعير زينتها مزيدا من الاهتمام فتكحل عينيها وتصبغ خديها وشفتيها بحمرة طفيفة . فيطلب اليها من خلف ابيه ان تسبقه الى الشارع القريب ليفضي اليها باشياء هامة . ثم يلحق بها ويجاذبها الحديث وهي تواقة الى ان تسمع منه ما يريح قلبها . ثم يفترقان على موعد . وفي الموعد يتجولان قليلا ، ثم يزين لها مرافقته الى بيته فذلك امن من العيون ، فتستجيب بعد تمنع . وهناك .. تسفح الخياطة عفافها في ساعة ضعف يمنيها فيها الفتى بالزواج .. وينتهي كل شيء (٥) .

وقد كنا نفهم ان يقف انحراف نفيسة عند هذا المدى ، سيما وقد تزوج فتاها بعد قليل من فتاة اخرى . ولكنها ترحب بمن اسمه « محمد الفل » عامل الجراح ، الذي يتعرض لها في مرورها من امام محل عمله (٦) وينشب في نفسها صراع عنيف تنتهي منه الى رأي ؛ لان ثمة « رغبة تأبى عليها ان تعتزل الحياة وتتوارى » ، ولانها « ترضى الهوان في سبيل النقود التي تمس حاجة اسرتها» . ويبرز لها الرجل يوما من الجراج ، فتتدانى منه بخطوات وئيدة متجاهلة اياه ، فتحس به يعترض سبيلها قائلا بجراته المألوفة : الصخر نفسه يلين يا ست ، هاك السيارة عند منعطف الطريق . ثم يسير الى جانبها متشجعا بابتسامتها ... فيطيب لها غزله ... وفي السيارة ، في الصحراء ، يمد ذراعه حول خصرها ويجذبها نحوه بعنف ، فتندلق عليه متأوهة ، فيفغر فاه العريض ويطبق على فمها ويضمها الى صدره بوحشية ، فتشعر بادىء الامر بألم وقلق ، ثم تمضي الامها تغيب في ظلمة باطنية غريبة.. وتبذل قصارى جهدها لارضائه ... وفي العودة يقذف لها بنصف ريال (٧) ، فتعتريها خيبة امل لتفاهة الاجر (٨) ! !

ان هذا كثير على بنت لم نعرف عنها الا نقاء النفس وطيب العنصر . ولعلنا نضرب صفحا عن حبها صعلوكا - كسلمان صبي البقال - ما دامت تأمل ان يتخذ منها زوجا وهي الدميمة التي مضى عنها زورق الزواج .. اما ان تتقبل من عامل الجراج مثل هذا الغزل العاهر ، وان تبذل داخل السيارة « قصارى جهدها لارضائه » ، فذلك ما لا يمكن ان يصدر الا عن انثى تحمل نفسية مومس عريقة . وليس يبرر هذه الطفرة تصوير الخواطر وتحليل المشاعر التي كانت تصطخب في اعماق البنت مهما اوتي قلم المؤلف من سحر ومهارة في تناول الخلجات النفسية ، فالمسألة هنا اعمق من ان تستساغ لمجرد سحر في التعبير او اجادة في التحليل ، فأثر هذين يغيب في الذاكرة فور اغلاق الكتاب وتبقى الوقائع مجردة من التزويق عارية عن الزخرف البراق . لقد كان ينبغي لاستساغة عهر الصبية ان يكون ذا جذوة بعيدة - ولو باهتة - في ماضي ايامها ، كأن يكون لها في مراهقتها الطائشة علاقة حب مع قريب او صديق للاسرة او فتى من ابناء الجيران ، فلما مات ابوها وقدر لها ان تعمل خياطة تتنقل في بيوت الناس لم يكن من المستنكر ان تزل قدمها ، وحتى مع هذه الصورة الفرضية ليس يسهل الرضاء عن تحميلها نفسية المومس العريقة .

على ان المؤلف ، من جانب اخر ، وضعنا في حيرة اخرى . فنحن لا نعرف على التحديد الباعث الذي يدفع نفيسة الى تعاطي البغاء : اهو سعيها الى كسب النقود للانفاق على اسرتها البائسة ؟ ولكن ذلك ليس بالدافع المقنع ، لان هناك ابوابا اخرى تنفق منها الاسرة ، هي المعاش ، والاثاث التي تباع منه في كل فترة قطعة ، ودخل نفيسة الخياطة .. اذن فدخلها كمومس ليس بالدخل الوحيد الذي لا معدى عنه ولا غناء ، سيما وان عطايا العهار من التفاهة بحيث لا تغري بان تهدر من اجلها عرضها

(٢) « بداية ونهاية » : « الكتاب الذهبي » ، مارس ١٩٥٦ .

(٣) وامر ثالث : ان في احتراف البنت الخياطة - في القطر المصري - امتهانا لكرامتها وكرامة الاسرة جميعا . وذلك ما لم يجر به عرف في قطرنا السوري .

(٤) القصة : ص ٥٧ . (٥) القصة : ص ٨٠ .

(٦) القصة : ص ١١١ . (٧) ما يعادل الليرة السورية . (٨) القصة ص ١٢٨ .

وترخص كرامتها (٩) ، فهي لدمامتها غير مرغوب بهـا من الرجال . وان كان الباعث ظمأ جسديا تقصد نفيسة الى اطفاء غليله فقد كان اولى بها ان توقف جسدها على واحد من الفتيان وتكون له بالخليلة اشبه ، لا ان تتقلب في احضان كل من يرغب فيها من الرجال ، ومنهم ذلك المترهل الاشيب ابن الستين (١٠).

ثم ان القصة تسير بنا الهوينا .. فتتحسن حـال الاسرة تحسنا مقنعا . فالاخ الاكبر حسن ينقطع عن البيت فيكفيهم بذلك مؤونة اطعامه اللقيمات القليلة ، بل هو لايني يمد اليهم يد المعونة بين الفترة والاخرى . ويحصل حسين على البكالوريا ويدخل في عداد الموظفين . اما حسنين فانه يغدو ضابطا في الجيش معتزا بنفسه الاعتزاز كله طامحا كل الطموح الى ان يرفع من شأن الاسرة ويغير حالها الى حال اخرى ، وكان اول ما صنع في هذا المضمار سعيه الى ان يزيل الوصمة التي لحقت بالاسرة من امتهان البنت الخياطة ، فتكف نفيسة عنها ، ثم هو يغير الزقاق الشعبي العتيق الى حي حديث ، بل انه يهجر خطيبته « بهية » ــ البنت الساذجة ــ التي مضى عليه في خطبتها زمن ، لانها تذكره بماضيه التعيس ولانها لم تعد تواكب اماله الصاعدة .. ولا ادل على اعتزاز حسنين هذا وطموحه من فرط تأثره يوم فاجأ رجال الشرطة الاسرة في بيتها ففتشوا الدار بدعوى ان حسن يتاجر بالمخدرات ، حتى انه جعل يصيح بامه بعد مضي رجال الشرطة : دعيني اقتل نفسي .. لقد افتضحنا وانتهينا ، في حين اعترى نفيسة « خوف غريب ارتعدت منه فرائصها ... وبكت بكـاء هستيريا ... فقد خيل اليها انها هي المطاردة ... وتوقع قلبها شرا فظيعا ... ثم خفق قلبها كانها تجفل من لقاء اخويها » (١١).

اذن فقد تغيرت حال الاسرة التغير المراد ، وتركت نفيسة مهنتها ، فداخلنا الظن بانها ، وقد عاشت تجربة الخوف من افتضاح امرها لدى اخوتها ، سوف يكون ذلك سببا كافيا لان تلتوي من يومئذ عن طريق العهر والبغاء .. ولكن المؤلف كان قد وضع تصميمه على اساس « مأسوي » على اساس ان يتصل بعلم حسنين ، الغيور المتعالي ، خبر احتراف اخته البغاء .. فيستدعيه ضابط النقطة يوما لينهي اليه ان من تدعى نفيسة كامل علي قد ضبطت مع شاب في بيت سيدة رومية تؤجر حجراتـه بالسـاعة للعشاق (١٢). ويصعق حسنين للنبأ ويند عنه رشده ، فيستاق اخته الى النيل ، حسب التصميم الموضوع ، لتلقي بنفسها بين احضانه (١٣) ، مسدلة بذلك الستر الصفيق على ما فارقت من اثام جلبت لاسرتها الخزي والعـار .

وكذلك انتهت الى غايتها مأساة نفيسة كامل علي .

انتهت المأساة ، ولكن في شيء من الافتعال واللاعفوية والبعد عن الاقناع . فليس في مجتمعنا الشرقي مـلامح لهذه الشخصية ، البنت التي تتردى في الهاوية على فجأة دون ان يكون لترديها جذور في حياتها البعيدة او القريبة ، وفي الوقت الذي يقوم على رعايتها ام صارمة واخـوة اشداء ، وتمضي في طريقها غير ملتوية على رغم ما ينتظرها من العقاب الصارم ان هو انكشف امرها لاخوتها ولا بد من ان ينكشف يوما .

ولئن قال احد المستشرقين الاوروبيين ــ في حق ــ عن بهية خطيبة حسنين : انها « صورة نقية للحياء الاسلامي تتسم بالحياة والصدق » (١٤) ، فاننا نقول في ثقـة واصرار : ان شخصية نفيسة كامل علي لا تمت بصلة الى واقع شرقنا الاسلامي بظروفها التي كساها اياها المؤلف في « بداية ونهاية ».

ومن عجب الا تسترعي هذه الشخصيـة انتبـاه ناقد (١٥) قد توفر على دراسة الادب الروائي المصري ، ووقف عند نجيب محفوظ وقفة طويلة .

ونحب ان ننوه ــ اخيرا ــ بان راينا هذا يقف عند شخصية نفيسة كامل علي لا يتعداها ، وليس مثله راينا في سائر شخصيات « بداية ونهاية » . فالقصة ممتعة حقا بدناها الزاخرة ، وتماسكها الفني . وبحسب مؤلفها انه ذو قلم يعد من انجح ــ ان لم يكن انجح ــ الاقلام الروائية اليوم التي اخذت على نفسها ان تؤرخ ــ برائع فنها ــ الواقع العربي بما يتسم به من مزايا وما ينخر في كيانه من ادواء ، في جلد وبراعة واخلاص .

حلب — فاضل السباعي

---

(٩) نصف الريال ، او ريال واحد . (١٠) القصة : ص ١٩١ .

(١١) القصة : ص ٢٣٨ . (١٢) القصة : ص ٢٨٣ . (١٣) القصة : ص ٢٩٢ .

(١٤) « القاص نجيب محفوظ في نظر المستشرق عبد الكريم جرمانوس » ، مجلة « الاديب » : فبراير ١٩٥٣ . (١٥) عبد العظيم انيس ، في كتابه « في الثقافة المصرية » بالاشتراك مع محمود امين العالم، ص ١٥٤–١٧٧ .

قصة عراقية

درهم

بقلم عبدالله نيازي

لم يكن « شوقي » ليجرأ ويخطو بضع خطوات ويضع في يد صاحب « الدولاب » درهمه العزيز فيشارك لذاته فرحهم وابتهاجهم العظيمين بالعيد .. ولو كان اخوه « جاسم » معه ، اذن لما تردد لحظة في اقتناص هذه الفرصة الكبيرة التي اتاحها له العيد ، ولما شل الجمود خطواته والخوف لسانه ، ولكن جاسما ابى ان يأخذه معه ، فلقد خرج غاضبا ، اومفتعلا الغضب ليتخلص من توسلات امه ، ومن بكاء اخيه « شوقي » حين اصر على الذهاب معه .. ولكن شوقي لم ييأس ، فما كاد يدع اخاه جاسما يخرج ، حتى راح يتتبعه بحذر ويتعقب خطواته ، وبضع قطرات من الدمع تتجمع على وجنتيه .. واحس جاسم ان اخاه شوقي سيفسد عليه يومه ان هو تمادى في اصراره ، فلم يجد بدا من اللجوء الى العنف ، فرجع اليه ـ وقد كان يحتك بالحائط ـ يتوعده ، ويهدده بالضرب أن هو لم يطعه ويرجع الى الدار .. ولما لم تجد فيه كل توعداته عاد يتوسل اليه ويعده انه سيأخذه معه اذا كان العصر ولم يشأ شوقي ان يرضخ او يستمع الى مثل هذه الوعود التي طالما مناه بمثلها دون ان يلتزم ببعضها ، فقعد على التراب وجعل يضرب الارض بقدميه ويذر التراب بيديه ويبكي بكاء مجنونا ، فاستشاط جاسم غيظا ، وكاد يبطش به لو لم يتذكر رفقاءه الذين ينتظرونه في الجامع وضرورة الاسراع اليهم ، فخنق غيظه بجهد، واكتفى بان القى عليه نظرة شزراء ، ثم هدده بالضرب ان هو عاد وتعقبه ثانية ، ومضى الى صحبه. ولكنه ما كاد يبتعد بضع خطوات حتى قام « شوقي » وراح يتعقبه ثانية وهو يحتك بالجدار المتهدم .. وحين رجع اليه جاسم في هذه المرة ، لم يمهله ، بل عاجله بلطمة قوية على خده ، وصرخ فيه :

ـ اهكذا تفعل بثيابك يا حيوان !. هل تظن ان احدا سوف يحسن اليك ثانية ويخلع عليك ثوبا نظيفا من ثياب اولاده ..

ثم امسك راسه بقبضته وجعل يجره الى دارهم ، وشوقي يملأالدرب بصراخه وعويله .. ثم دفع به الى امه وصرخ ثانية :

ـ انظري اي شيء فعل بثيابه ..

ولم ينتظر جوابا ، فخرج وصفق الباب ، وهو من النتك ، صفقه خلفه بقوة ، .. فظلت السلسلة المعلقة به ، وهي رتاجة ، تضربه ضربات سريعة ، وكأنها كانت هي ايضا تعلن عن احتجاجها وغضبها على جاسم الذي ابى الا ان يحرم اخاه هذه البهجة التي لا يمكن ان تعوض .

ولقد ظل شوقي يبكي ويعول ويمرغ جسده في الارض ، حتى كاد قلب امه ان يتفتت ، ولم تجد توسلاتها ووعودها له شيئا ، فاضطرت آخر الامر الى ان تفك عقدة فوطتها وتخرج منها الدرهم الوحيد الذي تملكه ، وتضعه في يده وهي ترجو في دخيلتها ان تسترده منه بالحيلة او بالتوسل اذا هدأ قليلا وتناسى بكاءه .. وما كاد شوقي يشعر بالدرهم يستقر في راحة يده حتى وجد ان عويله يجمد في حلقه ، وان عينيه تتفتحان بقوة وتنظران بشراهة الى الدرهم ، وسرعان ماجمع قبضته عليه ، ثم تطلع الى امه والدهشة تكاد تخرجه عن طوره ..

ـ درهم !!

وابتسم والدموع تتلألأ على خديه الذاويين ، ولم تشأ امه ان تقول شيئا ، ولم ينتظر هو منها جوابا ، بل راح يرقص في باحة الدار ويردد بنشوة عظيمة :

ـ درهم .. درهم .. درهم ..

وشعرت امه بقلبها يتفتح ويكبر ويمتلىء نشوة طاغية ، وتمنت صادقة لو انها استطاعت ان تستغني عنه فتمنحه اياه .. ودون ان يدري وجد نفسه يفتح الباب بسرعة عظيمة وبعنف، وينطلق يعدو كالسهم .. تاركا وراءه السلسلة تضرب الباب ضربات سريعة وكأنها كانت تشاركه غبطته ودهشته، وتحثه على الاسراع في العدو قبل أن تلحق به امه وتنتزع منه الدرهم ..

واسقط في يد الام ، وما كانت لتدري أي شيء تصنع ، فخرجت كالمجنونة دون ان ترتدي عباءتها تنادي شوقي ، ولكنها لم تجد أي أثر لشوقي .

انه يعرف المكان الذي يقام فيه مهرجان العيد ، حيث « المراجيح » و « دواليب الهواء » و « الباسكلات » و « العربات » التي تحشر الاطفال حشرا ، وتدور بهم الازقة والطرقات يدفعها صاحبها بيديه ، و « الحمير » التي تحملهم من « المقبرة » الى منتصف الطريق الذي يؤدي الى السوق باربعة فلوس ..

وفي أقل من دقائق خمس ، وجد نفسه في وسط الزحام .. فوقف قليلا يسترد انفاسه المتعبة ، وشعر بشيء غريب تطفح به نفسه ، شعر انه شيء كبير بالنسبة الى هذا الحشد الهائل ، فما كان يظن ان احدا منهم يملك عشرة فلوس ، اما هو ، فلديه درهم !!

أي شيء يصنع به !.. لقد شعر بحيرة كبرى ، لا يظن انه صادف مثلها من قبل ، كيف ينفق هذا الدرهم ..

ان الباعة من مختلف الاصناف يملأون الارض حتى لم يتركوا مكانا لقدم : أي شيء يشتري !..

ان الباعة يدللون على بضائعهم

بعبارات منمقة ومسجوعة ، وبالحان صاخبة لا تدع مجالا للنفس ان تدقق او تختار .. ولقد تملكته رغبة قوية في ان يشتري من كل شيء .. « دوندرمة بوز » صمون وعمبة ، حب لوز ، كركري ، بيض اللكلك ، علوجة ، سمسمية ، أبيض وبيض ، طرشي نبع ، شربت تمر هند ، بادم.. ولكن كيف !.. ان اكثر هؤلاء الباعة لصوص ، هكذا قال له اخوه جاسم مرة حين أعطاه جارهم « رضا » عشرة فلوس .

ـ تريد ان يسرقها الباعة ..

ثم انتزعها منه واستأثر بها لنفسه وظل يحمل هذه الفكرة عن الباعة ، الى ذلك الوقت ، فخشي ان هو اعطاه الى احد هؤلاء الباعة ان ينكره عليه ويسرقه منه .. وحينذاك أي شيء يستطيع ان يفعل !.. وهبه صرخ وبكى واحتج ، فمن هو الذي سيصدق انه يملك درهما .. ووجد نفسه تمتلىء حنقا على اخيه جاسم لو انه الان معه لما خشي احدا من هؤلاء الباعة ، واحس انه يتقزز منهم، هؤلاء الذين لا يتورعون عن سرقة واحد مثله .. ودون ان يشعر وجد ا. اصابعه تتقبض على الدرهم بقوة، كما لو ان احدا هم باغتصابه منه .. وبينا هو كذلك ضربه احدهم بكتفه وهو يعدو وخلفه صبية يحصبونه بالحمص وهم يتضاحكون ويصرخون، فشد من قبضته على الدرهم ووضعها على صدره ، ثم ابتعد قليلا .. فلقد ظن انهم احسوا بالدرهم فجاءوا يبتزونه منه بهذه الطريقة، بان ينحني أحدهم خلفه ويدفعه اخر الى الوراء، فيسقط ، ثم يتجمهرون عليه وينتزعون منه الدرهم .. وحين وجدهم يبتعدون عنه ويذهبون بعيدا شعر بشيء من الاطمئنان ، كما لو انه تخلص من خطر محقق.. ودون ان يدري كيف وجد انه يقف امام احد دواليب الهواء وهو يعلو ويهبط بالاولاد ، وهم في فرح عظيم لا يوصف ، فاحس بالغيرة ، وتمنى لو انه استطاع ان يتخلص من هذا الدرهم اللعين الذي يشل خطواته ويفسد عليه بهجة العيد ، وتمنى صادقا لو انه لا يملك اكثر من عشرة فلوس ، اذن لتقدم بخطوات ثابتة الى صاحب الدولاب واعطاه اياها وهو راض مطمئن ، وحينذاك يستطيع بكل حماس ان يشارك اترابه فرحهم وابتهاجهم بالعيد ، اما الان ، فهو لا يستطيع ان يفعل لئلا يسرق منه الدرهم ، واحس ثانية ان قلبه يمتلىء غيظا على اخيه جاسم .. ماذا كان يحدث لو انه بصحبته الان ؟. انه من دون شك كان يشعر بقوة تسنده ، ولما خشي احداً من هؤلاء الباعة او هؤلاء اصحاب الدواليب او العربات ، ولما فكر احد من هؤلاء ان يسرق الدرهم منه ، والا فان أخاه جاسما ، يستطيع ان يتعارك معهم ويبطش بهم .. وردد في نفسه : ـ سوف لا اعطيه الدرهم حتى ولو مزقني اربا .. وبينا هو في هواجسه وحيرته ، ضربه احدهم بحذائه على ظهره ، فالتفت مذعورا وقد تحفز للدفاع عن درهمه حتى النفس الاخير .. ولكنه وجد ثلاثة احمرة مكدسة بالصغار وهم يصفقون ويغنون بصخب « يا لسمرة روحي ، غيرج فلا حبيت » يقودها صاحبها ليشق لها طريقا وسط هذا الحشد الصاخب الذي جاء يحتفل بالعيد .. فظل يرقبها ونفسه تتحول الى حسرات يزفرها بحرقة وتوجع .. وراءه ان يدا تربت على كتفه وصوت يقول له :

ـ لماذا تقف هكذا جامدا ..

فالتفت ليرى صاحب الدولاب ينظر اليه نظرات خيل اليه انها غريبة متحفزة لسرقة الدرهم منه ..

وتابع صاحب الدولاب قوله :

ـ لماذا لا تركب في الدولاب .. الا تملك عشرة فلوس !..

لم يستطع شوقي ان ينبس ، فلقد تأكد لديه ان الدرهم سيسرق منه لا محالة لو انه اطاع هذا الرجل المحتال وركب في دولابه ..

ولقد هم ان يستغيث ويستنجد ، فوجد ان صوته يموت في فمه ، ولم يستطع ان يحرك شفتيه ، سوى انهما كانتا ترتجفان وقد علاهما اللعاب ..

فغلبت الرجل الشفقة عليه ، وقال بحزن واسف :

ـ اخرس .. هل انت اخرس !

وبجهد جهيد ، وكما لو ان احدا اراد ان يضربه بعصا ، صرخ شوقي بفزع ورعب :

ـ ع ... ع ... عمي ...

وانطلق هاربا ، وقبضته مشدودة بعنف على الدرهم ، ولقد كاد يسقط أكثر من مرة وهو يتعثر بعربات الباعة وبأوانيهم وباطباقهم ، ولكنه لم يلتفت ولم يسمع سباب وشتائم الباعة الذين كان يتعثر بهم ، فقد كان يخيل اليه انهم جميعا يطاردونه لينتزعوا منه الدرهم ... فضاعف من عدوه ولم يقف الا حين صفق خلفه باب دارهم بقوة ، والقى بظهره عليه وهو يلهث وينشج وينضح منه عرق غزير .. وكانت السلسلة تضرب الباب ضربات سريعة متقطعة وكانها كانت تشاركه خوفه وفزعه : وما كادت امه تراه على هذا النحو ، حتى هبت كالمجنونة لترى اي شيء حدث لولدها ، فصرخت فيه بفزع :

ـ ماذا بك ..

ودون ان ينبس بحرف مد قبضته اليها وقد كانت يده ترتجف ، وجسمه كله يضطرب ، وبجهد قال :

ـ خذيه .. لا اريده ..

ـ اي شيء :.

ـ الدرهم .. ا... هم .. ارادوا ان يسرقوه ..

وحين فتح قبضته لم يكن الدرهم موجودا فيه ... لقد ضاع منه في الزحام دون ان يشعر .

بغداد — عبدالله نيازي

التمثال

٥

لا .. لم تكوني فاكهة حلوة المذاق
ولكن الحلاوة في لساني تلقتك
فأحالتك رضابا شهيا عذب النشوة

*

لا.. لم يكن مرآك بهجة العيون
ولكن عيني الوامقة خلعت عليك
الجمال الموهوم
وألبستك من التهاويل الموشاة
ما لم يتح لفينوس من سحر وبهاء

*

لا.. لم تكن بك الشفافية الملساء
الآسرة
لكن نعومة أناملي طامنت من أسنة
أشواكك
فبدت فيها نضرة الورود اليانعة
تحتسي من ضياء يرتعش تحت
رفيف أجنحة الملائكة

*

بأناملي صنعت تمثالي ..
وبهامتي سجدت على أقدامه أمجده
حتى اذا طالت بي ضراعة السجود
ولم تتجاوب صلادة الحجر مع
رعشات قلبي
وشهقات دمعي الطهور
وترانيم صلواتي البكر
ضننت بصنيعي ان يناله الفناء
فنصبته معلما للذكرى
ووهبته رمزا للوفاء ، يغفر ويتسامى
ونصبا للعقوق يجحد ويستعلن

*

حتى اذا مر الناس من هنا
وتراءت لهم جنة مصوحة الازاهير
حزينة الظلال مطرقة الغصون
خرساء البلابل
ناضبة الغدران
قد انكب في فنائها شبح للطفل
المجنح المسدد السهم ، معفر الجبين،
شاحب الوجنتين ، مشعث النضارة.
ماتت على شفتيه اغنيات الحب
وجف في حلقه رضاب النشوة
.. مصوا شفاههم حسرات
ورنقت في أرواحهم غمغمات حزينة
وترقرقت في عيونهم دمعات يائسة
وهتفوا هتافا خافتا كجناز الغروب :
هنا كان عرس للجمال صنعه الحب
وهنا .. كانت جنة للوفاء
صوحها الغدر !!

القاهرة **رضوان ابراهيم**

للفيلسوف الانجليزي
برتراند راسل

الطريق الى السعادة

ترجمة : عادل سلامة

ليسانس امتياز في الادب الانجليزي
دبلوم في التربية وعلم النفس

٥

السأم والنشوة

لم ينل السأم – كدافع من دوافع السلوك الانساني – العناية التي يستحقها في رأيي . واني اعتقد ان هذا الدافع كان احدى القوى المحركة خلال التاريخ المعروف ، وان تأثير هذه القوة اصبح اقوى واشد في الوقت الحاضر . ويبدو ان شعور السأم امر يتميز به الانسان فقط ، وان كان من الصحيح ان الحيوان اذا كبتت حريته يشعر بالقلق والاضطراب والملل ، اما في حالته الطبيعية فاني اعتقد ان شعور الملل يعد شيئا غريبا عنه . فالحيوان يمضي وقته في البحث عن الاعداء او الطعام او عن الاثنين معا . واحيانا يمضي الوقت في التزاوج او الاستدفاء . وفي اعتقادي انه حتى في الاوقات التي لا يشعر فيها الانسان بالسعادة فان شعور الملل لا يساوره ، ومن الجائز ان الانواع السامية من القردة تشترك مع الانسان في هذه الناحية ، كما تشترك معه في بعض الخواص الاخرى ، ولما كنت لم اعش مع هذه الانواع من القردة ، فانه لم تتح لي الفرصة لاجزم بذلك .

ومن عوامل السأم ان يقارن الانسان بين ظروفه الحاضرة ، وبين ظروف اخرى يعتبرها اكثر ملاءمة له تفرض نفسها على مخيلته . ومن هذه العوامل ايضا الا تشغل طاقات الانسان بأكملها . فالفرار من وجه العدو الذي يود استئصال حياتك امر مفزع حقا ، ولكنه امر لا يدعو الى السأم . ولا يشعر المرء بالملل في الوقت الذي يلف فيه حبل المشنقة حول رقبته ، اللهم الا اذا كان لديه من الشجاعة ما يفوق طاقة البشر ، ومن امثلة ذلك انه لم يحدث قط ان تثاءب احد اعضاء مجلس اللوردات البريطاني وهو يلقي خطابه في المجلس الا مرة واحدة ، وذلك حين القى دوق ديفونشير Devonshire السابق خطابه . وقد اكبره جميع اللوردات لهذا السبب . وما الشعور بالسأم الا رغبة مكبوتة لدى الفرد في ان تتقلب الحوادث ، سواء كانت شيقة او لم تكن كذلك ، حتى يستطيع المرء ان يتبين يومه من غده . وعكس معنى السأم ليس السرور ، بل النشوة .

والاحساس بالنشوة رغبة اصيلة في بني البشر ، وخاصة في الذكور منهم . وربما عاد ذلك الى السهولة التي يمكن بها ارضاء هذه الرغبة في عصور الانسان الاولى حين كان يعتمد على القنص . فقد كان الصيد شيئا مثيرا ، وكذلك كانت الحرب ، كما كانت ايضا العلاقة بين الرجل والمرأة ، كان الانسان البدائي يحاول القيام بالعملية الجنسية مع امرأة ينام رجلها بجانبها ، وهو يعلم ان الموت محقق له اذا استيقظ الزوج . هذا الموقف ليس فيه ما يدعو الى الملل . ولما بدأت المرحلة الزراعية تبسط بساطها في حياة الانسان ، فقدت الحياة شيئا من جدتها بالنسبة للارستقراط الذين ما زالوا يعيشون في مرحلة القنص . ونحن نسمع الكثير عن الملل هذا ينتج من انتشار الآلة ، ومع ذلك فاني اعتقد ان هذا الشعور لا يقل في البيئة الزراعية التي تقوم على الوسائل العتيقة عنه في البيئة الصناعية . بل اني اقول بعكس ما يتشدق به عدد كبير من المصلحين ، ان العصر الآلي ساهم الى حد كبير في ابعاد روح السأم عن العالم . فساعات العمل بالنسبة للعمال المأجورين لا يسودها الوحدة او الانفراد ، كما ان لدى هؤلاء العمال من انواع التسلية ما يستطيعون به ان يقضوا امسياتهم . ولندخل في اعتبارنا ايضا التغير الذي طرأ على حياة الطبقة المتوسطة السفلى . ففي الايام الماضية كانت الزوجة تجلس بعد العشاء ومن حولها بناتها بعد ان يزلن الاطباق ، ليستمتعن بما يسمى «اجتماع عائلي سعيد» . ومعنى ذلك انه رب العائلة قد ذهب لينام ، بينما تخيط الزوجة الملابس ، ويتمنى الفتيات فيما بينهن وبين انفسهن لو ان الموت لحق بهن . فليس سمو حالهن بالقراءة ، ولا بالخروج من الغرفة . واذا كان حظهن سعيدا فانهن يتزوجن ، وينجبن اطفالا يفرضن عليهم شبابا اكثر تعاسة من الشباب الذي عشنه انفسهن . وان لم يكن لهن هذا الحظ صرن عوانس ، وذلك من غير شك مصير مظلم شبيه بالمصير المظلم الذي يفرضه الوحش على فريسته .

يجب اذن ان ندخل في حسابنا كل هذه العوامل التي تدعو الى السأم حين نقدر العالم كما كان قبل مائة عام . وكلما ازددنا امعانا في الماضي ، كلما تجمعت لدينا العوامل المتعددة التي تدعو الى هذا الشعور .

ولنتصور مثلا شتاء كئيبا في احدى قرى العصور الوسطى . الناس هنا لا يستطيعون القراءة او الكتابة ، وانما لديهم الشموع التي يضيئونها حين يقبل الظلام ، والدخان الذي يخرج من الشمعة يملأ عليهم جو الغرفة الباردة . وفي الخارج كانت الطرق مقفرة ، وكان من النادر ان تلتقي بشخصية من القرية المجاورة . انه الشعور بالسأم الذي دعاهم الى ابتكار لعبة العفاريت كوسيلة من

* كتاب تحت الطبع باللغة العربية
The Conquest of Hoppiness

وسائل التسلية في امسيات الشتاء.

ونحن الان نعاني السأم بصورة أقل من اسلافنا، وان كان خوفنا من هذا الاحساس اشد منهم واعمق. فنحن نعلم، بل نعتقد ان السأم ليس امرا طبيعيا في حياة الانسان، وانما يمكن القضاء عليه بمتابعة الاشياء المثيرة. لذلك نرى فتيات اليوم يكسبن عيشهن بانفسهن، حتى ييسرن لانفسهن قضاء الامسيات المرحة، والفرار من ذلك الاجتماع العائلي السعيد الذي استمتعت به جداتهن. وكل انسان يحاول اليوم ان يعيش في المدينة، واولئك الذين يعيشون بعيدا عنها يمتلكون سيارة او عجلة بخارية يستطيعون بهما الذهاب الى السينما. ومن الطبيعي انهم يملكون أجهزة الراديو في مساكنهم كذلك يستطيع الشبان والفتيات اليوم ان يلتقوا دون ما مشقة، كما تستمتع فتاة اليوم بانواع من اللذة في خلال اسبوع لا تستطيع ان تحققها بطلة من بطلات جين اوستن Jane Austen خلال فترة طويلة. وكلما ارتفعنا في الميزان الاجتماعي، كلما اصبحت متابعة الاشياء المثيرة اكثر عنفا. فانت ترى ذوي المقدرة ينتقلون من مكان الى مكان، يحملون معهم انواع المرح، وفنون الرقص والنشوة، وهم يستمتعون بهذا كله كلما انتقلوا الى مكان جديد. اما اولئك الذين يعملون لكسب عيشهم فانهم مضطرون الى الاحساس بالملل كما يحسون بالحاجة، بينما يضع اولئك الذين يمتلكون المال ما يستطيعون به التحرر من قسوة العمل نصب اعينهم حياة لا يشوبها الملل.

وهذا من غير شك مقصد نبيل، ولا استطيع ان اوجه اليه اي نوع من النقد، وان كنت أعتقد ان تحقيقه اشد عسرا مما يتصور اصحاب المثل العليا. ففي الصباح سيعاني المرء من الملل بقدرما شعر بالنشوة والسرور في المساء السابق. ومن المحقق ان كل فرد سيمر بالشيخوخة والكهولة. وفي العشرين يحس هؤلاء الرجال ان نهاية حياتهم ستجيء في الثلاثين اما انا — في الثانية والخمسين من عمري — فلا أميل الى هذا الاعتقاد. فليس من الحكمة في شيء ان يتصرف المرء في مقدرته الحيوية كما يتصرف في رأس المال المادي. وربما كان الشعور بالسأم عنصرا ضروريا من عناصر الحياة. كما ان الهروب من هذا الشعور امر طبيعي. ومن الحقائق المقررة ان الانسان على اختلاف اجناسه يحاول ذلك دائما كلما سنحت الفرصة. فقد انتهى المتوحشون حين علمهم الرجل الابيض احتساء الخمر الى وسيلة يستطيعون بها ان يتخلصوا من هذا الشعور الدائم بالملل. وهو لا تدخل النظم والقوانين لشمل هؤلاء الرجال حتى الموت. وما الحروب والمناوشات، وانواع الاضطهاد الا بعض مظاهر الهروب من السأم. حتى المنازعات مع الجيران خير من لا شيء. ولذلك فان الشعور بالسأم يعد مشكلة هامة من المشاكل التي يواجهها رجل الاخلاق، لان هذا الشعور يعد اصلا لنصف خطايا الانسان.

ومهما يكن من شيء فان السأم ليس كله شرا، لان هناك نوعين من هذا الشعور، اولهما مثمر، والثاني ليس كذلك. ويرجع الاول الى مقاطعة المخدرات، وسبب الثاني هو افتقاد القدرة على ممارسة اي نشاط حيوي.

ولست أود ان اقول ان المخدرات ليس لها فائدة ما في الحياة. ففي بعض الاحيان ينصح الاطباء بتناول أنواع من المخدر، وتتعدد هذه الاحيان لدرجة لا يتصورها انصار منع المسكرات. غير انه من المؤكد ان الرغبة في الشراب شيء لا يمكن تركه على طبيعته. ولست أقترح علاجا لذلك الشعور بالملل الذي يحسه السكير اذا منع من الشراب اللهم الا ان يترك ذلك للزمن. وما ينطبق على شرب الخمر، ينطبق أيضا — الى حد ما — على كل انواع الاستثارة الاخرى. فالحياة الصاخبة تستنفد الانسان، لانها في حاجة دائمة الى دوافع أشد وأقوى تثير في الانسان تلك النشوة التي يعتقد انها جزء لا يتجزأ من اللذة. والعربيد

مجموعة اولادنا

خير ما يستهوي ألباب الناشئة من قصص البطولة والفروسية والمغامرات العجيبة.

١ — عمرون شاه
٢ — مملكة السحر
٣ — كريم الدين البغدادي
٤ — آلة الزمان
٥ — الامير والفقير
٦ — كتاب الادغال
٧ — بينوكيو
٨ — نبوءة المنجم
٩ — روبن هود
١٠ — دون كيشوت
١١ — ايفنهو
١٢ — جزيرة الكنز
١٣ — كنوز الملك سليمان
١٤ — سجين زندا
١٥ — الزنبقة السوداء

ثمن الكتاب ١٢٠ غ.ل. او ما يعادلها
ثمن الجزء السابع ١٥٠ غ.ل.

تحت الطبع

الربان بلود
مون فليت
مقبرة الافيال

تطلب من متعهد التوزيع العام
دار المعارف بيروت
لصاحبها ا. بدران
بناية العسيلي — السور ص.ب ٢٦٧٦

يشبه الى حد كبير شخصا نمس في نفسه ميلا شديدا الى تذوق الفلفل والاستمتاع به ، فانتهى به الامر اخيرا الى ان اصبح عديم التأثر بأي قدر منه كفيل بان يؤذي الانسان العادي . ومما لا شك فيه أن هناك عنصرا من عناصر الملل يرتبط بالتوقف عن مزاولة اللذة العارمة . وهذه اللذة لا تحطم الصحة فحسب ، بل انها تفقد الانسان القدرة على تذوق اي نوع من انواع السرور ، فهو يكتفي بالاحساس العابر بالمتعة ، بدلا من ان يحس بالارتياح النفسي العميق ، كما انه يستبدل بالحكمة المهارة السطحية ولا يستطيع تقدير الجمال ، وان كان يتأثر للحركات المصطنعة . ولا اريد هنا ان يكون اعتراضي على النشوة اعتراضا كليا . اذ ان القدر المناسب منها شيء لا بأس به ، فالمسألة هنا ، كما هي في كل الاحوال مسألة نسبية. فالقدر الضئيل منها قد ينتج عنه انحراف في الرغبات ، كما ان الامعان فيها قد يؤدي الى الاستهلاك الكلي للانسان . وعلى هذا فان القدرة على تحمل السأم امر ضروري في الحياة ، وهو شيء يجب ان يتعلمه المرء منذ الصغر .

وتتضمن امهات الكتب فصولا تدعو قراءتها الى السأم ، كما تخللت سير العظماء فترات مملة . ولنتصور مثلا ناشرا حديثا ، وامامه نسخة من العهد القديم طلب اليه نشرها لاول مرة . الواقع انه ليس من الصعوبة ان نتكهن بتعليقه على ما جاء في «العهد القديم » من انساب : ــ سيقول (اوه يا سيدي العزيز ! ليس في هذا الفصل حياة ، فانه لا يمكنك ان تتوقع من القارىء ارتياحا عندما يقرأ صفحات طويلة تضم اسماء اشخاص لم تذكر عنهم الا القليل صحيح انك بدأت قصتك باسلوب طريف. وكنت اتوقع ان تمضي على هذا السنن ، ولكنك خضت في تفاصيل لا داعي لها . عليك الان أن تلتمس الخطوط الرئيسية ، وتخلصها من الشوائب ، وتأتيني بها بعد ان تنزل بالقصة الى حد معقول .) وتعليق الناشر الحديث هذا ، يرجع الى ما يلمسه هذا الناشر من خوف القارىء من الشعور بالسأم ، وسيعلق الناشر بنفس هذا الكلام اذا طلبت اليه نفس الشيء بالنسبة للقرآن ، او نصائح كنفوشيوس ، واو كتاب كارل ماركس عن رأس المال ، او اي كتاب مقدس اخر تباع منه الان كميات هائلة . وليس هذا الامر صحيحا بالنسبة للكتب المقدسة فحسب ، فان معظم القصص الطويلة الرائعة تتضمن فصولا مملة ، لانه ما من شك في ان الرواية الطويلة التي تمتلىء بالحوادث المنفعلة منذ الصحيفة الاولى الى النهاية لا تعد كتابا قيما . كذلك لم تكن حيوات عظماء الرجال مثيرة الا في قليل من اللحظات الكبيرة الرائعة . فلا بد ان سقراط كان يستمتع من حين لاخر بحضور حفل من حفلات العشاء ، وانه كان يرتاح للاحاديث التي يتجاذبها اثناء احتسائه الخمر ، كما انه عاش معظم حياته في صحبة زوجه اكسانتيب Exanthippe وكان يتريض على اقدامه في العصارى ، كما كان يلتقي احيانا مع اصدقائه يتجاذبون اطراف الحديث. ومما يقال عن كانت Kant انه لم يبتعد قط عن مدينة كونجسبرج Kongsberg التي عاش فيها باكثر من عشرة اميال ، طيلة حياته . اما داروين فانه قبع في عقر بيته ، وذلك بعد ان قام برحلة طاف خلالها حول العالم . اما ماركس ، فانه بعد ان حرك ثوراته ، رضي لنفسه ان يمضي البقية الباقية من حياته في ركن من اركان المتحف البريطاني British Museum ويمكن ان نقول بوجه عام ان الهدوء كان صفة تتميز بها حياة عظماء الرجال ، وان مسراتهم لم تكن من النوع الذي يعد مثيرا . ولا يستطيع المرء ان يحقق اية غاية عظيمة اذا لم يكرس نفسه للعمل الدائب الصعب الذي يستغرق عليه نفسه ، والذي لا يترك له من الطاقة الا النزر اليسير ، فلا يستطيع بعد ذلك ان يجهد نفسه في مزاولة اللذات العنيفة ، وانما يقتصر الامر على تجديد طاقته الجسمية خلال ايام العطلة . ولعل أروع مثل لهذه اللذة هو تسلق الجبال . والقدرة على تحمل الحياة الرتيبة أمر يجب أن يتمرس به الاطفال في سني حياتهم الاولى ، غير ان الاباء في العصر الحديث لا يعنون بهذه الناحية ، وهم يلامون على ذلك ، فانهم يزودون اطفالهم بمختلف انواع التسلية السلبية ، كالافلام السينمائية ، والطعام اللذيذ ، ولا يدركون اهمية الفائدة التي يجنيها الطفل عندما يمر به يوم يتلوه آخر شبيه به ، اذ ان الواقع ان الطفل ذاته عليه ان يستمد مسرات طفولته من البيئة المحيطة به اولا وقبل كل شيء ، وان يبذل في سبيل ذلك بعض الجهد والتفكير الخلاق لذلك يجب الا يستمتع الا نادرا بذلك النوع من اللذة المثيرة والتي لا تتطلب في نفس الوقت أي مجهود جسمي كمشاهدة المسرح مثلا . فطبيعة الاستثارة هنا ستكون من طبيعة المخدر ، تزداد الرغبة فيه كلما افرط الانسان في تناوله . كما ان انعدام النشاط الجسمي هنا يتعارض مع الغريزة . والطفل في نموه كالنبات يثمر احسن الثمر اذا لم ينقل من تربته . فكثرة الاسفار ، وتعدد الاحساسات ليست مما يستحسن بالنسبة لتربية الاطفال لانها تفقدهم القدرة على تحمل الحياة الرتيبة. ولا اقصد ان لهذه الحياة ميزاتها الخاصة ، وانما اقصد انها تؤدي الى حد ما الى تحقيق بعض المزايا الحسنة خذ مثلا قصيدة الشاعر وردزورث Wardsworth المقدمة Prelude فان كل قارىء سيدرك تماما انه ليس من الميسور على اي شاب حضيري معقد ان يدرك المعاني ذات القيمة في افكار وردزورث واحساساته . وليس من شك في ان الشاب الذي يهدف الى البناء سيتحمل طوع ارادته أي احساس بالملل ، مهما بلغ هذا الاحساس من الضخامة ، اذا كان ضروريا لتحقيق اغراضه . وهذه الاغراض البنائية لا يمكن ان تجد منفذا لها في عقل الشاب الذي يحيا حياة من الترف ، واللذة العارمة. فان تفكيره في هذه الحالة سيكون منصبا على اختيار انواع السرور التي سيمارسها في المرة المقبلة ، بدلا من ان يكون منصبا على الغرض البعيد الذي يشغل الشاب الجاد بتحقيقه .

ويعتبر الجيل الذي لا يتحمل ابناؤه الشعور بالسأم جيلا من صفار الرجال ، الذين لم يتمرسوا بعد بتجارب الطبيعة الطويلة المدى. اولئك الرجال الذين ماتت فيهم اي رغبة حيوية ، كأنهم زهرات مقطوفة صفت في زجاجة .

وانا لا احب لغة المتصوفة ، ولكني لا ارى وسيلة اتجنب بها استخدام بعض العبارات الشعرية ، ذلك انه رغم كل ما نظنه في انفسنا فاننا مخلوقات ارضية ، وحياتنا جزء من حياة الارض ، فنحن نستمد منها غذاءنا كما يستمده النبات والحيوان. والوتيرة التي تسير عليها حياة الارض وتيرة بطيئة ، فالخريف والشتاء ضروريان لها ، وكذلك كان الربيع والصيف ، والثبات ضروري كما ان الحركة ضرورية ، ومن واجب الطفل قبل ان يكون من واجب الرجل ان يظل وثيق الصلة بعوامل المد والجزر في الحياة الارضية . فقد خلق جسم الانسان وهو يتلاءم مع هذه الوتيرة منذ الازل ، وتمثل الدين هذا المبدا حين نص على عيد الفصح . واذكر اني رايت طفلا بلغ من العمر عامين قضاهما في مدينة لندن ، رايته وهو في اول رحلة له في الريف الاخضر . كان الوقت شتاء وكان كل شيء مبللا او مغطى بالوحل. ولم يكن ثمة ما يثير في النفس اي شعور بالمرح ، ومع ذلك فقد انبعثت في نفس الطفل نشوة غريبة ، فركع على الارض المبتلة ، والصق وجهه بالحشائش ، وندت عنه صيحة مكتومة تنم عن الفرح . وليس من شك في ان هذا الفرح كان شعورا بدائيا بسيطا ولكنه كان في نفس الوقت شعورا دفاقا . والحاجة الحيوية التي اشبعت هنا كانت عميقة الجذور ، ويندر ان يكون اولئك الذين لا يشبعونها في شيء من صحة العقل . وهناك انواع عديدة من اللذة لا تنطوي على عنصر الارتباط بالارض . ومثل منها لعب الميسر ، فهذه اللذة حين يتوقف الشعور بها تخلف وراءها احساسا غامضا بعدم الرضا . ولا يمكن ان نسمي انواع اللذة هذه مرحا . اما تلك التي ترتبط بحياة الارض فهي على العكس من ذلك تؤدي الى شعور عميق بالارتياح. واذا توقف الاحساس بها ، فان المرء يظل يشعر بالسعادة التي نتجت عنها ، ويمشي هذا التمييز بين نوعي اللذة على اختلاف درجات الحضارة . فالطفل الصغير الذي تحدثت عنه منذ لحظة كان يمثل مظهرا بدائيا من مظاهر التمثل لحياة الارض . ويمكن ان نرى في الشعر مظهرا ارفع من مظاهر هذا التمثل ، وتستمد مقطوعات شكسبير الغنائية روعتها من ترديدها لهذا الشعور بالرضا الذي احس به الطفل حين اعتنق الحشائش . لنقرا مثلا قصيدة شكسبير التي تبدا هكذا : « انصت ! انصت ! هذا هو الهزار » او تلك التي تبدا بهذا المطلع « تعالي الى هذه الرمال المصفرة » . هنا ستجد تعبيرا وتبعا في الشعر عن ذلك الاحساس الذي عبر عنه الصبي الصغير بالصيحات المكتومة . او لتحاول ان تجد الفارق بين الحب وبين الجاذبية الجنسية . فالحب تجربة يتجدد بها وجودنا وينتعش ، كما يروي المطر النبات بعد الجفاف . ولا يحدث شيء من هذا اذا جاء الاتصال الجنسي دون الحب وحين تنتهي اللذة العابرة يجيء التعب والاشمئزاز والشعور بتفاهة الحياة. فالحب جزء من حياة الارض ، وليس الجنس المجرد من الحب كذلك .

وهذا النوع من الملل الذي يعانيه الناس في المجتمعات الحديثة ترجع اصوله الى انفصالهم عن حياة الارض. فان هذا الانفصال يجعل من الحياة شيئا حارا متربا ظامئا كرحلة الحجاج في الصحراء . والشعور الدائم بالملل الذي يسيطر على الاغنياء ممن يملكون من الثروة ما يمكنهم من شق طريقهم في الحياة ، هذا الشعور يرجع الى خوفهم من الملل ذاته. وهم حين يهربون من السأم الذي له قيمة مثمرة ، يقعون في النوع الاخر الهدام.

والحياة السعيدة يجب ان تكون الى حد كبير حياة هادئة ، لان المرح لا يمكن ان يستمر الا في جو من الهدوء .

القاهرة — عادل سلامة



وحقك

أحبك يا « زهرتي » كالأمل
وحبي كاليأس مرٌ عميق
كبحر الازل
وكالموت حبي عجيب
كصمت الغروب
كمثل الشروق
وهمس الغزل
ومثل الخجل
وحبي أسود ، حبي خَطِر
كوسم القدر
كبحر تمزقه عاصفه
وتلهب أمواجه الخائفه
سياط البروق
وحبي كحلم الغريق
قبيل النهاية
تلمح طيف البداية
ولكن حبي عميق
وحقك .. حبي عميق

دمشق — علي الجندي

الطفولة البريئة

بنيتي يا بسمة الفجر — يا حلم الايام والعمر
يا من لها في النفس انشودة — حافلة أسمى من الشعر
يا من لها روحي ، باعماقها — ساكنةً ، تطفح في بشر
ويا شذى يعبق ملء الفضا — يعطر البيت من النشر
كم مرة ناديتها باسمها — فتستوي باسمة الثغر
وترفع الطرف باشراقة — ضاحكة في روعة السحر
بابا .. وتنسل الى موضعي — عاثرة الاقدام اذ تجري
فترتمي كالطير هفهافة — في عشها الدافي الى صدري
طوقتها والحب في ناظري — وصفحة الاجيال في فكري
فأرخت الاطراف نشوانة — وذابت الانفاس في عطر
أغفت مع الزهر باندائه — مثقلة الاجفان لا تدري
في نفسها الاسرار مجموعة — لا تلتقي الا مع الطهر !

العراق — الحي — كاظم محمد حسين

قصة سورية

الصغار في السوق

بقلم جان الكسان

✳

اخوه وهو ، وكثيرون غيرهما من ابناء حي باب السلام ، الذين تقذفهم الطبيعة الى الحياة في بيوت حقيرة شبه مظلمة تتزاحم على شفا النهر الصغير الضحل المياه ، والمنساب باعياء في طرف البلدة الشرقي ، فلا تستقبلهم الا داية الحي الدردبيس ، وجارة تدفعها بقية من انسانية لتساعد الداية في مهمتها ، وتطلق زغرودة ضعيفة سرعان ما تختلج وتتلاشى في رقبتها الرفيعة المعروقة ..

أخوه ، وهو ، والاخرون، يسمونهم ابناء الحفر او ابناء الدراويش، وكأنهم من غير طينة الذين يولدون وفي افواههم ملاعق الذهب ، والصحف تحمل الى الناس نبأ ميلادهم السعيد، ثم تعقب عليه فتطلب لهم العمر الطويل ولهذا ، عرف هو ، وعرف اخوه ، وعرف الاخرون ، ان عليهم الا يحاول أحدهم التطاول الى اكثر من الاشياء البسيطة المتعارف عليها في حياتهم التي تسير بروتين واحد ، فيه رتابة، وفيه مشاكل ، وفيه مضاعفات اخرى كثيرة ..

وكان هو ، فتحي ، يشعر بهذا منذ وعت طفولته الاشياء ، وفرقت بين الالوان ، وكان يتألم لذلك فيصدف عن اللعب مع الاولاد في الحارة لينزوي ويفكر .. ولم يكن تفكيره بالطبع يتعدى الحدود الساذجة كثيرا ، اذ أن نظرته الطفلة الى هذه الظاهرة ، ظاهرة العوز التي تعانيه اسرته، كانت تنحصر فقط في ان الحظ لا يحالف والده ، كما يقولون له ، بالرغم من الكفاح الظالم العنيد الذي يخوضه في معركة العيش .. اما أمه فهو يسمع منها دائما جملة (الحمد لله على كل حال .. كل شيء قسمة ونصيب) فاذا سألها عن سبب وجود زميله (سعيد) في أحسن عيشة ، يأكل أطيب الطعام ، ويلبس احسن الثياب مع انه ـ سعيد ـ بربع درجة شطارته وهما في صف واحد ، كانت تقول له : « يجب علينا نحن الفقراء الا ننظر الى من هم أعلى منا ، بل الى الذين هم أفقر » . ويبحث هو عن هؤلاء الذين هم (أفقر) ، فلا يجد سوى هؤلاء المحرومين من كل شيء ، المشردين في مدرسة الازقة المظلمة الباردة ، مدرسة الجوع الكافر العنيد المكب على صناديق المزابل والقمامات .

* * *

نجح الى الصف الخامس ، ونجح اخوه الذي يصغره بسنة واحدة الى الصف الرابع ، اما زميله سعيد فلم ينجح !.. واغلقت المدرسة ابوابها ، فاذا بسعيد الذي لم ينجح يغادر البلدة مع اهله الى المصيف الجميل ، اما هم ، هو ، واخوه ، والاخرون ، فقد ظلوا في البلدة لسبب بسيط وهو ان اهلهم لا يذهبون الى المصيف .

ذهب سعيد ، واجتمع صبية حي باب السلام ، واعدوا منهاج العطلة الصيفية فعددوا فيه اشياء كثيرة من ذهاب للسباحة في النهر ، وصيد العصافير بالنقيفات، واللعب بالكرات الزجاجية الملونة ، ولم ينسوا ان يتفقوا على ان يدفع كل منهم نصف ليرة سورية لشراء كرة قدم يلعبون بها في الساحة القريبة من الثكنة العسكرية .

انتهى الصبية سريعا من وضع البرنامج ، ولم يبق الا التنفيذ ، ولكن احلام فتحي واخيه سرعان ما تهدمت من اساسها عندما قالت لهما والدتهما: ان والدكما يتعب كثيرا ليكسب لنا معيشتنا ، لذلك عليكما ان تشتغلا لتساعداه .

كانت مفاجأة غير متوقعة احتج عليها اخوه بنظرة استنكارية ، اما هو فاراد ان يناقش والدته فقال لها : نحن صغار ولا نستطيع ان نشتغل .

وكأنها كانت متأهبة للجواب فردت فورا : ان شغلكما سيكون بسيطا جدا اذا تعاونتما عليه : عليكما اولا ان تنهضا من النوم مبكرين ، وتذهبا الى سوق الخضرة ، وهناك سيشتري لكما جارنا فرج ـ وهو دلال في سوق الخضرة ـ كيسا من الخيار ويسجل ثمنه عليكما رخيصا ، وفي مكان متوسط من السوق افرشا كيسين فارغين تأخذانهما من البيت ، ثم افرغا كيس الخيار فوقهما ، ونادياً عليه ، وسيشتري منكما الناس ،حتى اذا بعتما الكيس ، تدفع لجارنا ما له، ويبقى الباقي ربحا حلالا ..

ـ والميزان ؟

ـ استأجرا واحدا من احد الدكاكين .

ـ وضريبة الارضية

ـ خالك ابراهيم هو الجابي، وقد قال انه لن يأخذ منكما الارضية .

اراد اخوه أن يعترض ، ولكن دخول والده في تلك اللحظة جعله يبتلع اعتراضه على مضض ، وفي ساعة مبكرة من صباح اليوم التالي ايقظتهما والدتهما والبستهما ثيابا عتيقة ، ثم حملتهما كيسين فارغين ورغيفا من الخبز ، وودعتهما حتى الباب بعد ان اوصتهما بالذهاب اولا الى جارهم فرج واخطاره بوجودهما .

* * *

كانت سوق الخضرة تعج وتمور بالناس والدواب والاحمال : هنا

وعلى مقربة منه وقف بعض الرجال حول ثلاثة احمال من الكوسا توسطها دلال ديري الاصل اسمه حمود وهو يصيح : ٢٥ .. ٢٦ .. على اونة .. قروي ينزل حمله بمعاونة زميل له ، راح نبيع .. يا الله ..

ويرتفع صوت خشن لمسروب وهو خضرجي ارمني ، قصير القامة ، بدين احمر الوجه : ٢٧ ويصيح الدلال : على تري ..

ويفتح باب دكان في الجهة اليسرى ويقع صندوق بندورة على الارض ، ويتشاءم اثنان من الحاضرين ، ويسير الصغيران الى الجهة الشمالية والاصوات الكثيرة تدق في راسيهما بتلاعب مزعج ...

كان فرج واقفا بدوره بين الاحمال بقامته الطويلة الضخمة ، يصيح والزبد يتطاير من فمه : يا الله يا شباب .. خيار قلموني .. افتحي المزاد ..

ـ احد الموجودين : ١٤

ويقول فرج الدلال : ١٤ .. ١٤ يا الله .. ١٤ !

ويصيح احد الرجال : ١٥

ويصيح الدلال بدوره : ١٥ .. مين قال اكثر ؟.. ١٥ .. ١٥ ..

ويقول رجل نحيل ، اصفر الوجه ، عيناه رطبتان بلون الوحل : ١٦ ..

فيصيح الدلال : ١٦ .. على اونة .. يا الله ، ١٦ .. على اونة .. على دوي .. على تري !

ولكز فتحي اخاه كانه يذكره بانهما لم يأتيا للتفرج بل للشراء والبيع ، فدارا في المكان ، وتسللا بين الواقفين حتى حاذيا الدلال : فقال له فتحي : حارنا !..

فنظر اليهما الرجل العملاق وقال : طيب .. استنى شوي ..

وقف فتحي مكانه ينتظر ، والى جانبه وقف اخوه وبيده الكيسان الفارغان ، وباع الدلال صندوقين من البندورة وكيسا من الفليفلة ، وكيسا من الخيار ، وبقي كيس واحد افتتح مزاده باربعة عشر قرشا للكيلو الواحد وطلب من فتحي ان يقول ١٩ دفعة واحدة ، وما ان فعل فتحي ذلك حتى صاح الدلال « على تري !.. » وسجل الكيس باسم الصغيرين .

وكانت هذه المناورة المكشوفة كافية لتجعل انظار الموجودين تتحول الى القزمين الصغيرين اللذين تخطيا مملكة العمالقة ، وقد راى فتحي في نظراتهم بعض الاعجاب ، ولكنه راى فيها ايضا كثيرا من الرثاء ..

وكما علمتهما والدتهما ، اختارا فسحة قريبة من احدى البسطات ، فرشا فيها الكيسين الفارغين ، وسحبا الكيس المملوء بمعاونة الدلال فأفرغاه فوقهما ، ثم راح فتحي يبحث عن ميزان حتى اهتدى الى واحد ، بنصف عمر ، عند صديق لوالده ، فاستأجره منه بنصف ليرة سورية وعد بدفعها عندما ينتهي من بيع الكيس ويرجع الميزان وحمل الميزان والوزنات على دفعتين بجهد كبير ،



ووقف الى جانب اخيه يستنجد به للبدء بالمناداة .

كان فتحي يخجل أن تظهر عليه سمات الفقر والخنوع التي تذل صاحبها ، ولهذا كان لا يريد ان يصيح في وسط سوق كبيرة كسوق الخضرة ويدعو الناس ليشتروا منه الخيار .. اما اخوه ، فكان على عكسه تماما ، لذلك اندفع يصيح بصوته الصغير المستطيل ، وكان صوته في بادىء الامر راجفا مخنوقا ، ثم ما لبث ان ارتفع قويا عندما ارتفعت من حولهما اصوات زملائه البائعين : يا الله يا خيار .. قلموني يا خيار !.. واذا بأخي فتحي يصيح : « قلموني يا خيار .. قلموني يا خيار » !. وكان ينظر الى اخيه ضاحكا فلا يزيد هذا على ابتسامة مشجعة شاحبة تلتمع على فمه الصغير ..

وجاء زبون تدل ملامحه على انه من العمال وقال : بكم الكيلو ؟

ـ بربع ليرة ..

ـ هات كيلوين

واسرع نادر ، اخو فتحي ، يدق كفة الميزان على الارض كأنه ينبه الزبون الى انهما لا يغشان ، ثم ملأ الكفة ووضع في الكفة الاخرى وزنتين كل واحدة بكيلو ، وقد رجحت الكفة التي تحتوي الخيار قليلا ، ومع ذلك فقد تغاضيا عن الفرق القليل ، ودفع لهما الرجل نصف ليرة ثم سار فودعاه بجملة : اهلا وسهلا ..

ومرت امرأة ، فارتفع صوت نادر يدعوها ، فنظرت اليه ببلاهة ثم سارت الى الجهة الجنوبية ، وجاء بعد ذلك ثلاثة من البدو اشتروا خمسة كيلويات ، ثم مر خال فتحي ، وكان يجمع من البائعين ضريبة الارضية ، وما ان حاذى الصبيين حتى سار دون ان يطلب منهما الضريبة ، ولا يعرف فتحي لماذا تذكر كلمات الاستاذ الذي قال لهم في احد دروس المعلومات الوطنية : ان الجابي الذي يقصر في وظيفته ، كالخائن الذي يفر من ساحة القتال .

وجاءت (ام ابونا) .. وام ابونا هذه هي والدة القسيس الذي كان مدير المدرسة التي يدرس فيها البائعان الصغيران ، وما ان لمحتهما حتى اقتربت منهما غير مصدقة : شو ؟.. صايرين تبيعون خيار ؟..

ـ نعم ..!

ـ بقديش الكيلو ؟

ـ بربع ليرة !

ـ لا .. كتير .. ما بيصير ارخص؟

ورد نادر : والله ما بوفي ام ابونا

وباعاها ثلاثة كيلويات، ولكن فتحي غش لها (البضاعة) اذ خلط بينهما بعض الخيارات الصفر التي توضع عادة لتباع في النهاية بسعر ارخص ، وقد شعر نادر بحيلة أخيه فنظر اليه مستغربا ، ولكن فتحي اشار اليه بعينيه اشارة خاصة فسكت . كان كل هم فتحي ان ينتقم من (ام ابونا)، لانها كانت تمتنع عن اعطائه بعض الماء ليشرب ، عندما كان ينفد الماء في المدرسة .

ازداد عدد القطع الفضية في جيب بنطلون فتحي القصير وارتفعت نداءات اخيه اكثر بعد ان اصبح لديه منهما رأسمال طيب : خيار .. قلموني يا خيار .. يلا يا خيار .. هون ابو مسامح .. اصابع الخاتم يا خيار .. خيار .. عمى في عين الغشيم .

وفجأة .. تسمرت عينا فتحي على المنفذ الغربي لسوق الخضرة اذ رأى (ابو ليلى) واقفا هناك بوجهه الاحمر ، وانفه الكبير ، وثيابه الانيقة، ونظارته الخضراء ، وعصاه الملتوية اللامعة .. وكانت ابنته ليلى تسير معه .

تمنى فتحي في تلك اللحظة ان تنشق الارض فتبتلعه لئلا تراه ليلى وهو في هذه الحالة يقف الى جانب كومة من الخيار يبيعها للناس .. لقد كان يحبها حبا طفلا بريئا متخوما بالاحلام الساذجة ، وكانت هي في الصف الثالث ، طفلة ، جميلة ، كاحدى الدمى التي تعرضها واجهات المحلات والمخازن الزجاجية ، وبدأ يدعو الله في سره ليلهم والدها بالرجوع الى البيت دون ان يدخل الى ساحة السوق . ولكن (ابو ليلى) سرعان ما تحرك متجها الى الساحة وخلفه ليلى التي كانت ترافقه لتختار لها ما تريد من الفواكه ، وما لبثا ان اقتربا من حيث يقف فتحي واخوه .

اراد فتحي أن يهرب ، ولكنهما كانا قد وصلا ، فاستدار الى جهة اخرى يحدق في صخب السوق بتصنع الذي يحاول اخفاء معالم الجريمة على وجهه .

وانتفض فجأة على صوت ليلى تقول لوالدها : تعال يا بابا نشتري من عند نادر .. فطلب ابوها من نادر ان يزن ثلاثة كيلويات ، وظل فتحي في وقفته لا يلتفت اليهم ، ولكنه استدار مرغما عندما مد اليه اخوه يده بالدراهم التي قبضها من والد ليلى وهو يقول : خود .

وكانت لحظة قاسية تلاقت عيناه بعيني ليلى ، فتلاعبت على شفتيها ابتسامة الطفولة البريئة ، ثم ركضت تلحق بوالدها .

وعند الظهيرة كان الصبيان قد فرغا من بيع كيس الخيار فجلسا يعدان (الغلة) فرحين ، ثم ارجعا الميزان الى صاحبه بعد ان دفعا له الاجرة ، وحملا الكيسين الفارغين وبقية قليلة من الخيار ، وسارا الى البيت فاستقبلتهما والدتهما فرحة، وطبعت على وجنة كل منهما قبلة ، ثم طلبت منهما الغلة ، وجاء ابوهما فحسب سعر الخيار ودفعه لجارهم فرج ، واذا الربح ليرتان وثلاثة فرنكات .

تلاعبت ابتسامة عريضة على وجه الوالد فرمى لكل من الصغيرين بثلاثة فرنكات ، اما والدتهما فقد أخرجت لهما قليلا من مربى الكرز الذي بعثت لهم به اختها . ولم تكن تقدم لهم منه الا في المناسبات .

وفي اليوم الثاني اعادا نفس الرواية ولكن ربحهما كان ليرة وسبعين قرشا فقط . وجاء خالهما ابراهيم في المساء واقنع والدهما ليشرك معهما ابنه فؤاد في العمل . وقد رحبا بذلك بعد ان خدعا بالكيس الفارغ الذي يحمله بدوره ، فطلبا من الدلال ان يشتري لهم كيسين بدلا من كيس واحد ، وانتهى النهار ، فاذا هم يخسرون من رأس المال أكثر من ليرة سورية ، وكان ذلك اليوم آخر عهدهم بسوق الخضرة وبيع الخيار .

* * *

بقي ان أقول ان فتحي ونادر وفؤاد كانوا قد سرقوا من (الغلة) ليرة وخمسين قرشا ، لكل منهم نصف ليرة ، واشتركوا فيما بعد مع صبية حي باب السلام ، فاشتروا كرة قدم كانوا يلعبون فيها ـ طيلة العطلة الصيفية ـ في الساحة القريبة من الثكنة العسكرية .

دمشق — جان الكسان

من اوراقي

O

الدالية الشقراء

•

داليتنا الشقراء ، في الكرم ، قرب العرزال ، ترضع قطرات الندى مصة ، مصة •••

زارها الربيع مع الفجر ، فلفها بردائه ، وأعطى للطبيعة أزره ، ثم سقاها من ذوب دمه

مرت الشمس على بيتها ، شمس الربيع ، فدلقت على صدرها دورق النور ، ولفتها بذراعيها ، فأطبقت فمها على نداء الحياة •

عصرت داليتنا النور في فمها ، وأطبقت شفتيها على الارض ، لترضع من نهدها أكسير البقاء •

وعندما ودعها الربيع ، ترك على صدرها سلال عناقيد ، فيها من لحمه ودمه اباريق معتقة ، تعربد في شفاهها نشوة بنت الكرم •

منجيرة الراعي

•

المنجيرة الراعي عندنا في الجبل ، أحاديث وسمر ، ولانغامها رقصات واهازيج ، ولصاحبها في ايام الاعراس منزلة ما بعدها من منزلة •

كنت لا أزال طفلا ، وكان لا يزال عندنا للاعراس فرحة ومسرة ، تتوسد القلوب ، داخل القلوب ، بنشوة جنونية عارمة ، وتتمسك باصابع الضوء لتقبل الفجر بأنغام المنجيرة ، وشدو الحداة ، وزغاريد العذارى •

كانت المنجيرة تسهر مع القرية ، وتؤدي صلاتها المؤمنة بقدسية الاعراس ، فتطارد سكون الليل بالحان جذلى ، تموج في كل مكان ، وتغوص في الدم ، لتحرك ذرات الافئدة بأحلام يتيقظ فيها جنون الشباب •

ماتت أيامنا الحلوة التي حسبناها لن تموت ، وانحدرت عليها الليالي والايام فلم يبق منها غير الذكرى الصامتة ، تتوكأ على الزمن ، عبر الايام والليالي •

من يوصلني اليها •• الى حيث لا تموت النشوة ، فأتمسح على بابها ، وأتدحرج الى هيكل الماضي الوريف •

يا ما أحيلى تلك الايام

ويا لحلاوة هذه الذكريات

والنجوم ، نجوم ليالينا السالفة ، هلا أصغيت لطلاوة حديثها ، اكم ساهرت المنجيرة اضواءها المتلألئة ، ولكم سمعت وشوشات الصبايا ، ووجيب القلوب ، وهمس المحبين ، ولكم تطاولت اليها الاعناق ، لتتمسح باضوائها في سواد الليل البهيم •••

ليلنا في الجبل ، فرحة ومسرة ، انشراح وغبطة ، انطلاق وصفاء •

عندنا في الاعراس أباريق معتقة ، يعربد في كيانها سرب من أكواب الدم الاحمر •• والناس يلتمسون نشوة العمر ، في حبات العنب ، التي يملأ دمها هذه الاباريق ، من شفاه كأس معربد •

هلا رضعت من دم العنب الصافي ، وهلا سمعت أحاديثه الحلوة ، فياما عربد في كيان الاباريق ، كما كان يعربد في كيان امه العنقود ، ويا ما رقص في أيام الاعراس ، على أنغام المنجيرة ، وشدو الحداة ، وزغاريد العذارى •

النبطية ـ لبنان — أديب الحر

على المطار

سأل اكبرهما البالغ من العمر سبع سنوات ، امه وهو يرتجف والطائرة على اهبة الاقلاع : وانتما الا تذهبان معنا الى لبنان يا ماما ؟ واذا بالاصفر وقد شحب وجهه ينظر الى امه نظرة غريق يعتصم بزورق النجاة ، واذا بصراخه يرتفع داخل الطائرة ...

○

أنا من حمّل الرياح فؤادَه ... واثنى موجعاً يقاسي بُعادَه
أنا من كحّل السماء بحلم ... أنا من أودع الفضا أعياده
زَحَفت كالقضاء ترتجّ غيظاً ... كبرياء السديم تبغي ازدراده
فكأن السباع في البيد هبّت ... تتنزّى الى عرين السياده
واستشاطت تدسّ في الريح انفاً ذاك قلبي أم ذاك بُرج القياده
من رآني اعلّق الطرف بالسحب ، رأى الكون شاخصاً للعباده

* * *

ذلّ عطر الضياء في مقلتي الولهى وأضنت يدُ النوى انشادَه
غيّضت دمعة الربيع بكأسي ... فاذا الوجد لقمتي والوساده
واذا الفجر موعد مكفهرّ ... رحلت عنه زقزقات السعاده
فالعشايا تؤوه في البيت والقنديل يذوي معاتباً انداده
وبقايا الصّياح والهزج لحنٌ ... يجرح الليل ، يستفزّ اسوداده

* * *

لفته المنتهى سلي الخلد عني ... أنا من ردّ بابنه ميلاده
أنا لو لمْ تنشّ دنيا الهُ ... ملء حسّي تشتدّ فيه اعتقاده
لتنسّمتُ في وليدي عبيراً ... بثّ في مسمع الضيا الحاده

* * *

يا مطلاً(1) على بلاد وأهل ... هاك لحني مضى يغنّي بلادَه
موطناً والعظائم البيض بذل ... وأباً مدّ للعلى اولاده
موطني الايك واحنيني لأيكٍ ... دلّه الهجر والنوى أعواده
موطني ما أتنزاره الشمسَ لمّا ... قال هيّا ، ململما أكباده

(1) أعني به الطائرة

كران بسام ـ السنغال ... ادمون الفلفلي



تاريخ الفكر الاندلسي

لانخل جنثالت يالنشيا ـ ترجمة الدكتور حسين مؤنس ـ ٧٣٠ صفحة حجم كبير ـ مطبعة النهضة المصرية سنة ١٩٥٥

لكأني الساعة وأنا اقرأ كتاب « تاريخ الفكر الاندلسي » استمع الى الدكتور حسين مؤنس (١) الذي قام بنقل هذا السفر النفيس الى لغة العرب ، وقد وضعه بالأسبانية مؤلفه الاستاذ «آنخل جنثالت يالنشيا» سنة ١٩٢٨ .

وان الذي يهجم على هذا الكتاب بنظره وسمعه ، وهياج خواطره ، يجد نفسه في عالم زاخر بآثار الفكر والبيان والفن العربي الذي أقامه في الاندلس الجدود الفاتحون ، وحملوا به مشاعل الحضارة الى الغرب .

لم أكن اقرأ في هذا الكتاب مؤلفه العظيم فحسب ، الذي جعله وسيلة لنيله كرسي الاستاذية في جامعة مدريد ، وانما قرأت صديقي « مؤنسا » قراءة جديدة وهو في ثوب اندلسي يجول فيه خلال المعالم الزائلة التي بقيت منها آثار في جامع قرطبة ومرابع غرناطة وقصر الحمراء، وضفاف وادي يانه والوادي الكبير . وان مئذنة اشبيلية المربعة ، التي يعلوها اليوم تمثال (الجيرالدا) ليدور مع الرياح ، تعيد الى سمعي ـ على رفيف التوهم الذي يبعثه هذا الكتاب ـ هتافات الله اكبر آتية من الزمن الغابر المندثر .

ان نشر الدكتور مؤنس لهذا الكتاب حدث خطير في تاريخ ثقافتنا العربية المعاصرة (٢) لانه يظهرنا على صور لا نعيها بهذا التوضيح ، من تراثنا الفكري والادبي ، الذي عاش اعلامه في الاندلس ؛ وهو محشر حاشد تجد في استهلالته مشاهد تاريخية لسياسة العرب في تلك البلاد منذ دخلها عبد الرحمن بن معاوية حتى اواخر عهد العرب فيها . وهو يبين لك كيف عاش الادب والشعر في ظلال الملوك والامراء يتعهدون قرائحه بالتشجيع والمال ، عارفين ان الشعر ـ كما كان في كل طور من أطوار حياته ـ سجل الامة العربية في السياسة والادب والفنون .

وقد تتبع الكتاب آثار الحياة الادبية في الاندلس في عهد الملوك العظام فملوك الطوائف حتى اندثار السلطة العربية في الارض الاوربية .

وفي كلامه على الشعر ابان الخصائص التي امتاز بها الشعر الاندلسي بعد ان مر في روح شعر عربي وافد من المشرق .

يقول « غرسيه غوميس » وهو أحد من انتهى اليهم الاستشراق المعاصر في اسبانيا : (ان الشعر الاندلسي قد نبع من بحر الشعر المشرقي) .

ولعله أراد بقولته هذه ان يسكب في تعبير جديد ما قاله المشرقيون العباسيون حين قرؤوا شعر ابن زيدون وعرفوا رسائل ابن شهيد : « تلك بضاعتنا ردت الينا » .

وان هذا الكتاب ليوضح العوامل التي من اجلها جثم الادب الاندلسي في مرابض عباسية عند بغداد ، فلقد رآه مكبلا بالاقيسة والقواعد الشكلية الجامدة ، ثم جعل يحلحل من الادب الاندلسي تلك المسامير ليعطيه روح الفن الذي ساد في الاندلس ، وهو فن الزخرفة وتزويق الجدران فجعل الصلة وشيجة بين هذا الفن والشعر والنثر في زخارفهما اللفظية والمعنوية، وهو في هذا صاحب غلو ، فان ابا تمام الذي أشاع في الشعر الصناعة وأعدى الشعر العربي بها ؛ لم تكن زخارف البناء في الحضارة الجديدة هي التي دعته الى الجناس والطباق والمقابلة . على اني أؤثر ان انظر الى قصيدة ابن زيدون ، التي وصف فيها شوقه الى الحبيب ، وشقاءه في الحب ؛ كأنها جدار من قصر الحمراء توسط زخارفه طابع الاندلس الغالب : (ولا غالب الا الله) ، بخطه الملتف العريق .

ويرى الكتاب ان موضوعات الشعر الاندلسي ، وان تك شرقية المياسم ، لكنها تنوعت بالوان الحياة الاسلامية الجديدة على الارض الاوربية . وكانت مطارف الحضارة تبدو في تلك الصور المتلألئة في الشعر العربي الاندلسي .

وفي مساق الحديث عن شعراء الملوك الذين يسميهم الكتاب شعراء البلاط مسارد لقيم فنية يحفها النقد وتعوزها المقابلة بشعر المشارقة ، وعند كلامه على ابن قزمان والموشحات مر بايضاح الصلات بين شعر الموشحات والشعر الاندلسي الشعبي ، وكان « ابن سناء الملك » يرى انها من اناشيد المجان والسكارى ، وان النسوان كن يرددنها في الغناء لسهولتها ؛ وينساق المؤلف بعد الموشحات الى ايراد اناشيد شعبية كانت تدور على ألسنة العرب في الاندلس منتزعة في كثير من تعبيرها من الكلام الاسباني ولغة العامة .

ثم يجري الكتاب مجرى بحثه في الادب الاندلسي ، واخبار ذوي النثر والترسل واهل اللغة ، ثم المؤلفين الاخباريين والمؤرخين ، واصحاب كتب الطبقات . وحين بلغت من الكتاب كلامه على « الفتح في قلائد العقيان » ، وكان الفتح ناقدا ساجعا لا يحول جمال سجعه بين القارىء والفكرة المتمادية ، تبدو قلائده كعقود حسان أندلسيات على اعناق بضة لا تفنى ، رأيت المؤلف لا يشفق عليه فيظهره في حاله الحقة ؛ فلقد كان على الدوام مخمورا ، فلم يكن له نصيب بان تدوم له ولاية في شؤون الدولة ، فأراد القاضي « عياض بن موسى » ان يزجره يوما ، زجر اللطيف فبعث اليه بدنانير ومعها عمامة . لكن الاديب ابن خاقان ـ وقد أحس الوخز في هذه الهدية أراد أن يسقط من قلائده ترجمة القاضي عياض فلم يطاوعه انتقامه ، وأدرك انه ان فعل اساء الى تاريخه الادبي بحرمانه من ذكره .

أما كلام الكتاب على « لسان الدين بن الخطيب » فقد عرضه في شخص عظيم ـ وذلك من حقه ـ فلقد كتب التاريخ والادب بلغة سيد للنثر ، سأذكره وهو في بحبوحة نعمته عند ابي الحجاج يوسف الذى أطلق يده في الدولة حتى أغناه ، لكن سعده أخذ في المغيب بعد الحجاج؛ واصطلح عليه اصحاب السعايات ، وخانه بعض من اصدقائه وبعض من تلاميذه . لقد كان هذا الكتاب بارا بلسان الدين رحيما فأبرزه في أروع صوره التي تخلد ذكره ، وكشف عن سر الخيانة التي حاكها له منافسوه .

ثم أخذ الكتاب في الكلام على فلاسفة الاندلس وعلماء الطب والنبات والطبيعة فيها ، فأطلع اولئك الغابرين من رمامهم أحياء في سجل واحد مطلعا للعبقرية في تلك الربوع .

---

١) الدكتور حسين مؤنس ، أديب من الفحول ، من أساتيذ كلية الاداب بجامعة القاهرة ؛ ثم المدير العام لادارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم بمصر ، وكان منذ سنتين مديرا للمعهد المصري الثقافي بمدريد ، وهو نزاع الى الطرافة في الادب ؛ ويسهم في كتابة المقالات الوصفية والتحليلية للحوادث والاشخاص .

٢) اختارت الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية هذا الكتاب للنشر .

وقبل الختام تكلم الكتاب على أدب الاسبان الذين أثرت فيهم العبقرية العربية فانطقتهم بشعرهم ودفعتهم الى كتابة القصة . فاذا أدب جديد ، هو بحق مولود اندلسي طريف ، يأخذ من العربية روح محبتها . كتبه اصحابه بلغتهم . لقد تأثروا بالفن العربي منذ نزل العرب في ارضهم وظلت هذه البواعث مقيمة بعد زوال العرب ، وهي ما تزال الى اليوم . اني لاسمعها في الغناء الاسباني الذي يشبه « المواليا » واكاد استشف الاهات العربية الماضية خلال المعازف الاسبانية .

وكانت الخاتمة تجوالا في الحركات الادبية والفنية التي نجمت عن العرب في الاندلس ، وأخذت طريقها الى اوربة ، وخاصة قصص الفروسية ، وآثار الخيال العربي الذي ابتكر فنونا من القصص في « كليلة ودمنة وحي بن يقظان » فولد في الخيال الغربي روائع مماثلة في الشعرالافرنسي والاسباني . ومن هنا تلوح لي الفكرة المقابلة التي تجعل للشعراء الجوالين من « التروبادور » تأثيرا في الشعر الاندلسي السهل الذي منه الازجال وبعض الموشحات ، واني لاجد ان هذه الملابسات لم تنجل بعد في تاريخنا الادبي وان كان الكتاب قد جلاها بتأثير العرب في الغربيين كذلك خرجت من كتاب (تاريخ الفكر الاندلسي) وكأني أعود من رحلة ممتعة للعقل والنفس ، ولئن سمى المؤلف كتابه (تاريخ الادب العربي الاسباني) ، فقد رد المترجم الاسم الى حقه الغالب ، فأحسن للفكر على حساب الادب .

دمشق — زكي المحاسني

مساء الخير يا جدعان !..

لبدر نشات — مجموعة قصص — ١٠٤ صفحة — منشورات دار الفكر بالقاهرة

١ — مساء الخير يا جدعان

« مساء الخير يا جدعان » (١) قصة ريبورتاجية الاسلوب ، فاقدة الحرارة تعتمد المفاجأة في الاقناع .

غائية التركيب والاداء ، لافنيته . لكأنها وضعت — وهي كذلك — لتقنع اناسا بوجوب الاقلاع عن « شرب الحشيش » . فاشخاصها لسان يتكلم لشخص مجهول الملامح ، مشكوك بوجوده . ففيما زمرة الشاربين في « دردشة » ينفلت من بينهم شخص اسمه عبد المتعال ، بلا تمهيد ، وقد تحول من مدمن الى مقاطع حازم الارادة .

« والتفت عبد الصمد ناحية عبد المتعال وقال باهتمام وكأنه اكتشف أمرا خطيرا :

— الله . انت ما بتشربش ليه يا ابو عبده ؟

وانتفض عبد المتعال من وجومه وقال بصوت خشن :

— ما ليش مزاج . »

في هذا الحوار القصير يمكن ان تختصر القصة . فهي ، كما ترى ، تشمل اشخاصا وضعوا لغاية قصدها الكاتب ، فمقاطعة عبد المتعال « لاخذ النفس من الجوزة » انما خارجية الغرض ، وليست داخلية التوجيه ، ليست من ذاته هو . وان كان « انتفاض عبد المتعال من وجومه » تدل على الصراع بين الحالة التي كان مترديا بها سابقا ، وبين الحالة التي يريد ان يتسنمها .

ثم هذا التدخل . فالكاتب لا يذيب ذاته في شخصياته انما يقفز من بينهم يتكلم بلسانه هو .

والافتعال الظاهر في انهاء القصة ؟ هو بعض عيب القصة عند بدر نشات .

ففي ظني : لو ان القصة انتهت بصياح عثمان :

— « ابه القرف ده ؟ » ولا تربيت على الساق المقطع الاخير ، من دون تدخل امه في الحوار ثانية فتخفف من ارهاق المقصد .

ولسنا نبحث هنا عن مدلول القصة . فلا اعتراض لنا على هذا . فاشخاص « مساء الخير يا جدعان » — القصة — اطرمنطقية اكثر منها اناس من لحم ودم وتذوق جوزة ...

٢ — واحد منه :

تحاول ان تبرز مشكلة . فالابن ضحية . تتصارع في داخله تيارات . فهو موزع الشخصية والجهود ، ما بين العمل في المكتب ، وبين تحدي ام خيري ...

وام خيري هنا ، المرأة على الاطلاق ، التي يتلهف « سي احمد » للاستئثار بواحدة من جنسها .

« — ما هي دي مش عيشة ... ابقى في اول الشهر ولسه قابض وما يفضلش معايا ولا مليم . انا عايز اعيش انا كمان واصرف زي ما بتصرف اصحابي... دا محمد ابوريه زميلي في المكتب اللي بياخد ماهيه زيي محوش وحيتجوز الشهر الجاي ... وطول ما انتم ورايا الواحد مش حيعرف يعيش ولا يحوش ولا يتهبب . »

وسط هذا الصراع النفساني المعذب ، بين رغبة احمد في امتلاك امرأة وبين « واجبه » نحو والديه واخته تضيع ارادته . فهو مشلول الارادة ما دام يخافهم بقوله :« طول ما انتم ورايا ... »

اما كيفية دفعه للجنيه الخامس فموفقة . اذ ان منظر ساقي ام خيري المستديرين ، لم يزل متمثلا امام عينيه . فقد « طلع بقية السلالم وهو حاسس برغبة شديدة في رؤية هذا المنظر مرة ثانية ولكنه ... » فمجرد ذكر اسمها المستساغ من اذنيه كفيل بان يساعد يده بالانزلاق الى جيبه ...

ولا تسلم بعض جمل هذه القصة من ركاكة في الربط : « يقرأ — أي ابي البطل — جريدة من جرائد الامس التي لم يعد يحتاجها الاوسطى فتحي صاحب صالون النظافة للحلاقة وصديقه » . فهذه « وصديقه » ركيكة هكذا . فلو تلت نحتاجها مباشرة لاستقامت .

تحاول ان تبرز مشكلة ؟ فهذا المعذب الذي لا يحصل في آخر الشهر من معاشه البالغ سبعة جنيهات الا على « شوية فكه » هو ضحية غش من البقال ، وحياء من والديه . او لا يستحق ان يعيش كما يريد ان يعيش « ابو ريه » ؟

٣ — عبد الموجود

لا أرى أفضل من ان احصر بعض اهتمامي في العنوان ، فهي قصة تريد ان تبين — او هكذا فهمت منها — حالة الاستسلام لدى عبد (الانسان) الموجود (الله) . فانسانها اعتاد ان يقول « كلما اشتدت عليه ازمة البطالة » :

« — ترزق ... ربنا موجود ... مصيره يفرجها » . ولا يفرجها ، على ما يبدو ، ذلك الموجود الغائب ... فيقفز عبد الموجود ، بعد ان لكزته ام العيال الاربعة ، « يبحث عن عمل ... أي عمل ... وعن الرزق والفرج وبعد لها بنفسه . »

لا يؤمن المؤلف بان تغيير الاوضاع يمكن ان يتم من فوق ، بل هو هرمي العمل ، فاساسه الواسع من تحت .

٤ — وبعدين يا سعديه :

في هذه القصة محاولة للتوفيق بين زوجين مختلفي الرغائب ، كما فيها محاولة للتوفيق بين الازدواجية في اللغة .

وتقوم هذه القصة على التداعي . ففيما عبد المقصود يتخيل ما

---

١) يستحسن قراءة الكتاب ، اولا .

قد تصنعه زوجه واولاده بالبطيخة التي اشتراها بخمسة عشر قرشا ، وسيدعي بانه دفع ثمنها ثمانية ... يقفز السرد ، برشاقة ، من طـور التخيل الى انسياب الواقع ، من دون ان يترهل السياق او يثقل . ومن ثم بين رغائب احد الطرفين وبين كلام الناس الذي يكفر حتى المؤمنين ... فيقرر عبد المقصود طلاق زوجته . لكن تذكره لاولاده دفعه الى تأجيـل البت في ذلك ...

« واخفى عبد المقصود ارتباكه في ان لف ذراعه حول ابنه الثـاني حسين الواقف جنبه فالتصق به الولد حسين ولكنه ظل ينظر الى الارض مكشرا صامتا ... »

وهنا ترى ان لغة الكاتب ، حتى في التداعي ، لا تختلف عن لغـة الحوار العامية ـ وهو امر شائع في قصصه ـ فقد تكون عملية تطعيم بين ازدواجية . لكنها عملية لم يحالفها النجاح ، الا نادرا .

٥ ـ علقـة تفـوت :

سبحان الله . او ليس في حياتك ، بين ذكرياتك ، شيء يشبـه حـالة محمـد ؟

او لم تسرق في حياتك شيئا ، منعت عنه ؟ وبالتالي الم يغـ « صندوق الدنيا » ـ او ما شابه ـ فأخذت تزعق :

ـ بودي ان اتفرج ... بودي ان اتفرج ؟

ومن ثم : ألم تقدم مرة على حماقة ما ، منتظرا القصاص وانت تردد : « علقة تفوت ولا حد يموت » .

بلى . قد تكون فعلت شيئا من هذا القبيل .

٦ ـ الليلة انس :

ما اشبه الليلة بالبارحة . فهذه القصة ذات قرابة مع « واحـد منه » . الرغائب مشتركة بين احمد وعبد الصمد ، فكلاهمـا يود ان يتزوج فيصطدم بواقعه المرير . واقع الفقر والمسؤولية . فيبقى ، كلاهما منتظرا الفرج .

اما اللغة فمصرية النهج والاسلوب . ومن هنا تقل قيمتها ، عندما تخرج من مصر . فبعض تعابيرها مغلقة بالنسبة للقارىء الشامي ، مثلا . .

قلت ان القصة ذات قرابة مع « واحد منه » . فهي وجـه ثاني للمشكلة التي تنتهي الى ... سلبية . وان كنت لا أغفل القول بـان « زنوبة » مثال الفتاة اللعوب التي قد تمر بزميلة لها ، في طريقك ، فتحاول تعذيبك لمجرد التعذيب . والكاتب ، على اية حال ، لا يقول لـك مع الاخطل الصغير : « اذا مررت باختها فحد » . فالغيرة ، في هـذه ، واضحة الصراع بين شابين يودان فتاة واحدة . ويبقى هذا الود في طور بدائي لا يتعدى كون « شلضم ماسك بيدها عمال يشدها » .

٧ ـ اشـوفـكو بـكـره :

قصة نعجة اشتراها ذئبان « ببريزة » لليلة واحدة ... وتبعـا لمنحي الكاتب ، يظهر عوضا بمظهر الذئب الشرس الذي يتباهى بلؤمه :

« ـ بريزة ... تصور ... أيه رايك بأه يا عم ؟ ستين اكل وخمرة وهي عشرة يبقى الحساب كله سبعين قرش ... وايدك على خمسـة وثلاثين صاغ ... » فيما يظهر الاخر ميالا الى الانقلاب على مثل تلك الاعمال

وفي ظني ان الكاتب وفق في ابراز المشكلة التي توحي اليـك تفاصيلها بالتقزز من شابين يختاران ليالي رمضان بالـذات ، ليفثآ عـن الشهوة الجنسية المكبوتة ، وبالعطف على المرأة الضحية التي تركهـا زوجها ، حسب زعمها ؛ فريسة الفقر ... والدعارة . وليست كتـلك التي تضاجع عشيقها في سرير زوجها ، لشهوة المضاجعة فحسب . فتلك تساوم على جسدها لتقابل العيش الذليل ، مع ابنتها الصغيرة ...

اما الناس وخوف صديق عوض منهم . فيوفق بتجسيد هـذا الخوف الذي يعني الاخر .

« ـ تعرف ان سيد الحلاق شافنا واحنا داخلين الحارة .

فقلت في خوف : « ـ لا يا شيخ » .

ولا أدري ان كان المؤلف عني بالرمز في هذا المقطع :

« واقتربنا من الدور الثالث ، كان في الممر جزء رفيع من الظـلام لم يلمسه النور والحاج مسعود يحادث زوجته وقد اولانا ظهره ... »

ان هذا الجزء من الظلام ، وهو موجود في كل مجتمع ـ يتكاثـر ويتضاءل ـ مما يساعد الناس على المرور خلسة الى اهداف حقيـرة ، عندما يدير الضمير ظهره ، مشغولا .

وكم يغافل الناس ضمائرهم فيختلسون دقائق ، او ساعات ، او اعمار من اللؤم والحقارة .

٨ ـ العمـــل :

من قصص المؤلف الناجحة . وان كانت لا تسلم من مآخذ . فمـع ان ما مر بخاطر « الانا » في هذه القصة من تخيلات تكاد تلامس الحقيقة : من « لماذا يتحدثون معي ... » الى ما تخيله العاطل عن العمل من حديث يجري بينه وبين صاحب الكاديلاك الفاخرة . الذي يتوقع منه دعوة الـى عمل . ثم يدعه دون ان يحس بمجرد وجوده ، فهو ضائع الوجود .

ترى البطل ـ هذا العاطل عن العمل ـ يمارس التفلسف :

« انه لمن المؤلم ان يكون الانسان عاطلا . فان التعطل يمـلأ النفس بالصدأ كما تصدأ الالة ان توقفت عن الحركة . لا بد للفرد ان يقوم بأي عمل يشغل به نفسه ويحرك فيه اعضاءه فيحس انه انسان ذو قيمة قادر على فعل شيء ما » .

فلو اكتفي الكاتب بالجملتين الاولبين لبقيت نظرته في حدود المعقول. كصادرة عن رجل عادي . اما ذلك الاغراق في التفصيل ـ الذي يكثـر منه المؤلف ـ فارهاق لا مبرر له .

ان الكاتب يكاد يتوهم بان القاريء يفوته ما يعني . فهو يريـد اقناعه بصوابية رأيه ، دون سائر الاراء . وبالتالي يستشف من هذا القول ـ رغم وجاهته ـ تقريرا وفرضا لكاتب القصة ان يتجنبهما .

واذ اذكر هذا لا تفوتني الاشارة الى ان هذه القصة هي الوحيـدة تقريبا ـ مع سجارة شلبي ـ بين العشرة التي تضمنتها المجموعة ، التـي تظهر ، وكأنها وضعت تبعا لتصميم مقصود : فالحبكة فيها رشيقة ، والسرد طبيعي ، والانتقال منطقي الاداء ؛ لطيفه .

٩ ـ سجـارة شـلبـي

مشكلة موظف ثالث . تختلف عن السابقتين في انها تميل الـى ايجابية في الحل . فهذه السيجارة التي تلهف اسماعيل للحصول عليهـا منذ بدء القصة ، ليست لرغبة في التدخين فحسب ، انما لقصد نجـح الكاتب ؛ كبير النجاح ؛ في ابرازه بتكوين عضلي لبق النتيجة .

فهذه التي انسته « الكالو » هي محور القصة . ففيما كانت نقمتـه تشتد على الزملاء الذين لم يسلفوه القرش ، اخذت تخف ازاء احساسه بكونهم يشاركونه نفس المشكلة ، وعين الوضع ؛ وذات المصير .

وفي القصة تصوير طريف ودلالات نفسية كبيرة ، تفتقر اليها بعض القصص السابقة .

« واسماعيل يعرف ان الشيء الذي يدفع ثمنه فورا يبدو متوفرا رخيصا . وتكون له قوة تنتصر دائما على البخل .»

هذا جزء ضئيل بسيط . اما نهاية القصة ـ رغم حرارتها ـ فرمزية الدلالة ، رائعة .

« وضغط اسماعيل على السيجارة في عصبية وسحب منها نفسا عميقا احترق له جزء طويل من السيجارة . وأحس اسماعيل بنشـوة كبيرة وهو يرقب النار وهي (ليته حذف : هي) تأكل طرف السيجـارة وكأنه يحترق في جذوتها نباح الكالو في عروقه ... وتقلص الجزمـة اللعينة على قدمه ... والمشاكل ... والقروش ... والجزم والمشـوار

الهائل الذي ينتظره . ويقترب منه ، كلما خطت الساعة الى الثانية موعد الانصراف من المصلحة . »

هذه النهاية الراقصة آثرت اثباتها ، كاملة ، لانها تنطوي على دلالات . ولان فيها يكمن زخم السرد ، وقدرة الكاتب على الرمز ، وعلى طرافة الانهاء .

١٠ ـ الجـدار :

ما زلت عند رأيي (٢) بان القصة مترهلة الاداء في بعض اجزائها . فما قيمة هذه السطور الثلاثة والعشرون التي تسبق الدخول في الموضوع؟ اهي مقدمة ؟ أم ريبورتاج صحفي يصف لنا بعض الاحياء عندما نصل « حارة عثمان » ؟ وان كنت ارى انها تبرز مشكلة لا شك انها موجودة . وبالتالي فليست ضائعة الموضوع .

للكاتب ، أي كاتب ، ان يضمن قصته ، احيانا ، آراء خاصة في مسائل معينة ، ويحملها ما يريد ان تحمل من دلالات . على ان يحاول الاختفاء التام ، او الذوبان في شخصيات عمله الفني .

والقصة ، عند بدر نشأت ، غائية الاتجاه ، وليست فنية الاداء دائما . فتتراوح قوتها واصالتها تبعا للموضوع ، وتبعا للمعاناة التي عاشها الكاتب ، فهي حينا تضج بالحياة (٣) ، وآخر فاترة ، مترهلة ، كعجوز تبرز عظام وجهه وقد فقد جسده هدير العروق (٤) (ألانه مدمن للمخدرات ؟) فهو متفلسف ، علمته التجربة ان يضع على عينيه « مونوكل » الخبراء ، وعلى لسانه حكمة الحكماء .

و«الجدار» ابرز ما في المجموعة من قصص . فيصح ان يكون الكلام ، حولها ، كلاما عاما عن المجموعة .

فهي تحاول ان تقنع بفعالية وضرورة الاتحاد . وتنجح في ذلك من دون لجوء الى طريقة ممجوجة ، وهي فرضية الاقناع . بل يحس القارىء بالاقناع يتغلغل في دماغه ، على دفعات ، كتغلغل الدم المدفوع من القلب .

وتقدم نماذج من الناس حية ، صادقة الراي ـ بغض النظر عن خطله او صوابيته ـ لا ينقصها ما للنماذج من وجوب .

قصة حي بكامله هي . مأساة ناس . تبرز من خلال مأساة شخص حسين الفران .

فالحادث الشخصي يرتبط ، هنا ، بالحدث العام . مما يعطي للنموذج اصالة وعمق . ولعل هذه النقطة شائعة في أكثر قصص نشأت ، تعطيها ـ رغم اقليميتها الضيقة ـ دفعة الى خارج . الى فسحة مشكلة الانسان اين كان .

ويصح ان يتمثل الصراع المتضارب فيها في اتجاهين (٥) متناقضين ، او شخصين هما : العم شحاته (ومعه سنيه الرقاصة وحسين الدباغ ...) والشيخ شلبي (ومعه علي الشيمي وخليل سيدهم وعوض ابراهيـم .) واشخاص متذبذين بين الاتجاهين . ففيما الاول مندفع الحماسة ، جياش الارادة ، نرى الثاني ـ مع ميله للاتجاه السلبي ـ متردد ، حائر . فبعد ان يؤمن الشيخ شلبي على كلام العم شحاته بقوله :

« ـ ايوه . كله من الجدار الملعون ده . ايه رأيكم يا جدعان لو كنا نهـده ؟ »

يعود ، ازاء الاعتراضات ، فيتقلص على نفسه ، ويرى في الموضوع رأيا اخـر .

لكن هذا التردد لم يطل . فسرعان ما « خرج جميع السكان الى

---

٢) راجع « الاديب » عدد مارس ٥٦ . ٣) كسيجارة شلبي ، والعمـل .
٤) « مساء الخير يا جدعان » .
٥) وهو امر عام في المجموعة . كوسط البروليتاريا الذي منه يستوحي الكـاتب .

الحارة وساد الهرج وكثر الكلام وعلا الصياح . كانوا مأخوذين بالضوء القوي فرحين بحرارة الشمس ، منتشين بالهواء الطلق المنعش ... » لقد هـدم الجـدار .

لست ممن يحبون فرض الاراء على الادباء . لكني اقول ان اغراق بدر نشأت في اقليميته الضيقة ، حتى الاختناق ، قد يقلل من قيمة قصته . وان كنت أرى ان الاقليمية الحق ـ اقليمية الاستيحاء ، لا اللغة ـ هي الطريق الى أبعد .

فالكاتب ، على ما يبدو ، يؤمن بقوميته المصرية ؟ ويود ان يعبر من ضمنها . وله الحق في ذلك .

ومحاولة التوفيق بين ازدواجية اللغة ، في قصته ، فلم تزل نافرة ، لا يحالفها النجاح ، الا في مواضع قليلة .

اما نهاية القصة ، عنده ، فتميل الى السلبية ، فهي من راي صاحب « فاجعة حب » ـ مع اختلاف في التطبيق ـ الذي يقول بان الدعـوة الى الفضيلة في العمل الادبي ، قد تقلل من قيمتها اجتماعيا . على نقيض ما يرى شكسبير من ان كل عمل ادبي يجب ان يخدم الفضيلة .

وثمة ناحية ، وهي مقدرة الكاتب على الالتقاط ، ومن ثم على التصوير الموغل حتى « الفوتوغرافية » ، مما يقلل من وقع القصة ، ومن اصالتها الفنية .

اما ان بدر نشأت قصاص ، يستحق التسمية ، فصحيح . لا تنقصه اللقطة الانفعالية المعبرة ، انما تعوزه ، احيانا ، فنية السبك والاداء .

عـادل الاعـور

الريحـــانيـــات

لامين الريحاني ـ طبعة جديدة منقحة ـ الجزء الاول ٢٨٠ صفحـة ـ الجزء الثاني ٢٢٢ صفحة ـ منشورات دار ريحاني بيروت

تعطي « الريحانيات » ، وقد اخرجت اخيرا في طبعة جديدة ، فرصة للحديث عن الكاتب العبقري الخالد امين الريحاني .

لقد اودع الكاتب « الريحانيات » أقرب مقالاته الى نفسه . فقد كانت « الريحانيات » ، وقد اعطاها اسمه ، رفيقة عمره . صفا لها وافضى اليها بسره وبثها شجنه ونفح بها تفاؤله .

لقد ضمت هذه المجموعة فصلين عرف فيهما الريحاني نفسه ولخص مبادءه هما « الريحانيات » « ومن أنا ؟ » .

وثمة فصول اخر تجلت فيها صوفية الريحاني ، صوفية مثقف عظيم الروح كبير العقل من ابناء القرن العشرين .

وفي مقالات كثيرة يواجه القارىء حكمة الريحاني صرحا فخمـا يقوم على عمد ثلاثة : الروح والعقل والجسد .

وفي مقالات اخرى نجد الريحاني يؤكد الصورة التي يريدهـا لشرق الغد .

لقد عاش امين وكتب في وقت كان فيه الشرق يتململ من غفوة الاجيال وكانت الحضارة الغربية تلامس الشرق من جانب خلابة مغرية دون ان يبدو شيء من اسقامها المادية وتلامسه من جانب اخر كافرة مفزعة دون ان تبدو عناصرها الايجابية .

فتعمق الريحاني كثيرا وحلق عاليا ثم دعا الى نهضة تتلائم فيهـا روحانية الشرق ومادية الغرب . لقد دعا الى مادية غير غليظة وروحانية غير جوفاء .

وفي هذه الطبعة من الريحانيات مقالات جديدة لم تظهر في الطبعات السابقة فيها منها فصل فريد « رسالة الشيطان » وقد انطوى هذا الفصل على كل عجيب من صور العذاب النفساني والعقلي وعلى بذور وجودية وعلى اراء جريئة في فكرة الشيطان مع نهاية طريفة في مصالحة الشيطان لله .

لقد عرفنا الريحاني في رحلاته كاتبا مشرقا متفكها مع تعمق . لكنا هنا نجده حكيما دون ان يفقد شيئا من اشراقه وابتسامته .

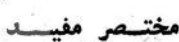
لقد كان وعي الريحاني في « الريحانيات » وفي كل ما عمل او كتب كاملا . ففي سخطه كان يحمل املا وفي ابتسامته كان يخفي جهدا . وكان شعوره الانساني وشعوره القومي متلازمين متداخلين .

اما اسلوب الريحاني كما بدا في « الريحانيات » فمزيج لطيف من كلاسيكية ناصعة ورومانتيكية ساحرة ولكنك ، على كل حال ، تشعر بنفس الريحاني نابضا في كل مقطع .

اما لغة الريحاني ، فرغم اجادته للانكليزية ولغات اخرى اجادة تفكير واستعمال ، فقد كانت لغة مطواعة سليمة بسيطة قوية معا تحمل آثار قراءات كثيرة في الادب العربي القديم .

وقد اصدرت دار الريحاني الكتاب في جزئين في طبعة انيقة منقحة ومزينة بالصور .

ن.ف.



مختصر مفيد

لرشدي معلوف ـ المجلد الاول ـ ٢٢٢ صفحة ـ مطابع الدار العالمية للطباعة والنشر [؟]

أصدر الاديب الشاعر الاستاذ رشدي معلوف رئيس تحرير «الجريدة» ببيروت هذا الكتاب القيم وهو مختارات مما ينشر في بـاب « مختصر مفيد » في جريدة « الجريدة » اللبنانية ، ومما نشر في جريدة « الاحرار » ببيروت . وخير تعريف بهذا الكتاب الكلمة التي قدمه بها الى القراء الاستاذ نصري المعلوف احد اصحاب « الجريدة » وقد رأينا ان ننقلها هنا :

هذا « المختصر المفيد » يباكر عشاقه من قراء « الجريدة » مع كل مطلع شمس ، منذ سنوات ثلاث . فهو غني عن التعريف والتقديم ، لانه قدم نفسه للناس ، قبل المقدمة وقبل الظهور بين دفتي كتاب . فوفرة المعجبين والمادحين ، قد مهدت سبيله الى النواظر والخواطر ، وقضت حقه من التقدير ، وبرأتني من تهمة « مادح نفسه » .

وغير عجيب ان يكون لهذه الاسطر القليلة ، هذا الاثر البعيد ، في نفوس الذين تناولهم بالنقد والاصلاح ، وفي نفوس الذين يتناولونها بالمطالعة والارتياح ، فيا طالما شفت غلة هؤلاء ، ويا طالما شفت غلة اولئك ..

وما كان غرضها في كل حال ، الا جلاء الحقيقة في اوجز مقال ، ووضع الخير في اقرب منال ، ودفع المجتمع في طريق الصواب والكمال .

واذا كان صحيحا ما يقال ، من ان هذه السلسلة من الانتاج الفكري اليومي ، قد نبهت الى مدرسة جديدة في فن القلم المصلح ، واشاعت طرازا لمعالجة الشؤون العامة ، فان ما هو صحيح ومشجع ايضا ، ان هذا الاسلوب الطريف الظريف ، قد أثبت فوائده وسلامة عواقبه ، واظهر ان العلاج والشفاء ، يتمان ، في احيان كثيرة ، دون ما حاجة الى قطع اوصال وسفك دماء وتحطيم عظام . بل وربما بلغ المصلح غاية الاصلاح ، وهو يرسل الكلمة الرشيقة الانيقة ، واضحة ناصحة ، تطل في الزي المرح الداعب الفكه ، وتبطن وراء قوة التعبير ودقة التصوير ، شدة التأثير وقسوة التقريع والتنديد والتذكير ...

فالذين احبوا « المختصر المفيد » وهو قطرات موزعة على مئات الايام في مئات الاوعية ، سيلقون اليوم ، في هذا الكتاب ، اصفى ما تقطر من تلك القطرات ، مجموعا في اناء ، زلالا ، طيب مذاقه ، سائغ شرابه .

وسيلقون في ثناياه ، وجه صاحبهم ، ناعما كملمس الماء ، هادئا كصفحة اليم ، عميقا كلجة الخضم ، ومخيفا كثورة اليم الخضم ..

نصري المعلوف

سيعودون

لرشاد دارغوث ـ مسرحية من ٤ فصول ـ ١٣٤ صفحة ـ منشورات مؤسسة دارغوث اخوان بيروت ـ مطبعة دار الكتب بيروت

قال المؤلف المسرحي المعروف الاستاذ فريد مدور في تقديم هذه المسرحية :

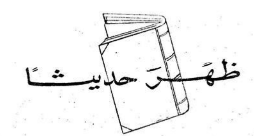
عزيزي رشاد : لن أتعرض لتمثيليتك بنقد ما ، فالتأليف شيء والنقد شيء آخر ، ولن يكون المؤلف ناقدا ، ولا الناقد مؤلفا . فلكل ميدانه ومواهبه في الحياة . انما محك التمثيلية او الرواية ، في عرفي ، جاذبيتها للمشاهد او القارىء ، وسيطرتها عليه حتى تملك عليه مشاعره ، فـلا يستطيع تركها اذا بدأ بقراءتها ، الى ان يستوعبها كلها . وهذا ما اصبت فيه نجاحا طيبا بينا في « سيعودون » وقد انتزعتها من صميم حياتنا ومحيطنا ، ونثرت بين تضاعيفها عبير الحياة .

ولا يخفاك يا اخي ان الادب التمثيلي عقوق جدا ، وطريق النجاح فيه كثير العقبات . فالاجادة في التأليف فيه يجب ان تواكبها الاجادة في الاخراج ، وفي التمثيل ، وفي المسرح وفي الانوار ، وفي جو بين المشاهدين مدرك مشجع ، متفاعل مع الممثلين ــ وكل هذه لا شأن للمؤلف بهـا ، ولا سيطرة له عليها غالبا . فعسى ــ وهذا ما أتمناه لك من كل قلبي ــ ان يتاح لروايتك هذه تضافر العوامل لتنال الفوز الذي تستحقه ، وقد وفيت قسطك لها .

اقول هذا ، بعد ان قرأتها مثنى وثلاث ورباع . فاذا بي أجد فيها ، في كل مرة ، متعة ، وفي كل اعادة ، فائدة ولذة . فأدركت عمق غورها عبر بساطة مظهرها ، وفهمت منها معنى السهل الممتنع في الادب التمثيلي . ورأيت رائد الفكر ، وراءها وقبل ابداعها ، يجول ويصول في ميدان الحياة ، فيقتطف منها ما غزر عبرة ، وسما مثالا ، وحسن نكتة ، لينظم عقدا فريدا جميلا « سيعودون » !

فلك مني تهنئة خالصة ، والسلام عليك ممن يتمنى لك اطراد النجاح .

فريد مدور



● اللوحة – تاليف غوغول – ترجمها عن الروسية الدكتور بديع حقي – ١٠٤ صفحة – مطابع دار العلم للملايين بيروت .

● حصاد الاشواك – شعر – لعبد الحسين العبدالله – ٢١٦ صفحة – منشورات المكتبة العصرية صيدا وبيروت – المطبعة العصرية بصيدا لبنان.

● حكايات ذات مغزى – الجزء الاول – للسيد محمد الباقر – ٦٤ صفحة – حجم صغير – منشورات دار الحكمة ببيروت – [لم يذكر اسم المطبعة] .

● مراجع تراجم الادباء العرب – الجزء الاول – تاليف خلدون الوهابي – ٣٣٢ صفحة – حجم كبير – ساعدت وزارة المعارف العراقية على نشره – الشركة الاسلامية للطباعة والنشر ببغداد .

● ادبنا وادباؤنا في المهاجر الامريكية – محاضرات القاها جورج صيدح على طلبة قسم الدراسات الادبية واللغوية في معهد الدراسات العربية العالية لجامعة الدول العربية بالقاهرة – ٣٣٢ صفحة – حجم كبير – مطبعة الرسالة بالقاهرة .

● ديوان منصور شاهين الغريب – قوال المعنى اللبناني من معلقة الدامور – الطبعة الثالثة – وفيه تاريخ فن الزجل اللبناني الحديث وتطوراته . وايضاحاته وملحوظات عليه . وامثلة من اقوال كبار القوالين. وفي آخره مئات الطرف والنوادر الزجلية التي تأخذ بالمجامع مجموعة ومرتبة بقلم ولده – امين الغريب صاحب مجلة الحارس بالبرازيل – ١٦٤ صفحة – حجم كبير – مطبعة صفدي التجارية بسان بولو البرازيل – ويطلب هذا الكتاب وثمنه ثلاثة دولارات من : ادارة مجلة الحارس
Revista Al Haress — Rua Bom Pastor 1302 (Ipiranga) São Paulo — Brasil.

● دراسات ادبية – بقلم الفقيد الدكتور احمد زكي ابو شادي – ٦٢ صفحة – حجم كبير – الحلقة ١٤٧ من سلسلة « مصر وامريكا » – [لم يذكر اسم المطبعة ولا اين صدر] .

● دراسات اسلامية – بقلم الدكتور احمد زكي ابو شادي – ٤٠ صفحة – حجم كبير – الحلقة ١٤٦ من سلسلة « مصر وامريكا » [لم يذكر اسم المطبعة ولا أين صدر] .

● المجيز على الوجيز ومباحث اخرى – تاليف محمود الملاح – ١٤٤ صفحة – مطبعة السجل ببغداد .

● طريق ابي الخصيب – شعر – لعبد الجبار داود البصري – ٢٠٦ صفحة – مطبعة الخبر التجارية بالبصرة العراق .

● مات حجر وقصص اخرى – تاليف محمد سعيد معروف – ٣٢ صفحة – منشورات جريدة الصراحة بالخرطوم – مطبعة الصراحة الخرطوم السودان .

● كنت في مراكش – تاليف ماجد غنما – ١٠٣ صفحة – دار النشر والتوزيع والتعهدات بعمان – مطابع شركة الطباعة الحديثة بعمان الاردن.

● عودة لقمان – الجزء الاول – كتاب في حكمة الانسان بلسانه وعلى لسان الحيوان وسائر الكائنات – تاليف اديب عباسي – ١٨٠ صفحة – مطبعة الحسين بعمان الاردن .

● التربية بواسطة الاذاعة : الاذاعة المدرسية – تاليف روجيه كلوس – سلسلة الابحاث التي تنشرها اليونسكو عن الصحافة والافلام والاذاعة في العالم الحاضر – ٨٩ صفحة – منشورات منظمة الامم المتحدة للتربية والعلم والثقافة بباريس – المطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٩٥٥.

● شروح في الاقتصاد القومي الاجتماعي – ١٦٨ صفحة – مطابع لبنان بيروت .

● مراحل المسالة الفلسطينية – تاليف سعادة – ٩٧ صفحة – مطبعة الجهاد بيروت .

● مختارات من الادب البصري الحديث – لبدر شاكر السياب وزكي محمد الجابر وسعدي يوسف ومصطفى عبد الحميد وعبد الجبار داود البصري وعبد الحسين علي الشهباز ومحمد جواد الموسوي – ٧١ صفحة – مطبعة الاديب بالبصرة العراق .

● مي زيادة في مذكراتها باشراف جميل جبر – سلسلة الروائع العالمية الكتاب ٦ و ٧ – منشورات دار الريحاني للطباعة والنشر [بيروت] .

● الجرشة – قصيدة شعبية منظومة على نسق مجرشة المرحوم الكرغي – لعبد الامير الناهض – ٢٦ صفحة – حجم صغير – مطبعة المعارف ببغداد

● رباعيات – شعر لعبد الرزاق حسين – ٦٨ صفحة – حجم صغير – مطبعة الخبر التجارية بالبصرة العراق سنة ١٩٥٥.

● التنظيم والاعمار – للمحامي جليل قسطو – ٥٦ صفحة – حجم صغير – المطبعة العربية [نرجح انها في بغداد] سنة ١٩٥٥ .

● نظرة عامة في الاعمال الثقافية لجامعة الدول العربية ١٩٤٦ – ١٩٥٦ – منشورات الادارة الثقافية بالجامعة – ٦١ صفحة – دار الهنا للطباعة والنشر [لم يذكر اين ؟]

● ميناء القدر – قصة بيروتية – تاليف فكتور حكيم – ٨٧ صفحة – حجم كبير – مع مقدمة بقلم سعيد عقل – مطابع الدنيا ببيروت سنة ١٩٥٥ .

● بدلا من الخوف الاشتراكية والديموقراطية – تاليف انورين بيفان – ترجمة وتقديم كامل زهيري – ٢٢٨ صفحة – منشورات دار النديم – مطبعة الدار المصرية للطباعة والنشر بالقاهرة .

● طيبه – شعر – لعبد الرزاق عبد الواحد – ٦١ صفحة – مع مقدمة بقلم عبد الوهاب البياتي – مطبعة الرابطة بغداد .

● موطن الاحلام اسبانيا – تاليف عماد الدين التكريتي – ١٦٠ صفحة مزين بالصور – مطبعة العلوم والاداب [لم يذكر أين ؟] .

● العالم بين دفتي كتاب : دراسات في فن القراءة – من كتاب الفريد ستيفرود – ترجمته بتصرف واضافت اليه الدكتورة سهير القلماوي الاستاذة بكلية الاداب بجامعة القاهرة – ٣٢٨ صفحة – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر – مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة – مطبعة مصر بالقاهرة .

● Vies des Saints musulmans — par Emile Dermenghem — Nouvelle Edition revue et continuée — 425 pages — Collection La Chamelle Publiée sous la Direction de François Bonjean — Editions Baconnier — Alger.

● Méditations Poetiques — Tome 11 — Egypte, amour, religion, science, arts etc. — Par Félix Léon Lauréat de l'Académie Française — 158 pages — Imprimerie La Patrie, Le Caire.



الاستشراق في الولايات المتحدة ومراكزه الكبرى

بقلم يوسف اسعد داغر

●

نظرة عامة

الولايات المتحدة الاميركية هي من هذه الدول الحديثة العهد والنشأة . فقد كان اهتمامها بالشرق وحضاراته الغابرة ومدنياته السحيقة وئيدا جدا في باديء الامر، ثم اخذ ينمو ويشتد بنمو مقومات تلك الدولة واشتداد ساعدها ، وتفتحها ، حكومة وشعبا ؛ على المدى الدولي بما يتفق ووعيها القومي المتزايد ، وامتداد مصالحها الحيوية الى هذا الشطر من مشارق الارض ملتقى قارات العالم القديم ، واعراقها فيه اقتصاديا وسياسيا وثقافيا وستراتيجيا .

واول ما اهتم له الاميركيون من شعوب الشرق وتاريخه السحيق ومظاهر مدنياته المتعاقبة ، اهتمام بدروس الكتاب المقدس في ديرهم ، والعناية بدراسة تاريخ وبلدانية هذه الشعوب والاقطار التي كانت ، من قبل ؛ مسرحا لحوادث الكتاب المقدس ، في عهديه القديم والجديد .

واهتمام الاميركيين بالشرق يزداد ويتعاظم على أثر الارساليات الدينية والتبشيرية التي انشاوها في ربوع الشرق الادنى ، ابتداء من الثلث الثاني من القرن التاسع عشر ، وبما قاموا بتأسيسه الى جنب هذه الارساليات ، من كنائس ومعابد ومعاهد تربوية للذكور والاناث ، تبلورت وتجسمت في الربع الاخير من القرن التاسع عشر بتأسيس الكلية السورية الانجيلية التي اصبحت فيما بعد ما نعرفه اليوم بالجامعة الاميركية في بيروت وغيرها من المعاهد الجامعية الكبرى ينشئونها في مدائن الشرق الكبرى كالاستانة وازمير، واثينا والقاهرة هذا اذا شئنا ان نقتصر من ذكر هذه المعاهد على الجامعية منها .

وهذا الاهتمام تبديه اميركا بالشرق ، بلغ أشده ، في اعقاب الحربين العالميتين الاولى والثانية ، ولا سيما الاخيرة منهما ؛ بعد ان اتسعت المصالح الاميركية في هذه الربوع ولا سيما مصالحها الاقتصادية والتجارية في هذه الرساميل الجبارة التي يشغلونها باستثمار ثروات الشرق الدفينة ، من الذهب الاسود الممثل بهذا المخزون من مادة البترول الثمينة. وهذا الاهتمام البالغ تبديه اميركا بالشرقين الادنى والاوسط ، يزداد نشاطا ، بعد ان رات الاتحاد السوفياتي ينظر اليه ؛ ويحاول ما استطاع تمكين صلاته به .

ومحافظة من الاميركيين على مصالحهم المتعددة الموغلة في الشرقين الادنى والاوسط ، أخذت دور العلم الجامعية عندهم ، تعنى عناية خاصة ؛ بتدريس تاريخ البلدان الشرقية ، قديمة وحديثة ، واستطلاع ما خفي وما استتر من اسرار تلك المدنيات والحضارات التي ازدهرت متعاقبة في ديار الشرق دانيها واقاصيها . كذلك اخذ عدد كبير من رجال المال والاعمال الاميركيين ومن البيوتات التجارية الجبارة والشركات الصناعية والمالية فياميركا ، تسبل المنح الطائلة على من يرغب من الاميركيين في التخصص بتاريخ الشعوب الشرقية ولغاتهم وشتى مظاهر مدنياتهم الغابرة . فنشات من هذه الحركة الخيرة مبرات جبارة اوقفت الهبات وانفقتها عن سعة في سبيل تشويق الاقبال على الدراسات الشرقية بين الاميركيين في اي حقل من حقول العلم والفن والادب والمعرفة . وعدد كبير من الجامعات الاميركية الكبرى الى اجراء تعديلات مهمة على مناهجها وبرامجها تحاول تقوية كل ما يتصل من هذه المناهج بتاريخ الشرق وشعوبه قديما وحديثه حتى ان هذه الحركة في تطوير المناهج التربوية بلغت بعض المعاهد الثانوية التي زادت مؤخرا من حصص الدراسة في البرامج المخصصة لتاريخ الشرق ومدنياته الغابرة .

وقامت بعض هذه الجامعات تنشيء فيها ، معاهد خاصة لدراسة الشرق ، ظهر بعضها منذ نحو خمسين سنة واكثر ، كمعهد شيكاغو الشرقي ؛ ومعهد الشرق الادنى في برنستون . وزاد الاقبال على انشاء مثل هذه المعاهد ، بعد الحرب العالمية الثانية تؤمن لها الجامعة ، بفضل ما تلقاه من مؤازرة المبرات الانسانية الكبرى كمبرة كارنجي ، ورركفلر ، وفورد ؛ خير الخبراء والاخصائيين بالشرقيات في اميركا او في الخارج وتزودها بخزائن الكتب الخاصة التي ترفل بالخير من الاصول وامهات البحث والمراجع وغير ذلك من المسهلات .

وفي هذا السبيل انشا الاميركيون العديد من المتاحف والمعارض الشرقية جمعوا لها مجاميع غنية من مخلفات الشرق الفكرية والثقافية والفنية واسبلوها على رجال البحث يغترفون من مجاميعها ويعبون من معينها ما طاب لهم الاغتراف والعب . وفي هذا السبيل ايضا قام الاميركيون ينشئون النوادي والجمعيات العلمية الشرقية يقفون نشاطها على دراسة الشرق في شتى مظاهر تاريخه . كذلك عمدت بعض شركات البترول الاميركية التي تعمل في الشرق ، كالارامكو مثلا ، الى انشاء مراكز للبحث العلمي ؛ أمدتها ادارة الشركة ، بالخبراء والثقاة من رجال البحث العلمي في المشرقيات من الاميركيين .

ونحن نعتقد وطيدا ، انه لن يمر طويل وقت حتى يطلع على اميركا من بين الاميركيين ، جيل من كبار الاخصائيين في المشرقيات يقبلون على مدارسة الشرق وتظهير معمياته الخفية بروح جديدة ووسائل جديدة هي اروع وادهى ما هيا العلم للان من مناهج ووسائل ، بحيث تقطع العلوم المشرقية على ايديهم ، مراحل جديدة من التطور والرقي .

وهذه الدراسات الاستشراقية التي يؤمن لها المنهاج الدراسي العام في الجامعة ، تتوزعها بضعة دوائر من الدوائر العامة في الجامعة . تتناول بعضها دراسة اللغات ومظاهر الثقافة العامة والتاريخ ، كما يتناول البعض الاخر دراسة الحالة الاقتصادية في البلدان الشرقية، وجغرافية هذه البلدان ومناهج الحكم المتبع فيها . وبعض هذه الجامعات تعطي خريجيها من طلاب التخصص بالمشرقيات شهادات جامعية كاستاذ علوم او دكتوراه .

واخذا بهذه العلوم والمواد الدراسية وتسهيلا في تحصيلها أعدت مكتبة الجامعة ، اقساما خاصة بالشرق ، تحفل بعشرات الالوف من الكتب والمؤلفات التي تمت بصلة البحث لهذه الموضوعات ، بينها الامهات والاصول من المراجع والمصادر ، يعود اليها من يرغب فيها من الاساتذة والطلاب . وقد بلغ بعض هذه الخزائن من الفن في مجموعاتها الشرقية ، حتى ما كان منها بلغة البلاد المعنى بدراسة لغتها ومدنيتها وتاريخ حضارتها ، ما ليس يتوفر مثله في كثير من مكتباتنا في الشرق .

وعدد كبير من هذه الجامعات توفر للعديد من طلابها المستشرقين منحا مدرسية ومساعدات مالية طائلة تجعل صاحبها بمأمن من العوز ، فيقبل على دراساته ومواد تخصصه بكل جوارحه . وكثيرا ما تمكن الجامعات الاميركية ، المستشرقين من طلابها ، من الرحلة الى الشرق والعمل على التتبع العلمي فيه ، بحيث يكونون على اتصال مباشر بالشعوب والاقطار التي يدرسون طبائع اقوامها ومظاهر تاريخها وحضارتها في ما بدا من اثر على حجر ، اومن

حرف مزبور في آجرة او على درج او ملف طمست معالمه او كادت .

اهم معاهد الاستشراق في اميركا

وهنالك عدد من الجامعات في اميركا تقصر امر الاهتمام بالشرقيات فيها ، على بعض النواحي الخاصة ، نستعرض فيما يلي ابرزها نشاطا واسيرها شهرة .

جامعة بنسلفانيا

في هذه الجامعة دائرتان تعنيان بدراسة الشرق ، تهتم الاولى منهما بتاريخ البلدان الواقعة الى الجنوب من القارة الاسيوية وبلدانيتها ، كما تعنى الثانية منهما بالدراسات المتعلقة بالشرق عامة .

تضم الاولى بين عمدتها ١١ استاذا و١٠ اساتذة معاونين وغيرهم من الاساتذة الزائرين. وتعنى هذه الدائرة ، بنوع خاص بالانثروبولوجيا ، والفنون الشرقية والاقتصاد السياسي والجغرافية والتاريخ واللغات والادب والعلوم السياسية ، وعلم الاجتماع ، في كل من الهند ؛ والباكستان ؛ وافغانستان ، وسيلان والينبال . اما اللغات التي تعنى هذه الدائرة بها فهي : الهندية ، والاوردية والبنغالية ، والسنسكريتية ؛ والبالي والبراكريت والفارسية والعربية والملاوية .

وتضم مكتبة جامعة بنسلفانيا مجموعة كاملة من جرائد ومجلات تلك البلدان بكل لسان من هذه اللغات المذكورة ، كما تملك مجموعات غنية جدا من الخرائط والمصورات الجغرافية، واهم الاصول والمراجع الاساسية التي لا غنى عنها في كل ما يتصل بهذه الدراسات المتشعبة الوجوه والمناحي ، وكثيرا ما تستدعي الدائرة المذكورة من الخارج مشاهير الاخصائيين والعلماء الاعلام ليحاضروا الطلاب بموضوعات اختصاصهم مما يتعلق بالتربية والبحث العلمي والفنون والصحافة وحركة الاعمال .

اما الدائرة الثانية ، وهي دائرة المشرقيات، فيقصدها من يرغب من الطلاب التخصص في حقول العلوم الاستشراقية : كعلم الاثار والثقافة الهامة والتاريخ واللغات ، ولا سيما القديمة منها . ويقوم على هذه الدائرة نحو من ١٣ استاذا اخصائيا يلقنون طلابهم ما يتعلق بالهند وايران والعجم ومصر ، وسوريا وبلدان الشرق الاقصى . وتعنى هذه الدائرة بتدريس اللغات الايرانية والهندية ، والسنسكريتية ، والهند الاوربية ، والدرافيدية ، والفارسية والصينية والبراكريت والبالي، والعربية والارامية والاكادية والحورية والاوغاريتية والعبرية واليابانية . وفي الجامعة متحف غني ثري يضم مجموعات ضخمة من الاثار التي تمت بصلة لهذه الاقطار .

جامعة شيكاغو

هي من الجامعات الاميركية المشهورة التي يعنى معهدها الشرقي على الاخص بمدنيات الشرق القديم والحضارات التي توالت عليه مزدهرة ، مما طلع على مصر او أشرق في اقطار اسيا الغربية . كل هذه الدروس وقف على دائرة جامعة شيكاغو الشرقية للاداب والفنون .

والمعهد المذكور عماده ٣٨ استاذا من كبار الاساتذة والمستشرقين الاميركيين ، يدرسون تاريخ مصر وفلسطين ، وسوريا واناضوليا ؛ واشور وبابل ؛ والبلاد العربية والعجم والهند والصين . فلطلابه الخيار بانتقاء ما يرغبون فيه من اللغات الشرقية كالقبطية والمصرية القديمة والحبشية في مختلف ادوار تطورها ، والعبرية والفارسية والسنسكريتية والارامية والسريانية والاكادية والسومرية والحثية والعربية والعجمية والافستية . ولهذا المعهد مكتبة ثرية تضم نحوا من ٣٠ الف مجلد ، بينها الاصول المهمة التي تتعلق بتاريخ هذه البلدان والسنتها وفنونها وعادياتها وآداب الشرق الادنى .

وهذه الدائرة تتعاون الى حد بعيد ومعهد شيكاغو الشرقي . وهذا المعهد عبارة عن مؤسسة علمية خاصة منقطعة للبحث في ما يتصل بمدنيات الشرق الادنى .

ولاساتذة دائرة المشرقيات في جامعة شيكاغو الحرية التامة للافادة من كل ما يتوفر من مصادر واصول في مكتبة المعهد الشرقي ، هذا المعهد الذي يضم ايضا متحفا اثريا غنيا بمجموعاته المختلفة وبما فيه من الوثائق التاريخية المهمة .

معهد دروسي للشرق الادنى
في جامعة فيلادلفيا

هو معهد يعنى بدراسة تاريخ اسرائيل (العبرانيين) وتاريخ بلدان الشرق الادنى . وله مكتبة غنية تضم اكثر من ٦٦٠،٠٠٠ مجلد ، بينها مجموعة من المخطوطات الشرقية تمكن الباحثين من الانصراف للتتبع في كل ما يتعلق بالشرق الادنى ، قديمة وحديثة ، وتاريخ العبرانيين والمدنية الاشورية والمصرية واللغات السامية على اختلاف اقلامها ولهجاتها .

جامعة كولومبيا ومعهد الشرق الاوسط فيها

انشات جامعة كولومبيا ، هي ايضا ، في الآونة الاخيرة ، معهدا يعنى بالدراسات الخاصة بالشرقين الادنى والاوسط ، يضم دوائر شتى واقساما مختلفة تقف نشاطها على الابحاث التي تدور حول اسرائيل وايران وباكستان وتركيا وغير ذلك من بلدان الشرقين الادنى والاوسط .

معهد الدروس الشرقية في جامعة هارفرد

انصرفت جامعة هارفرد من جهتها هي ايضا بعد الحرب العالمية الثانية ، لانشاء معهد للدراسات الشرقية اسندت رعايته الى الاستاذ الكبير لانجر . وقد انتدبت الجامعة، المستشرق الانكليزي الكبير جب استاذ اللغة العربية في جامعة اكسفورد ليتولى ادارة المعهد المذكور . والمعروف ان البروفسور جب خلف المرحوم برحليوث في تولى استاذية العربية في تلك الجامعة . ومن المنتظر ان تنشط الدراسات الاستشراقية في المعهد المذكور وان تنتدب للعمل فيه شخصيات علمية بارزة . وقد بلغنا ان الدكتور نقولا زيادة احد اساتذة قسم التاريخ في الجامعة الاميركية ببيروت انتدب للعمل في معهد هارفر الشرقي خلال السنة المدرسية ١٩٥٦–١٩٥٧ .

المعهد الشرقي في جامعة جونز هوبكنز

ولجامعة جونز هوبكنز معهد للدراسات الشرقية اصغر شانا من المعاهد التي اشرنا اليها . وفي المعهد المذكور فرع خاص بالدراسات الدولية وفقا لمنهاج خاص بالدول القائمة في الشرق الادنى . وللمعهد المذكور خزانة غنية بالاصول الشرقية بعضها قائم في مدينة بلطيمور ، والبعض الاخر في مدينة واشنطون العاصمة .

والفرع القائم في العاصمة واشنطون يتمتع اليوم بشهرة واسعة في دنيا الاستشراق في اميركا يضم نخبة ممتازة من كبار الاساتذة ورجال البحث بينهم صديقنا الدكتور مجيد خوري الذي عرف بمؤلفاته الحقوقية وابحاثه في بعض نواحي التاريخ الشرقي الحديث بالعربية والانكليزية .

جامعة ميشيفن والدائرة الشرقية فيها

تعنى جامعة ميشيفن عناية ملحوظة بالدراسات الشرقية ، فانشات في هذا السبيل دائرة خاصة اقصرت بروغرامها واوقفت نشاطها على المشرقيات وراحت تستفيض في تامين الابحاث والدراسات القصية في تاريخ مصر وافريقيا الشمالية وفلسطين وسوريا وتركيا والجزيرة العربية والعراق وايران . اما اللغات التي تعنى الجامعة بتدريسها فكثيرة ، منها العربية بلهجتيها العامية واللغوية والكردية والفارسية العامية واللغوية ، والعبرية الكتابية والحديثة والارامية ، والبابلية والاشورية ، والسنسكريتية والفينيقية حسب لهجة اوغاريت اما موضوعات التخصص التي يتدرج الاختصاصي فيها فتتراوح بين بكالوريوس علوم ودكتور في العلوم ، وتتناول الانثروبولوجيا ،

وعلم الآثار والبيليوغرافيا والاقتصاد والفنون الجميلة والجغرافيا والتاريخ والفقه الاسلامي وعلم الالسن العامية والالسنية السامية ، واللغات والادب ، والعلوم السياسية والدين والفلسفة .

والمتخصص بهذه الدراسات او الموضوعات العامة ، يعطى تسهيلات خاصة تمكنه من السفر الى بلدان الشرق ، حيث يقوم بتتبعاته العلمية بتوجيه بعض اساتذته يقضون في حرثها ودرسها سنة او اكثر يكونون فيها على اتصال وثيق بالقطر او البلد الذي يدرس التلميذ تاريخه ويتتبع لما بدا من مظاهر حضاراته في شتى ادوار تطوره .

جامعة برنستون ومعهدها الشرقي

برنستون من ارقى جامعات الولايات المتحدة ومن ابرزها اثرا في تطوير الاستشراقيات في تلك البلاد . وهي من السابقات بين الكبريات في الجامعة الاميركية الى انشاء معهد خاص فيها يعنى بتاريخ بلدان الشرقين الادنى والاوسط ولعلنا لا نعدو الحق والحقيقة اذا ما صرحنا هنا ان هذا المعهد الشرقي في جامعة برنستون هو مدين في ما حققه من تطور في حقل الاستشراق الى علامتنا اللبناني المؤرخ الطلعة الكبير الدكتور فيليب حتي احد مفاخر لبنان في المهاجر الاميركية . والدكتور حتي هو خريج جامعة برنستون نال منها الدكتوراه وعهد اليه فيما بعد بتدريس التاريخ الشرقي ، ثم رئيس الدائرة الشرقية فيها ، فعمل بما اوتيه من قوة الخلق والابداع ، على تطوير مناهج الدراسة فيها ورفع مستواها وتنويع موضوعاتها وموادها . وقد توفق بفضل جهوده المتصلة وصلاته الخيرة المثمرة الى مد المعهد الشرقي في برنستون ، الى جانب الدائرة العربية بدوائر اخرى خاصة بالفارسية والتركية . فرعاها بما عرف عنه من عزم وحزم وجلد وغيرة الى ان اوصلها الى ما نراها عليه اليوم من رفعة الشان والمنزلة .

ومكتبة برنستون الجامعية تملك قسما شرقيا هو من اغنى ما قام من امثاله في الولايات المتحدة يضم اهم الاصول واحدث المصادر والمراجع التي لا يستغنى عنها باحث يود الاستبحار في مجاهل الدراسات الاستشراقية ولا سيما ما تعلق منها ببلدان الشرقين الادنى والاوسط وتاريخها عبر الاجيال وقد عرفت خزانة برنستون الشرقية بمجموعة مخطوطاتها العربية ، وهي مجموعة تضاهي بعددها واهميتها اهم المجاميع التي تحفل بها المكتبات الكبرى في الغرب كمكتبة باريس الاهلية والمتحف البريطاني ومكتبة الفاتيكان . وهي تعرف عندهم بمجموعة « غاريت » .

وقد فهرس لقسم من مجموعة المخطوطات هذه ، الدكتور نبيه فارس استاذ التاريخ الشرقي في الجامعة الاميركية ببيروت اليوم ، في دليل خاص اشترك بوضعه تحت اشراف الدكتور فيليب حتي ، مع الدكتور نبيه فارس ، الدكتور بطرس عبد الملك فوضعوا بالتعاون المشترك دليلا ظهر مطبوعا عام ١٩٣٨ في ١٣ + ٦٦٦ صفحة من قطع الربع ، مع ٢٣ + ٥٦ صفحة للفهارس والمسارد المختلفة . وقد وصفوا فيه ٢٢١٣ مخطوطا عربيا كسروها على ٥٦ بابا من ابواب العلم (١).

ومن بين مشاهير اساتذة جامعة برنستون والدائرة الشرقية فيها في السنوات الست الاخيرة الدكتور بيرد ضودج الذي شاء الا يحرم طلاب جامعة برنستون من علمه الواسع واختباراته الثمينة اثناء رئاسته للجامعة الاميركية في بيروت ، فقبل مركز استاذ محاضر فيها .

جامعة كاليفورنيا ومساهمتها الاستشراقية

ولجامعة كاليفورنيا التي تعد فروعها الاربعة الكبرى اكثر من ٤٠ الف طالب عمل ومسعى كريمان في حقل الاستشراق والتمكين لاسبابه في اميركا . وقد اشتهرت بركلي بنشاط مرموق من هذا القبيل تمثل على اتم وجه في العمل الاستشراقي الكبير الذي حققه المستشرق الاميركي بوبر ، والذي له في عداد مآثره البارزة في هذا الحقل ، ترجمته الى الانكليزية لتاريخ يوسف بن تغري بردي الكبير المعنون : « النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة » .

ويحاول فرع الجامعة القائم بمدينة لوس انجلس في الجنوب من ولاية كاليفورنيا ، ان ينشيء هو ايضا معهدا للدروس الاستشراقية كما اعلمنا بذلك الدكتور بوال ، مدير مكتبة جامعة لوس انجلس .

معاهد استشراقية اخرى

وهنالك غير ما ذكرنا ، معاهد للدراسات الشرقية لها من المرتبة دون ما استعرضنا له من معاهد مختلفة ، تقوم على اقدار مقسوطه وجهاد ملحوظ ، نجد فيه تاريخ الشرقين الادنى والاوسط في ما تبدى من مظاهر مدنياتهما عبر التاريخ . ففي كل من جامعات روشستر ونيويورك وكنساس معاهد خاصة او بالاحرى اقسام خاصة بالدروس الاستشراقية يعنون فيها عناية مرموقة .

وبعض الجامعات الاميركية تعنى عناية خاصة ببعض نواحي المشرقيات فتكرس لها القسم الاوفر من اهتمام الاساتذة فيها والطلاب الذين ينصرفون الى تجلية الموضوع والاستبحار بمجاهله . وتتحمل الجامعة احيانا بطيبة خاطر نفقات المنشورات العلمية التي تصدرها في ناحية من نواحي البحث العلمي والتتبع ، بحيث يصبح في مقدور رجال البحث ان يفيدوا من هذه الدراسات والجهود المبذولة في سبيلها .

وهنالك اليوم امكانيات كثيرة تتوفر لمن يرغب من الاميركيين الاستبحار بالشرقيات والتخصص في ناحية من نواحي العلوم الاستشراقية ، وهي امكانيات تتوفر على احسن وجه في هذه المنح العديدة التي توزعها الحكومة الاميركية ولا سيما المؤسسات والمبرات الاميركية الكبرى ، والجمعيات الخيرية وبعض المحسنين من هؤلاء الانسانيين . وقد اشتهرت مؤسسة فورد والمجلس الاميركي للدراسات الاجتماعية ، والمعهد الدولي للتربية والتعليم ومؤسسة روكفلر وغيرها من المنظمات الاميركية الاخرى ، بالوقوفات السخية والمنح الفنية التي اسبلتها ولا تزال تسبلها بكرم حاتمي ، على الراغبين من الاميركيين بالتخصص بالمشرقيات.

معهد هوفر ومكتبته

ومن بين هذه المؤسسات العلمية الاميركية الحديثة المعهد بعنايتها بالشرق والاهتمام بدراساته ، معهد هوفر ومكتبته وهو معهد ينصرف جاهدا الى جمع اقصى ما يمكن جمعه من المراجع والاصول المهمة التي تتعلق بتاريخ الشرق الحديث في شتى مظاهر حياة الشعوب والامم . وقد اشتهر هذا المعهد الذي نشا بفضل وقفية اوقفها عليه هربرت هوفر ، رئيس اميركا الاسبق ، بخزانته الشرقية الغنية بالاصول والمراجع المهمة بالتركية والعربية والفارسية . وهذه المجاميع تؤلف اليوم ، وحدة ثقافية تساعد بما فيها من الامهات والاصول ، على تتبع تاريخ الشرق الحديث ، وتفهم المشكلات والقضايا التي تعترض تاريخ الشرق الحديث ، وتفهم المشكلات والقضايا التي تعترض تاريخ الشرقين الادنى والاوسط في تطورهما الصاعد والذي لدينا ان هذه المكتبة هي اليوم احسن الخزائن الاميركية واتمها من حيث النوع والعدد وقوة مجاميعها لدراسة الشرق الاوسط في تاريخه الحديث .

وقد نال معهد هوفر ومكتبته منذ ٣ سنوات هبة سخية قدرها مليونا دولار اميركي وهبتها مؤسسة فورد لتتمكن ادارة المعهد من فهرسة وتنسيق المواد العلمية الشرقية المتكدسة في خزائنه . وقد ساهمت بهذا العمل في ما يتعلق بالقسم العربي احدى الانسات اللبنانيات من اسرة مبيض .

من هذه العجالة يتبين للقارىء كيف ان الدراسات الشرقية في اميركا اخذت تحل محلا مرموقا من مناهج الجامعات وبرامجها التعليمية وفي سبيل النهوض بهذا كله وتسهيل الغوص

(١) راجع فيه وصفا تحليليا مسهبا في كتابنا : « دليل الاعارب الى علم الكتب وفن المكاتب » ص ١٤٦-١٥٠

في مجاهل البحث الاستشراقي اعدت الجامعات الاميركية ومعاهدها الاستشراقية ما اعدت من برامج موسعه ، تنفق عليها عن سعة وتقف على ما يبغي التخصص فيها المزيد من الهبات والمساعدات المالية الطائلة مما يبشر بطلوع فجر جديد على الاستشراق في اميركا تصبح معه تلك البلاد في طليعة الدول التي تعنى بحثا وعلما بالمدنيات الشرقية منذ العهد القديم حتى اليوم .

يوسف اسعد داغر

استفتاء « صوت الشباب »

•

صوت الشباب مجلة ادبية تصدرها جمعية الشباب العربية بالقسم الاستعدادي في الجامعة الامريكية ببيروت وهي واسعة الانتشار في اوساط الطلاب المختلفة راقية الابحاث انيقة الاخراج . وقد قامت صوت الشباب باستفتاء رؤساء تحرير المجلات الادبية التي تصدر في لبنان ونشرت الردود في عددها الاخير . اما الاستفتاء فيتناول ما يلي :

تاريخ صدور المجلة ، الغاية الاساسية من صدورها ، هل توصلت الى القيام لتادية رسالتها ؟ هل انتم راضون عن سيرها ؟ هل تفكرون ببعض المشاريع في سبيل تقدمها ؟ ما رأيكم في عدد المجلات التي تصدر في العالم العربي ، ونوعيتها والى اي حد تؤدي رسالتها نحو قرائها وبلادها ؟

وفيما يلي رد منشىء الاديب :

صدرت مجلة الاديب في اول كانون الثاني ١٩٤٢ وقد جاء في افتتاحية عددها الاول كلمة تعريف عن الغاية الاساسية من صدورها قلنا فيها :

« لقد رأينا الحاجة ماسة الى سد ما يحسب بحق فراغا في مكتبة الاديب العربي ، فالهمنا ان نساهم في ذلك بمجلة تطمح الى ان تكون معرضا للانتاج الفني والادبي والعلمي ، ومنبرا للراي السياسي المنبثق من العقيدة الصادقة والايمان الخالص ، ثم لا تلبث ان تصير همزة الوصل بين اقطاب الفكر الحر في الاقطار العربية جمعاء . »

* * *

لقد شعر القرّاء معنا بمدى الجهود التي بذلناها للتغلب على العقبات التي لا بد ان تلاقيها الأعمال الادبية ، وليس لنا ما نشكوه فان التشجيع الذي صادفناه في مختلف الاقطار العربية كان خير حافز لنا على المضي قدما ، وليس ادل على هذا التشجيع من المساهمة الادبية التي يتكرم بها علينا الادباء في كل قطر عربي .

ان حياة الادباء كفاح ، وحياة الصحيفة الادبية كفاح اشد واعنف ، وفي ميادين متعددة ... كافحت الاديب الابتذال الذي تروج له الصحافة الخفيفة بشتى وسائل الاغراء وكافحت العدوان الذي يرمى به العرب عن طريق الفكر وباسم الامانة العلمية ، فهي دائما تتلمس الادب الرفيع والثقافة العالية فتقدمهما على ايسر سبيل ، ونحن نعمل وننادي ابدا بالسير صعدا في اتجاه حياة حرة في اتجاه حياة سعيدة لا نفتأ ندل القارىء على الطريق. مهما اعترضنا في سبيل هذا من عنت وتصعب وجهد. فالعمل للحياة الناشطة ليس سهلا ميسورا

فاذا نجحت الاديب بان تظل صوتا للادب والفكر والمبادىء الصحيحة في الاقطار العربية جميعها في هذه الفترة التي قل فيها الانصراف الى الادب فاننا لنعتبر انفسنا سعداء، فالاديب ، كالعهد بها ، تشق طريقها وتعمل في جو بعيد عن الضجيج والدعوى والفاخرة، وهي تحاول دائما ان تكمل سيرها في طريق التقدم معتمدة على قرائها وكتابها وحسب .

* * *

اكتفي بالرد على اسئلتكم الخاصة بالاديب، واغتنم المناسبة لاقدم لكم اخلص التهاني على الجهود الطيبة التي تبذلونها في مجلتكم « صوت الشباب » التي تنبض بالحياة والحركة والارادة متمنيا لكم التوفيق راجيا ان يرتفع صوتكم « صوت الشباب » عاليا لتساهموا مساهمة قوية مثمرة في النشاط الادبي والثقافي .

البير أديب



[تتمة المنشور في صفحة ٧]

كانت قد اتضحت في القرن السابع عشر ، حينما شجب الكويكريان جورج فوكس George Fox وباركلي Barclay جميع العادات والتقاليد استجابة للرؤية الواضحة التي يطالعنا بها « الضوء الداخلي » . وبينما ظل الكويكريون مخلصين للتقليد المسيحي وحدهم دون سائر الفرق المسيحية ، كما يدعون، نراهم باسم ممارستهم الخاصةلصوت الاله ، يقفون في وجه الملوك والاساقفة كما لم يقف قط حتى الكالفينيون انفسهم . وبينما بدأ انصار مذهب التقوى الالمان وانصار المذهب الانجيلي الانكليز كحركتين ضمن كنيسة الدولة ، اذا هما تزدهران وتصبحان المنظمتين المستقلتين : « الاخوان المورافيون » و « الكنيسة المنهاجية الميثودية » . ولما اخذ الشعور والحدس يظهران في الميدان السياسي والاجتماعي ظلا دائما تقريبا حتى قيام الثورة في صف ثورة الطبقة الوسطى على النظام القديم . ذلك ان الرومانطيكيين والعقليين مهما اختلفوا فقد اتفقوا على أمر واحد : هو الايمان بالفردية . ولذلك كان كلا الفريقين بمثابة التعبير الفكري عن مطامح الطبقات التجارية الفردية ، فكان روسو وبنثام ولوك يجمعهم أمر واحد : وذلك هو مناداتهم بالتحرر من القيود الحكومية . وقد جاءت النزعة الرومانطيكية لتشد ازر النقد العقلي للتقاليد ولتضيف نارا الى نور العقل الساطع ، ولئن كان العقليون لا يتوخون العقل دائما ، فان الرومانطيكيين ايضا لم يكونوا يتحاشون العقل دائما . لذلك كان بالوسع ان يقوم تعاون بين الفريقين ما دام هناك حافز مشترك ، هو كره النظام القديم ، وما دامت هنالك مصلحة مشتركة وهي مطالب الطبقات الوسطى .

كانت الحركة الرومانطيكية في اول الامر تضيف في كل مكان وقودا الى النيران التي أشعلها انصار المذهب العقلي. ففي فرنسا كان روسو، وفي المانيا كان الشعراء الثائرون الملقبون بشعراء «العاصفة والتوتر» Storm and Stress أعني غوت في مؤلفه جويتز فون برلخينجن Gοetz von Berlichingen ١٧٧١ وشيلر في مؤلفاته: قطاع الطرق The Robbers ١٧٨١ . ومهزلة Fiesco والمؤامرة والعاطفة Plotond Passion ١٧٨٤ وفي انكلترا نجد كولبريدج في القسم الاول من قصيدته عن فرنسا Ode to France ، ووردزورث Wordsworth في مؤلفه الثورة الفرنسية French Revolution شيلي الثائر دائما مؤلف الملكة ماب Queen Mab وهيلاس Hellas وانطلاق بروميثيوس Prometheus Unboud نجد هؤلاء كلهم بله Byron وفي امريكا نجد صاحبي النزعة الفردية المتعالية أيمرسون Emerson وثورو Thoreau كل هؤلاء اخذوا ينشدون اناشيد تنطوي على ثورة بروميثية Promethean بوحي من التبدلات الاجتماعية الجذرية التي كانت تجري في نهاية القرن .. كان الشعراء يصوغون في قصائد غنائية المشاعر التي كانوا يحسونها ازاء المبادىء التي يطلع بها العلماء العقليون .

التبرير العقلي للايمان

بينما كانت هذه الميول المتحمسة للايمان وللحدس التصوري آخذة في الانتشار لدى الطبقات الدنيا وبين الفنانين والشعراء ، كان المثقفون من رجال عصر التنوير يظهرون ترددا في التخلي عن العقل ، اذ لم يكن الايمان بعد قد نال منزلة الاحترام الفكري . فقبل أن يتمكن المفكرون من هجر الطريقة العلمية المقبولة ، كان لا بد من ايجاد وسيلة لاقامة الدليل العقلي على ضرورة دعم العقل بأداة اخرى من ادوات المعرفة . والحق ان Hume بدا وكأنه قد هدم الطريقة العقلية كلها ، لكن الناس الذين كانوا قد شاهدوا علما واسعا للطبيعة والطبيعة البشرية ينهض امام اعينهم ، مهما كان شعورهم بعدم جدوى الطريقة العلمية في الاجابة عن كثير من المسائل الهامة ، لم يكونوا مستعدين للتنازل عن هذه الطريقة باكملها . فالذي كانوا يحتاجونه هو البرهان الذي يلائم فكرهم وميولهم ، كذلك البرهان الذي كان توماس Thomas قد قدمه في القرن الثالث عشر لدعم افكاره وميوله ، عندما قال بان العقل كان صحيحا ضمن حدود ، وانه خارج هذه الحدود يجب ان يقف مكتف الايدي في حضرة الايمان . وقد تقدم بهذا البرهان المقنع في آخر الامر عام ١٧٨١ عمانوئيل كانت في اشهر المؤلفات الفلسفية وابعدها اثرا في العصور الحديثة أعني مؤلفه الموسوم ب : « نقد العقل المحض » .

ان تفاصيل هذا الكتاب الصعب المشوش هي على درجة من التعقيد تجعل تلخيصه متعذرا ، يكفي أن نقول ان كانت ، بتحليل طبيعة المعرفة وقدرة العقل البشرى ، حاول التدليل على ان العلم وطرق علمي الميكانيك والفيزياء الرياضيين هي صالحة لوصف العالم الذي يقدر الانسان ان يحصل منه على أية خبرة عقلية ، بينما هي عاجزة كل العجز عن ان تكشف لنا عن حقيقة العالم اذا لم ينظر اليه من خلال هذه الاداة الكثيرة الاختبار أعني العقل البشري . ان العلم وصف صادق للحوادث Phenomena أي للاشياء بالشكل الذي يسمح لنا فيه تركيب عقولنا واسلوب عملها بان نخبرها ، لكن ليس في وسعه ان يبرر لنا اثبات او انكار أي شيء عن العالم الحقيقي ، اي العالم كما هو في ذاته ، كما يبدو لعقل كامل منزه عن كافة النقائص البشرية كعقل الآلة . « ان هذا يؤدى بنا الى الاستنتاج باننا لا نستطيع قط ان نتعالى عن حدود الاختبار الممكن ، واننا لذلك لن ندرك الموضوع الذي تهتم به الميتافيزيكا ـ أعني علم اللاهوت العقلي ـ بالدرجة الاولى » . اننا لا نستطيع ان نعرف العالم كما هو في الحقيقة ، بل بالطريقة الخاصة المحدودة القاصرة التي بامكاننا ان نعرفه بها .

ان هذا يعني طبعا القول بان علومنا لا تشمل ولاتستطيع ان تشمل كل شيء ضمن افقها . ولكن ما الذي يدفعنا الى القول بان العالم في الحقيقة مختلف عن العالم الذي تستطيع ان تصفه لنا الطريقة العلمية وبانه اكثر اتساعا منه ؟ هنا ينبري كانت Kant مدافعا عن جميع النزعات الرومانطيكية التي كنا بصدد تلخيصها فيقول باننا نملك خبرات اخرى ، خبرات الضمير والجمال والدافع الديني ، وهي خبرات ، رغم انها ليست قط خبرات علمية وعقلية بالمعنى الصحيح ، ورغم استحالة ادخالها ضمن اطار الفيزياء الميكانيكية ، هي خبرات قوية وهامة الى حد لا يمكن معه اهمالها واعتبارها مجرد تصورات وهمية ، كما انها تظل مستعصية على الفهم الى ان نفترض بان العالم في الحقيقة هو شيء مختلف عما يستطيع العلم البرهنة على وجوده . ولما كنا لا نستطيع قط ان نعرف علميا شبه الكون الحقيقي فلدينا ما يبرر لنا ان نعتقد ، لاسباب عملية مستمدة من

حاجتنا الى العيش كما لا بد للكائنات البشرية ان تعيش ، ان نعتقد بانه نوع من المكان الملائم لهذا المزيج من العقل والشعور اللذين تتألف منهما الطبيعة البشرية . اننا نعمل ولا غنى لنا عن العمل بوحي من واجب اخلاقي ، واننا نستشعر ولا بد لنا ان نستشعر احتراما دينيا لشيء في الكون أعظم منا ، واننا نعجب ولا مندوحة لنا من الاعجاب بجمال في الاشياء لا يمكن تعليله تعليلا علميا . واذن لما كنا لا نستطيع بطرق العلم ان نثبت ولا ان ننفي ان من واجبنا اختيار الصواب دون الخطأ ، واننا احرار في الاختيار ، وان الكون يدار بشكل ما بقانون اخلاقي ، ولما كنا مضطرين كل الاضطرار ، ما دمنا مخلوقات على هذه الصورة التي نحن عليها ، الى العيش كما لو كانت هذه الامور صحيحة ، فان لنا ما يبرر لنا الاعتقاد بانها موجودة . عندما يعجز العلم عن الاثبات او النفي يحق لنا ان نركن الى الايمان .

بدا هذا الدفاع العقلي عن الايمان مقنعا في نظر كثير من الناس ، واستقبله الرومانطيكيون بحماس وهم الذين كانوا يعتقدون بان العلم العقلي لم يكن ملائما . وهو ، اذ نادى بان العلم محدود الافق ، مهما كانت صحته ضمن تلك الحدود ، فتح الباب لعدد لا يحصى من الطرق الاخرى في الوصول الى المعتقدات الفلسفية والاخلاقية والدينية عن قدر الانسان ومكانه . ان انت لم تعتقد بان الحقيقة يمكن التوصل اليها باية طريقة اخرى غير الطريقة العلمية كنت لا ادريا Agnostic لكن ان اعتقدت بذلك فعلى الاقل لن يستطيع احد بان يبرهن انك كنت مخطئا . ان معظم الناس لم يعتبروا ان من شأن هذه الحدود المفروضة على قوى العقل ان تثبط الهمم بل رحبوا بفلسفة « كانت » التي كانت تسمى « الفلسفة الانتقادية » ، على انها الباب المفتوح المؤدي الى حرية الاعتقاد بجميع ما كانوا يريدون مخلصين الاعتقاد به تقريبا . وفي الجيل التالي اقترح شعراء وفلاسفة ولاهوتيون متحمسون عشرات من الطرق الموصلة الى الحقيقة. ولم يكن طريق «كانت» الخاص على درجة من الاهمية تعادل اهمية الشهادة التي يظهر انه منحها للناس وخولهم بها شق ممرات جديدة خاصة بهم عبر مجاهل الحدس والايمان اللاعقلية . لخص « كانت » مأثرته الجليلة للسعادة العقلية بهذه الكلمات : من وجهة نظر النقد يمكن ان يكون كل من مذهب الاخلاق ومذهب العلم صحيحا ضمن مجاله الخاص ، وهو امر لم يكن بالامكان بيانه لولا ان النقد قد برهن من قبل على ما لا يمكننا تجنبه من الجهل بالعالم الحقيقي ، ولولا انه قصر كل ما يمكن ان نعرفه معرفة علمية على الظواهر فقط . فوجدت اذن ، من الضروري انكار معرفة الله ، والحرية ، والخلود لكي اجد مكانا للايمان » . ان جميع اختبارات الحقيقة التي صاغتها اجيال العلماء ذهبت سدى ، وصار الناس احرارا في الاعتقاد بكل ما كانت مصالح الطبيعة البشرية بكاملها تدفعهم الى الاعتقاد به ، واصبح كل نوع من الايمان تقريبا محترما من الناحية العقلية .

دفع كتاب « كانت » الرومانطكيين الى سيل من النظم الخاصة المؤسسة على الايمان . فأخذوا يدعون ان الانسان في جوهره ، ليس عقليا ، بل ان الطبيعة البشرية مؤلفة في قرارتها من الغرائز والمشاعر ، وان حياة الانسان الغريزية والانفعالية يجب ان تسيطر على سيرته وتعين له مفهومه عن العالم ومفهومه عن الحياة البشرية . وبعبارة اخرى فان الشاعر او القديس اصدق من العالم دليلا في طريق الحياة والفكر . ومن واجب الدين ، والاخلاق والفن والادب والفلسفة والسياسية والاجتماعية ، والتربية ان تدرك هذه الحقيقة الاساسية وتبني عليها ، ليس الدين علما نبرهن على صحته بل شأنا من شؤون القلب ، حياة نحياها ، والاخلاق ليست علما بل هي في جوهرها الارادة الطيبة واداء الانسان واجباته . وليس الفن مسألة شكل وتركيب بل مسألة غنى في العاطفة والشعور . والمجتمع ليس مشروعا جامدا مؤسسا على المصلحة الذاتية ،بل كائنا حيا كبيرا يشد اعضاؤه ازر بعضهم البعض ، ويسعى حثيثا لتحقيق مثل عليا يراها رؤية غامضة . والكون كله ليس آلة ، بل جسما حيا يجب تعليله كما تعلل حياة الانسان .

فهردر Herder مثلا ، وهو ابو الرومانطيكيين الالمان ، بنى كل الحقيقة على المشاعر ، وعلى الايمان دون العقل ، بوصفه ضرورة داخلية غير قابلة للتحليل . اما جاكوبي Jacobi الذي ربما كان اكثر هؤلاء المفكرين شهرة ونفوذا رغم انه ليس احصفهم ، فقد اعتبر الحدس بصراحة ينبوع المعرفة النهائية وهجر كل المحاولات الرامية الى التوفيق بين يقينه وبين القوانين العلمية للطبيعة . وقال ان اليقين المباشر والحاصل من الرؤيا الداخلية هو اعظم من البرهان المنطقي واشد يقينا منه . ودعا في اول الامر هذه الموهبة التي تدرك بها الحقائق الروحية Glaube اي « الايمان » ولكنه فيما بعد دعاها Vernunft اي العقل ، فاوقع الكثيرين في حيرة وارتباك ، وكان قصده من ذلك ان يميزها عن العقل العلمي الذي دعاه Verstand اي « الفهم » . ولقد تبعه اناس كثيرون في هذا التمييز بين « العقل » اي « الايمان » وبين مجرد « الفهم » ، فكنت تسمع اصداء هذا التمييز عند كوليردج Coleridge وكارليل Carlyle في انكلترا وامرسون Emerson في امريكا . وتبنى شليماخر Schleiermacher هذا التمييز في الدين تبنيا فيه اصالة كبيرة ، كما تبناه Schelling في الفن ، وهجل Hegel في عموم التاريخ البشري والفكر البشري . ان ما يميز هذه النظم المختلفة بعضها عن بعض لجدير بالانتباه حقا ، ولكنه لا يماثل من حيث الاهمية ما هو مشترك بينها جميعا من المبادىء الجوهرية والمفترضات . ونشأت عن ذلك فلسفات واقوال في التبرير ، كانت تؤلف مزيجا غريبا لكنه ، في اغلب الاحيان ، مزيج جميل من العناصر التي كانت تبدو متنافرة من الناحية العقلية على الاقل . فان داود فريدريك ستراوس David Friedrich Strauss اللاهوتي العقلي الكبير في القرن التاسع عشر ، الذي ربما ذهب أبعد مما ذهب حتى هيوم وهولباخ Holbach في القرن السابق ، في الحملة على صدق التقليد المسيحي ، ان ستراوس هذا علق على هذا النوع من المزيج تعليقا لاذعا بقوله: « ما كل انسان يقدر ان يسحق المسيحية والعلم النيوتوني ليؤلف منهما مزيجا . ومعظم الناس ينتهون من هذا المزيج الى القديد الذي يقوم منه التقليد مقام اللحم ، ويقوم شليماخر مقام الدهن ، ويقوم هجل مقام البهارات » .

جورج طعمة **الجامعة الامريكية ببيروت**



١٨ يونيو ١٩٥٦ – توصل الاردن الى مقررات عسكرية من شأنها ان تثبت التعاون العسكري المستمر للدفاع المشترك عن الاردن في حالة حدوث اعتداء اسرائيلي عليه وقد صدر بلاغ مشترك عن نتيجة المحادثات .

١٩ – اعلن الرئيس جمال عبد الناصر انهاء الاحكام العرفية وبدء حكم اساسه الدستور والقانون ولخص سياسة مصر ومنها المحافظة على سلامة مصر وحدودها وعروبتها ، وتحرير الوطن العربي وعدم التفريط بحقوق العرب في فلسطين وارضها ودعم نضال العرب للتحرر في كل قطر من اقطارهم . وقال ان العهد الجديدلمصر بعد الجلاء هو عهد البناء والتصنيع وتوسيع الرقعة الزراعية .

٢٠ – صدر بلاغان مشتركان في موسكو وبلغراد اثر انتهاء محادثات المارشال تيتو مع الزعماء السوفييت وقد تناول البلاغ الاول العلاقات بين الحكومتين وتناول الثاني العلاقات بين الحزبين . وتحدث البلاغ الاول عن تقارب الاراء بصدد الموقف الدولي والرغبة في الصداقة والتفاهم والامل في تخفيف حدة التوتر الدولي واستتباب السلام كما نص على اتفاق الدولتين على ضرورة قبول الصين الشعبية في الامم المتحدة وضرورة توحيد المانيا عن طريق المفاوضات بين شطريها بدلا من الانتخابات ووجوب اعادة فرموزا الى الصين الشعبية .

٢١ – وصل الى دمشق البنديت نهرو رئيس وزراء الهند في طريقه الى لندن وقد جرت بينه وبين المسؤولين السوريين عدة اجتماعات لبحث قضيتي الجزائر وفلسطين .

٢٢ – صدر بيان مصري سوفيتي مشترك عن زيارة وزير الخارجية السوفيتية لمصر جاء فيه انه تم الاتفاق بين الدولتين على انماء العلاقات بينهما في جميع الميادين وعلى استمرار التعاون في المساهمة لدعم السلام العالمي .

– وصل الرفيق ديمتري شبيلوف وزير الخارجية السوفيتية الى دمشق في زيارة رسمية .

٢٥ – اعلنت في مصر نتيجة الاستفتاء الذي جرى على الدستور المصري ورئاسة الجمهورية وقد انتخب البكباشي جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية وقد اتخذ قرارا بالغاء الاحكام العرفية ورفع الرقابة عن الصحف .

– وصل الى موسكو الشاه محمد بلهوي ترافقه الامبراطورة ثريا في زيارة رسمية للاتحاد السوفييتي .

– صدر في دمشق بلاغ مشترك عن محادثات الرفيق شبيلوف مع المسؤولين السوريين وقد اعلن عن اتفاق البلدين على العمل من اجل السلام وفق مقررات مؤتمر باندونغ .

– وصل الى بيروت الرفيق ديمتري شبيلوف وزير الخارجية السوفيتية في زيارة رسمية .

٢٦ – اصدر الملك حسين ارادة ملكية بحل مجلس النواب الاردني . وقد استقالت حكومة السيد سعيد المفتي

– رفض مجلس الامن الدولي قبول الشكوى التي تقدمت بها الدول العربية والاسيوية لبحث قضية الجزائر باكثرية سبعة اصوات مقابل صوتين أيدا الشكوى هما ايران والاتحاد السوفييتي .

٢٨ – صرح شوان لاي رئيس وزراء الصين الشعبية ان حكومته لا تعارض اصدار بيان مشترك مع الولايات المتحدة يعلن فيه عدم استعمال القوة او عدم التهديد باستعمالها في الشرق الاقصى ثم كرر شو ان لاي دعوته لتحرير فرموزا بالطرق السلمية وانه مستعد للتفاوض مع حكومة فورموزا لتحقيق ذلك .

٢٩ – اعلن راديو فرصوفيا ان ٣٨ شخصا قتلوا و٢٧٠ جرحوا في اعمال الشغب التي وقعت في مدينة بوزنان الصناعيةالكبرى والتي وصفها بعض مصادر الانباء بانها بداية ثورة .

٣٠ – اعاد الرئيس جمال عبد الناصر تشكيل الوزارة المصرية الجديدة بعد استقالة الوزارة السابقة على اثر اعلان نتيجة الاستفتاء على الدستور وانتخاب عبد الناصر رئيسا للجمهورية .

– اذاعت وكالات الانباء عن وقوع اضطرابات ومظاهرات في المجر للمطالبة باطلاق الحريات العامة ورفع مستوى المعيشة .

اول يوليو ١٩٥٦ – انتحر السيد توفيق ابو الهدى رئيس الوزارة الاردنية السابق .

٢ – الف السيد ابراهيم هاشم رئيس مجلس الاعيان الوزارة الاردنية الجديدة التي حدد مهمتها التكليف الملكي باجراء انتخابات حرة نزيهة .

٣ – اعترفت الحكومة السورية بالجمهورية الصينية الشعبية .

٤ – قدم السيد اسماعيل الازهري رئيس وزراء السودان استقالة حكومته على اثر حجب الثقة عنها في مجلس النواب .

– الغى المجلس النيابي السوري جوازات السفر بين سوريا وجميع البلاد العربية شريطة المعاملة بالمثل

٥ – اعلن السيد صبري العسلي رئيس الحكومة السورية ان مجلس الوزراء اتخذ قرارا باجراء المفاوضات مع مصر للوصول الى اتحاد فيدرالي بين البلدين .

– انتخب مجلس النواب السوداني السيد عبدالله خليل رئيسا للوزارة وهو امين سر حزب الامة وكان وزيرا للدفاع في الوزارة المستقيلة .

٧ – قدم الزعيم شوكت شقير رئيس الاركان العامة للجيش السوري استقالته . وقد عينت الحكومة السورية خلفا له الزعيم توفيق نظام الدين .

٩ – وقعت المناوشة الاولى بين قوات الاردن واسرائيل في منطقة القدس بعد توتر شديد بدأ منذ اسبوع .

١٠ – صرح رئيس الحكومة الكندية لويس سان لوران بان السياسة السوفيتية الجديدة تتيح فرصا افضل لتحسين العلاقات بين الشرق والغرب .

١١ – وصل الى عمان الملك فيصل والامير عبدالاله ولي عهد العراق .

١٢ – وصل الى بلغراد الرئيس جمال عبد الناصر في زيارة رسمية ليوغوسلافية .

١٣ – قتل البكباشي مصطفى حافظ قائد جيش التحرير الفلسطيني بانفجار لغم .

– وصل الى القاهرة الزعيم توفيق نظام الدين رئيس الاركان السوري للاجتماع بالقائد العام للقوات المصرية .

١٤ – غادر عمان الملك فيصل ملك العراق الى بروكسل ومنها الى بريطانيا في زيارة رسمية .

١٥ – قدم الاتحاد السوفييتي مذكرة الى مجلس الامن اشار فيها الى خرق الطائرات الامريكية الحدود الجوية السوفييتية .

مطبعة الشراع
بيروت – الحازمية